مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحمباني وجعله وقفًا لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الثالث عشر

من سورة الأحقاف إلى سورة الحجرات

مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سَعْد بن عبد الله بن غنَيْم الحقبَاني وجعَلهُ وَقْفًا لوالديْه

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٩-٦١-٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٣)

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم
معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الثالث عشر

من سورة الأحقاف إلى سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير آيات من سورة الأحقاف[(١)]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الأحقاف: ١، ٢].

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمٰن الرحيم.

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ١ ـ ٦].

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلوات الله

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير ابن كثير في جامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض بعد صلاة الفجر بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج.

وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام، والحكمة في الأقوال والأفعال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى العزة: أنه هو القاهر فوق عباده، القادر على كل شيء، الذي لا يغالَب ولا يُغلَب فهو القاهر لعباده، والحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها عن علم، لا عن سفه، يضع الأمور مواضعها: الخلق، والرزق، والشرع كله عن حكمة.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لا على وجه العبث والباطل، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: وإلى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]؛ بل خلقهما لحكمة، ليُعرف ويُعبد ويعظَّم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، بهذه المخلوقات والآيات تعرف حكمته، ويعرف علمه وتعرف قدرته، على كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: لاهون

عما يراد بهم، وقد أنزل الله تعالى إليهم كتابًا، وأرسل إليهم رسولًا وهم معرضون عن ذلك كله؛ أي: وسيعلمون غبَّ ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفيه الحذر لنا، التحذير لنا من التشبه بهم، فالمُعرِض عن التعلم والتفقه في الدين والعمل الصالح قد أشبههم، فالواجب الحذر، فإذا أعرض الكفار وتساهلوا وغفلوا؛ فالواجب على المسلم أن لا يُعرض وأن لا يغفل؛ بل يتعلم ويتأدب ويسارع بالعمل، وقال في ذمهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ **[الأحقاف: ٤].**

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾؛ أي: لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره، ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أرشدوني إلى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ أي: ولا شرك لهم في السمٰوات ولا في الأرض، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، إنِ المُلك والتصرف كله إلا لله عَزَّ وَجَلَّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن: نافية يعني: لمن الملك إلا لله، هذا معناه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به؟! من أرشدكم إلى هذا؟! من

دعاكم إليه؟! أهو أمركم به؟! أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم؟! ولهذا قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾؛ أي: هاتوا كتابًا من كتب الله المنزلة على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يأمركم بعبادة هذه الأصنام، ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾؛ أي: دليلٍ بيِّن على هذا المسلك الذي سلكتموه، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: لا دليل لكم لا نقليًّا ولا عقليًّا على ذلك، ولهذا قرأ آخرون: ﴿أَوۡ أَثَرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾؛ أي: أو علم صحيح تأثرونه عن أحد ممن قبلكم، كما قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ أو أحد يأثر علمًا، وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أو بينة من الأمر».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سفيان: لا أعلم إلا عن النبي ﷺ ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ قال: الخط، وقال أبو بكر بن عياش: أو بقية من علم، وقال الحسن البصري: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ﴾ شيء يستخرجه فيثيره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش أيضًا: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾؛ يعني: الخط، وقال قتادة: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ خاصة من علم، وكل هذه الأقوال متقاربة، وهي راجعة إلى ما قلناه، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وأكرمه وأحسن مثواه. وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]؛ أي: لا أضل ممن يدعو من دون الله أصنامًا، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجارة صم، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]؛ كقوله عز وجل: [. . .].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يشمل الأصنام، ويشمل الأموات يشمل الغائبين، ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ الميت غافل، والغائب غافل، والصنم جماد ما عنده خبر، فهم أضل الناس، أضل الناس هؤلاء، يدعون ميتًا، أو غائبًا لا يسمع كلامهم، أو صنمًا لا يعقل ولا يفهم، أو عاجز، هؤلاء هم أضل الناس، ويتركون السميع البصير القادر على كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مثل قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، ما بين ميت وجماد أو غائب، ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، ما عندهم قدرة، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، اللهم صلِّ عليه...

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]؛ أي: سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم، وقال الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله العافية.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ **[الأحقاف: ٧ ـ ٩].**

يقول ﷻ مخبرًا عن المشركين في كفرهم وعنادهم: إنهم إذا تتلى عليهم آيات الله بينات؛ أي: في حال بيانها ووضوحها وجلائها، يقولون: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: سحر واضح، وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، يعنون: محمدًا ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني وليس كذلك لعاقبني أشد العقوبة، ولم يقدر أحد من أهل الأرض، لا أنتم ولا غيركم أن يجيرني منه؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧].

ولهذا قال سبحانه هاهنا: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ هذا تهديد لهم، ووعيد أكيد وترهيب شديد. وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ترغيب لهم إلى التوبة والإنابة؛ أي: ومع هذا كله، إن رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم وغفر ورحم، وهذه الآية كقوله ﷻ في سورة الفرقان: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥، ٦].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أي: لست

بأول رسول طرق العالم؛ بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستنكروني وتستبعدون بعثتي إليكم، فإنه قد أرسل الله ﷻ قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم، قال ابن عباس ﵄ ومجاهد وقتادة: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾: ما أنا بأول رسول، ولم يحكِ ابن جرير ولا ابن أبي حاتم غير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﵄ في هذه الآية: نزلت بعدها ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، قالوا: ولما نزلت هذه الآية، قال رجل من المسلمين: هذا قد بيّن الله تعالى ما هو فاعل بك يا رسول الله، فما هو فاعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: ٥]، هكذا قال، والذي هو ثابت في «الصحيح»: «أن المؤمنين قالوا: هنيئًا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فأنزل الله ﷻ هذه الآية»].

وقال الضحاك: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾؛ أي: ما أدري بماذا أؤمر؟ وبماذا أنهى بعد هذا، وقال أبو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ قال: أما في الآخرة فمعاذ الله، وقد علم أنه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرجت الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من قبلي، أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي؟! ولا أدري أيخسف بكم أو تُرمون بالحجارة، وهذا القول هو الذي عوّل عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدرِ ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش، إلى ماذا؟ أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم. فأما الحديث الذي

رواه الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء ـ وهي: امرأة من نسائهم ـ أخبرته وكانت بايعت رسول الله ﷺ قالت: طَارَ لَهُمْ فِي السُّكْنَى حِينَ اقْتَرَعَتِ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ. قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فَاشْتَكَى عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ عِنْدَنَا فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوُفِّيَ أَدْرَجْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللهَ تعالى أَكْرَمَهُ»**. قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ وَإِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي»**(١). قَالَ يَعْقُوبُ: «بِهِ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا، فَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ فَنِمْتُ فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ذَاكَ عَمَلُهُ»** فقد انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم(٢).

وفي لفظ له: **«ما أدري وأنا رسول الله ﷺ ما يُفعل بي»**، وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها: «فأحزنني ذلك»، وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعيَّن بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم؛ كالعَشَرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقرّاء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم.

(١) أخرجه البخاري من حديث أم العلاء رضي الله عنها في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه برقم (١٢٤٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أم العلاء رضي الله عنها في كتاب التعبير، باب العين الجارية في المنام برقم (٧٠١٨).

وقوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ أي: إنما أتبع ما ينزله الله علي من الوحي. ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: بيِّن النذارة، أمري ظاهر لكل ذي لب وعقل، والله أعلم].

مداخلة: الذي ترجحونه عفا الله عنك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كله صحيح، يحتمل أنه قرأ في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ من جهة تفاصيل أمر الآخرة، وإن كان هو يعلم أنه من أهل الجنة، لكن التفاصيل وما قد يقع قبل ذلك، قبل دخولها وفي المحشر ما يعلم إلا ما علّمه الله، وليس المراد الشك في دخول الجنة، لكن التفاصيل وما يقع قبل ذلك، فلا مانع من الجمع بين القولين: قول ابن جرير...، المراد به في أمور الدنيا، وهل يخرج من مكة أو يبقى في مكة؟ وهل يموت في المدينة؟ ما يدري ماذا قدَّر الله له، العلم الغيبي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكذلك ما يقع من الأهوال والعجائب والغرائب قبل دخول الجنة، أما كون المؤمنين في الجنة... فهذا أمر معلوم من حين بعث نبيّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا أمر معلوم، فالمؤمنون من أهل الجنة والكفار من أهل النار، أمر بيَّنه الله في كتابه العظيم وبيَّنه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنَّته، ولكن ما يكون قبل هذا من الأهوال والغرائب والعجائب في الدنيا والعجائب في البرزخ هذه ما يعلمها إلا الله، وإن كان الأنبياء خصَّهم الله بمزيد من العلم ومزيد من الخير، لكن هناك أشياء قد تخفى عليهم.

الأسئلة:

● **س: معنى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي» هل هذا قبل أن يعرف منزلته في الجنة؟**

○ **الجواب:** لا قد يكون من جهة العموم، وإلا الجنة مقطوع فيه

مثل ما قال ابن جرير رحمه الله، وغيره «المؤمنون في الجنة كلهم والأنبياء من باب أولى».

معنى قوله ﷺ: «ويبقى شرار الخلق فعليهم تقوم الساعة»:

● **س: حديث أن «أولاد المشركين تبع لآبائهم»، هل في ... معهم ذرية في آخر الزمان؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: قول النبي ﷺ: **«ويبقى شرار الخلق فعليهم تقوم الساعة»**.

○ **الجواب**: إي هذا جهة الكفار، أما الصغار لا ما عليهم ذنب الصغار، ما من مولود يولد إلا على الفطرة غير داخلين في هذا.

*

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ **[الأحقاف: ١٠ ـ ١٤]**.

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن: أرأيتم إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به؛ أي: ما ظنكم أن الله صانع بكم، إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله علي لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾؛ أي:

وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة، المُنزَلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبلي، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَـَٔامَنَ﴾؛ أي: هذا الذي شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته، ﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ﴾ أنتم عن اتباعه، وقال مسروق: فآمن هذا الشاهد بنبيِّه وكتابه وكفرتم أنتم بنبيِّكم وكتابكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره، فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذه كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٨].

قال مسروق والشعبي: ليس بعبد الله بن سلام، هذه الآية مكية وإسلام عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان بالمدينة، رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم واختاره ابن جرير، وقال مالك عن أبي النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»، قال: «وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾»، رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث مالك به(١)، وكذا قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يسار والسدي والثوري ومالك بن أنس وابن زيد أنهم كلهم قالوا: إنه عبد الله بن سلام.

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبد الله بن سلام برقم (٣٨١٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن سلام (٢٤٨٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾؛ أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيرًا ما سبقنا هؤلاء إليه، يعنون: بلالًا وعمارًا وصُهيبًا وخبَّابًا رضي الله عنهم وأشباههم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة، وله بهم عناية، وقد غلطوا في ذلك غلطًا فاحشًا، وأخطئوا خطأً بيِّنًا، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [الأنعام: ٥٣]؛ أي: يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا، ولهذا قالوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ﴾.

وأما أهل السُّنَّة والجماعة فيقولون: في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن، ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾؛ أي: كذب قديم؛ أي: مأثور عن الناس الأقدمين، فينتقصون القرآن وأهله، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله ﷺ: «**بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا من تزيين الشيطان لهم أن هؤلاء لا يسبقونهم إلى الخير، وهذا من جهلهم وضلالهم، فإن الخير بيد الله يوفق له من يشاء، فكم من فقير ومسكين وغير معروف يوفق للخير، وكم من كبير وعظيم يحرم الخير، فالخير بيد الله يعطيه من يشاء، ويوفق له من يشاء من عباده الراغبين في الخير الحريصين عليه، وإن جهلهم الناس وإن اختفوا في

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (٩١).

الناس، فالواجب على العاقل أن يتدبر ويتعقل ويتواضع، ويسأل ربه التوفيق، ولا يغتر بماله أو جاهه، ويقول: لو كان هذا خيرًا لما سبقنا له فلان وفلان، لماذا؟ قد يكون فلان وفلان عند الله خيرًا منك وأفضل؛ لأنه ما عنده مال، المال ما له قيمة المال، ما له جاه عندك... ما له قيمة، ربك أعلم وأحكم، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] هو يعلم أحوالهم، فالواجب اتهام الرأي واتهام النفس، وأن يكون المؤمن حريصًا على طلب الحق، وأن يتواضع لله، ويحرص على قبول الحق، ولا يزدري غيره، ويظن السوء بغيره بغير حق.

مداخلة: الآية السابقة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هل هي مكية أم مدنية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السورة كلها مكية. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وهو التوراة. ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾؛ يعني: القرآن. ﴿مُّصَدِّقٌ﴾؛ أي: لما قبله من الكتب. ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: فصيحًا بيِّنًا واضحًا. ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ تقدَّم تفسيرها في سورة (حم) السجدة، وقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فيما يستقبلون، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم، والله أعلم.

❊

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٥ ـ ١٦].

لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة إليه، عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن؛ كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وقال عَزَّ وَجَلَّ هاهنا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾؛ أي: أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما، وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة أخبرني سماك بن حرب، قال: «سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالت أم سعد لسعد: أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين، فلا آكل طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى تكفر بالله تعالى. فامتنعت من الطعام الشراب حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا، ونزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ الآية، ورواه مسلم وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث شعبة بإسناد نحوه وأطول منه[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص برقم (١٧٤٨) ساقه بعد الحديث رقم (٢٤١٢)، والإمام أحمد (١/ ١٨١ و١٨٥ و١٨٦)، والترمذي في كتاب التفسير =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد صبر عليها سعد، ولم يزل يدعوها إلى الله حتى هداها الله وأسلمت، جاء في رواية أنه قال: «لو كان لك مائة نفس ثم خرجت نفسًا نفسًا، لم أكفر بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أكلتِ أو لم تأكلي»، فلم يزالوا بها حتى أكلت وحتى هداها الله وأسلمت، وهكذا أم أبي هريرة لم يزل بها حتى هداها الله وأسلمت، نعم، الله المستعان، لا حول ولا قوة، مِحن وبلاوٍ. فالإحسان للوالدين ما هو معناه طاعتهم في المعاصي، لا، إنما يطاعوا في المعروف، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥] مثل قصة أم سعد وأم أبي هريرة ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]؛ أي: أحسن إليهما ولو كفرا، حتى يهديهما الله، فصبر سعد وصبر أبو هريرة وأحسنا إلى والدتهما، حتى هداهما الله وأسلمتا.

مداخلة: يا شيخ أحسن الله إليك! العاق لوالديه إذا نوصح أكثر من مرة، ولا يزيده النصيحة إلا بعدًا أحسن الله إليك، العاق لوالديه

= عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة العنكبوت برقم (٣١٨٩).

قال ابن هبيرة في الإفصاح: هذا الحديث يدل على شرف سعد وعلو منزلته؛ لأن الله تعالى أنزل هذه الآيات في شأنه فاستمرت أحكامها باقية إلى يوم القيامة تعود عليه بركتها ويناله من خيرها، فمن بركة هذه القصة أن الله تعالى أفتى فيها حيث كانت الوصاة قد تقدمت منه سبحانه ببر الوالدين وتتابعت، وكان حق الله ﷻ أولى في عبادته، فلما اعترض هذا الحق المؤكد ما هو أوكد منه لم يكن له فضل إلا ما أنزل الله ﷻ؛ لأنه شرح الحال فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، فأخبر سبحانه أن وصاته سبقت الحال. وقوله: وقد سبق شيء في هذا المعنى في سورة العنكبوت ولقمان وغيرهما. اهـ.

إذا نوصح أكثر من مرة، ولا يزيده النصيحة إلا يا شيخ عقوقًا، فهل يهجر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يستحق الهجر إذا كان الهجر ينفع، إذا كان الهجر ينفعه فلا بأس، إذا كان الهجر ينفع، ينفع، وإن كان ما ينفع الهجر يستمر معه في النصيحة، وإلا يؤدب إن كان رفع أمره إلى المحكمة أو الهيئة يؤدب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾؛ أي: قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبًا من وحم وغشيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة، ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾؛ أي: بمشقة أيضًا من الطلق وشدته. ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، وقد استدل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بهذه الآية مع التي في لقمان: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وهو استنباط قوي صحيح، ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهو واضح؛ لأن أقل مدة الحمل ستة أشهر، ومدة الرضاع ثلاثة.. الجميع ثلاثون شهرًا، حمله ستة وهذا أقل شيء، وفصاله أربعة وعشرون شهر، سنتان وهي مدة الرضاعة، ولكن الغالب إنه يتأخر إلى التاسع ويولد في التاسع، هذا هو الغالب، نعم، وقد تلده في السابع.

مداخلة: أحسن الله إليك! قوله: من وحم وغشيان، مستقيم، أو غثيان؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يحتمل غثيان وغشيان.

مداخلة: عندنا غثيان... في الكتاب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحتمل كأن الغثيان أقرب، والغشيان ما يغشاها من تألم وتكدر النفس والقيء وغير ذلك.

مداخلة: وحام صحيحة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

توحم، يقال له: وحم، توحم هو ما يصيب المرأة من التعب عند الحمل.

السؤال: كلمة وحام، هل هي صحيحة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أعرف فيها مانعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهني قال.

«تزوج رجل منا امرأة من جهينة، فولدت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكر ذلك له فبعث إليها، فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها، فقالت: وما يبكيك؟ فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط، فيقضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيَّ ما شاء، فلما أتى بها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أمر برجمها، فبلغ ذلك عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مداخلة: الوَحَم محركة شدة شهوة الحبلى لمأكل، وقد وحمت كورثت ووجلت، والاسم: الوحام بالكسر والفتح، وهي وحمى جمع وحام ووحامى، والوحام محركة أيضًا اسم لما يُشتهى وشهوة النكاح، والشهوة في كل..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنه قال: وحم ووحام وحام، وهو ما يقع للمرأة عند الحمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فبلغ ذلك عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأتاه فقال له: ما تصنع، قال: ولدت تمامًا لستة أشهر وهل يكون ذلك؟ فقال له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قال: أما سمعت الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، وقال: حولين كاملين، فلم نجده بقي إلا ستة أشهر، قال: فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما فطنت بهذا، عليَّ بالمرأة، فوجدوها قد فرغ منها، قال: فقال معمر: فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه، فلما رآه أبوه، قال: ابني والله لا أشك فيه، قال: وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة، فما زالت تأكله حتى مات» رواه ابن أبي حاتم. وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«التقريب» انظره؟ بعجة بن عبد الله الجهني بعجة ومعمر في صحة الأثر هذا نظر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسفر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر، كفاه من الرضاع واحد وعشرون شهرًا، وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرًا، وإذا وضعته لستة أشهر، فحولين كاملين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾»؛ أي: قوي وشب وارتجل وبلغ أربعين سنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر القرآن خلاف ذلك، قال ﷻ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] مطلقًا سواء ولد لستة أو لسبعة أو، فلها أن ترضعه حولين كاملين، إلا إذا ﴿أَرَادَا فِصَالًا﴾ [البقرة: ٢٣٣] إذا أراد الزوج والزوجة الفصال الفطام قبل ذلك وتشاورا فلا بأس أن يفطماه لسنة أو سنة ونصف أو أقل أو أكثر، إذا رأيا المصلحة في ذلك، وفي صحة هذا الأثر نظر عن ابن عباس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾؛ أي: تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه، ويقال: أنه لا يتغير غالبًا عما يكون عليه ابن الأربعين، قال أبو بكر بن عياش: عن الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمٰن قال: قلت لمسروق: متى يؤخذ الرجل بذنوبه، قال: إذا بلغت الأربعين فخذ حذرك، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو عبد الله القواريري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذا عندكم؟

مداخلة: عبيد الله القواريري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، هذا الصواب، أبو خطأ، عبيد الله، نعم، بالتصغير، أبو ما لها أصل، خطأ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا.. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا عبيد الله القواريري، حدثنا عروة بن قيس الأزدي وكان قد بلغ مائة سنة.

حدثنا أبو الحسن الكوفي عمر بن أوس قال: قال محمد بن عمرو بن عثمان عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبَّت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفَّعه الله تعالى في أهل بيته، وكُتب في السماء أسير الله في أرضه**».

وقد روي هذا من غير هذا الوجه، وهو في «مسند الإمام أحمد». وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمي ـ أحد أمراء بني أمية بدمشق ـ: تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياءً من الناس، ثم تركتها حياءً من الله عز وجل، وما أحسن قول الشاعر:

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه ... فلما علاه قال للباطل أبعد

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما دام وهو بهذا السند ضعيف ومتنه منكر، والمسلم يجب الحذر كلما طال عمره يجب عليه الحذر والاستقامة والثبات، وأن لا يتساهل في أمر الله عز وجل؛ لأن الأجل قد قرب، وإن كان يُرجى له مع الاستقامة على طاعة الله التثبيت، فإنه كلما زادت السنوات وهو يستقيم على طاعة الله، يُرجى له بذلك الخير العظيم، ومضاعفة الحسنات، لكن يجب الحذر، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾؛ أي: ألهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾؛ أي: في المستقبل، ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾؛ أي: نسلي وعقبي، ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وهذا فيه

إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله ﷻ ويعزم عليها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا أيضًا ما يمنع من العناية بالتوبة دائمًا دائمًا، لكن كلما علا في السن عظم الخطر، فالواجب التوبة والحذر ولزوم الحق، وإلا فالمؤمن دائمًا دائمًا، حتى ولو كان في سن الشباب يجب الحذر، والله يقول ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] فلا بد من التوبة دائمًا دائمًا، كلما اقترف ذنبًا بادر بالتوبة سواء كان شابًّا أو شيخًا، ولكن مع كبر السن تجب العناية والاستقامة والحذر.

مداخلة: أحسن الله إليك! ذكرت الحديث السابق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ضعيف، الحديث ضعيف...

مداخلة: أقول: الحليمي أو الحكمي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ضع نسخة،... يحتاج إلى تأمل، لا بد أن يلاحظ هذا إن شاء الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد: «**اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنا وَاهدِنَا سُبُلَ السَّلام، وَنَجِّنَا من الظُّلُمَاتِ إلى النُّور، وَجَنِّبْنَا الفَوَاحِش ما ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ، وَبَارِك لنا في أَسْمَاعِنا وَأَبْصَارِنَا وقُلُوبنَا وأزواجِنَا**

وَذُرياتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنا إنكَ أنتَ التوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ مُثْنِينَ بِهَا عليك قابلِيَها، وأتممَها عَلَيْنَا»[١].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ...﴾ [الأحقاف: ١٦].

قال الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: هؤلاء المتصفون بما ذكرناه، التائبون إلى الله المنيبون إليه المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا، ونتجاوز عن سيئاتهم، فنغفر لهم الكثير من الزلل، ونتقبل منهم اليسير من العمل.

﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: هم في جملة أصحاب الجنة، وهذا حكمهم عند الله، كما وعد الله ﷻ من تاب إليه وأناب، ولهذا قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا وعده سبحانه في قوله ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، لا يقنط الإنسان مما سلف، فليحذر ويتوب، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، في الحديث الصحيح: **«التوبة تجبُّ ما قبلها»**[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا المعتمر بن

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التشهد برقم (٩٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان بلفظ: «الإسلام يجبُّ ما كان قبله، وأن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها» برقم (١٢١).

سليمان عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، عن الروح الأمين - عليه الصلاة والسلام -، قال: «**يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض، فإن بقيت حسنة وسَّع الله تعالى له في الجنة**»[١]، قال: فدخلت على يزداد فحدَّث بمثل هذا.

قال: قلت: فإن ذهبت الحسنة، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾»، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني عن المعتمر بن سليمان بإسناده مثله، وزاد: «عن الروح الأمين قال: قال الرب جل جلاله: **يؤتى بحسنات العبد وسيئاته** فذكره» وهو حديث غريب، وإسناده جيد لا بأس به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

انظر «التقريب» عندك الغطريف، والحكم بن أبان، على كل حال العمدة على الله سبحانه ثم على التوبة والندم والإقلاع، ولا شك أن كثرة الحسنات من أسباب العفو عن السيئات، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بإمهال الله وإنظاره، وطول الأمل وطول السن؛ بل ينبغي له أن يكون غاية في الحذر، وأن يلزم التوبة دائمًا؛ لأنه على خطر من حلول الأجل، فليلزم التوبة والندم والإقلاع والعمل الصالح حتى يلقى ربه.

مداخلة: أحسن الله إليك! ترك الذنوب والمعاصي حياءً من الناس، هل يعتبر رياءً؟

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، في كتاب التوبة والإنابة ج٩ برقم (٧٨٣٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد لليمانيين ولم يخرجاه، والحكم الذي يروي عنه المعتمر بن سليمان هو الحكم بن أبان العدني، والغطريف هو أبو هارون الغطريف بن عبيد الله اليماني، وصححه الذهبي في التلخيص.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، ليس برياء، لكن إذا يسَّر الله له تركها فنعمة عظيمة، لكن ينبغي أن يكون تركها خوفًا من الله وتعظيمًا لله، وإذا تركها لم يؤاخذ بها، الحمد لله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سليمان بن معبد، حدثنا عمرو بن عاصم الكلائي، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن أبي وحشية عن يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال: «ونزل في داري حيث ظهر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على أهل البصرة، فقال لي يومًا: لقد شهدت أمير المؤمنين عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعنده عمار وصعصعة والأشتر ومحمد بن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم، فذكروا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فنالوا منه، فكان علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على السرير ومعه عود في يده، فقال قائل منهم: إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه، فقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الذين قال الله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾. قال: والله عثمان وأصحاب عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم قالها ثلاثًا، قال يوسف: فقلت لمحمد بن حاطب: آلله لسمعت هذا من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ قال: آلله لسمعت هذا من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ». والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من العشرة المشهود لهم بالجنة، وهو أحد الخلفاء الراشدين، ولا شك أنه من أولى الناس بهذه الآية؛ لأنه مجتهد وما يقع من المجتهد يُغفَر في جنب حسناته إذا وقع عنه الخطأ.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ١٧ ـ ٢٠].

لمّا ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما، وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين، فقال: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾، وهذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمٰن بن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمٰن بن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه، وروى العوفي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي صحة هذا نظر، والله تعالى أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود الحكم سواء نزلت في عبد الرحمٰن بن أبي بكر أو في فلان أو في فلان أو في فلان، لا يضره إذا نزلت فيه ثم أسلم، نزول الآيات في الناس ثم يسلمون يمحو الله بإسلامهم ما مضى من سيئاتهم، وإنما الحكم يتعلق بلفظ الآية، وهو الحذر من العقوق للوالدين وأن يقول لهما: أفٍّ لكما، والله يقول: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فلا يتعلق بالنزول إنما الحكم بالآية، والعبرة بعموم الآيات والأحاديث لا بأسباب النزول، قد ينزل الآيات في فلان في أبي

جهل في الصديق في فلان، لكن العبرة بعمومها في الخير والشر. فالآيات في مثل هذا للتحذير من العقوق، وفي آيات الجنة والرحمة للحث على الأعمال الصالحات، والنزول كونها نزلت في فلان أو فلان أو فلان لا يتأثر بشيء، إنما النزول يبين المعنى، معرفة أسباب النزول مما يزيد المعنى وضوحًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريج عن مجاهد نزلت في عبد الله بن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قاله ابن جريج، وقال آخرون: عبد الرحمٰن بن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا أيضًا قول السدي، وإنما هذا عام في كل من عق والديه وكذَّب بالحق فقال لوالديه: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ عقَّهما.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الصواب، المقصود العموم سواء نزلت في فلان أو فلان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا يحيى بن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد، أخبرني عبد الله بن المديني قال: «إني لفي المسجد».

حين خطب مروان فقال: إن الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيًا حسنًا، وأن يستخلفه، فقد استخلف أبو بكر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال عبد الرحمٰن بن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أهرقلية؟ إن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده، فقال مروان: ألست الذي: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾؟! فقال عبد الرحمٰن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألست ابن اللعين الذي لعن

رسول الله ﷺ أباك؟ قال: وسمعتهما عائشة ﵄، فقالت: يا مروان أنت القائل لعبد الرحمٰن ﵁: كذا وكذا، كذبت ما فيه نزلت، ولكن نزلت في فلان ابن فلان، ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف»، وقد رواه البخاري بإسناد آخر ولفظ آخر، فقال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك، قال: كان مروان على الحجاز.

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

يعني: أميرًا لمعاوية، نعم، يقال: ماهك وماهاك، انظر «التقريب» يوسف بن ماهك.

قال الحافظ ابن كثير ﵀:

حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال: «كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان ﵄، فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية؛ لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمٰن بن أبي بكر ﵄ شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة ﵂ فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل فيه أو أنزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾، فقالت عائشة ﵂ من وراء الحجاب: ما أنزل الله ﷻ فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله تعالى أنزل عذري».

طريق أخرى، قال النسائي: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أمية بن خالد، حدثنا شعبة عن محمد بن زياد قال: «لما بايع معاوية ﵁ لابنه قال مروان: سُنَّة أبي بكر وعمر ﵄، فقال عبد الرحمٰن بن أبي بكر ﵄ سُنَّة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ الآية، فبلغ ذلك عائشة ﵂ فقالت: «كذب مروان والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي أُنزلت فيه لسمَّيته، ولكن

رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله».

مداخلة: . . . حديث النسائي: ضعيف تفرد به المصنف، «تحفة الأشراف»، وإسناده منقطع كما قال الذهبي: محمد بن زياد ثقة ربما أرسل ولم يسمع من عائشة.

(الشيخ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أعد السند.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

طريق أخرى، قال النسائي: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أمية بن خالد، حدثنا شعبة عن محمد بن زياد قال: «لما بايع معاوية رضي الله لابنه قال مروان: سُنَّة أبي بكر وعمر».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على كل حال المقصود أن الصحيح والواجب أن العبرة بالآيات وعمومها لا بالأسباب والنزول، إنما الأسباب تبيِّن المعاني وتوضح المعاني، وإذا نزلت الآية في شخص ثم أسلم فإسلامه يمحو الله به ما قبل ذلك سواء عبد الرحمٰن وإلا غير عبد الرحمٰن، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى باجتهاده أنَّ يزيد صالح لذلك والله جَلَّ وَعَلَا يغفر له ما رأى في هذا، والواجب حسن الظن بالصحابة والترضي عنهم رضي الله عنهم وأرضاهم. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقوله: ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾؛ أي: أبعث، ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾؛ أي: قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر، ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾؛ أي: يسألان الله فيه أن يهديه، ويقولان لولدهما: ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ

وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾؛ أي: دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، بعد قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ﴾ دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك، وقال الحسن وقتادة: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهل بن داود من طريق هشام بن عمار: حدثنا حماد بن عبد الرحمٰن. حدثنا خالد بن الزبرقان العليمي ـ الحلبي.

عن سليم بن حبيب عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أربعةٌ لعنهم اللهَ تعالى من فوق عرشِهِ وأَمَّنَتْ عليهم الملائكة: مضل المساكين**»[1]، قال خالد: الذي يهوي بيده إلى المسكين فيقول: هلم أعطيك، فإذا جاءه قال: ليس معي شيء، والذي يقول للمكفوف: اتق الدابة، وليس بين يديه شيء.

والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها، والذي يضرب الوالدين حتى يستغيثا، غريب جدًّا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود ولو ما صحَّ، كل هذه معاني يجب الحذر منها؛ لأن معناها غش الناس وتضليلهم وإخبارهم بغير الحقائق، وهذا لا شك أنه من الظلم والفساد.

* *

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير، وقال ابن عساكر عن أبي أمامة، وفيه خالد بن الزبرقان، قال أبو حاتم: منكر الحديث.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٧][1].

حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عوانة، عن أبي بشرٍ عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرّحمٰن بن أبي بكرٍ شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنّ هذا الّذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن، إلّا أنّ الله أنزل عذري»[2].

ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٧٧)]: «قوله: بابٌ: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ إلى قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾:

كذا لأبي ذرٍّ، وساق غيره الآية إلى آخرها، و«أفٍّ» قرأها الجمهور بالكسر، لكن نوّنها نافعٌ وحفصٌ عن عاصمٍ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وابن محيصنٍ، وهي روايةٌ عن عاصمٍ بفتح الفاء بغير تنوينٍ.

قوله: «**عن يوسف بن ماهك**»: بفتح الهاء وبكسرها، ومعناه القمير تصغير القمر، ويجوز صرفه وعدمه كما سيأتي». [انتهى كلامه].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ...﴾ برقم (٤٨٢٧).

• **س: معناه القمير؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماهك يعني؛ كأنّه في لغة فارس معناه القمر قمير؛ يعني: يوسف بن قميرٍ، ابن قمر يعني، قمر صغير، لغة ماهك يقال: ماهك وماهك، (ماهك) غير مصروفٍ، (وماهك) مصروفٌ.

• **س: يعني ماهك معناه القمر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في لغة الفرس: معناه القمير، معناه القمر، تصغير قمرٍ.

• **س: يعني هو أصلًا منهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من فارس، الظّاهر أنّه فارسيٌّ نعم، من فارس.

• **س: يعني (ماهك) ما هو اسم أبيه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بلى، اسمٌ عجميٌّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

راجع (يوسف بن ماهك) في «التّقريب».

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٧٨٧٨): «يوسف بن ماهك بن بهزادٍ ـ بضمّ الموحدة وسكون الهاء بعدها زايٌ ـ الفارسي المكّيّ، ثقةٌ من الثّالثة مات سنة ستٍّ ومائة، وقيل: قبل ذلك ع».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صرّح بأنّه فارسيٌّ.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله: «**كان مروان على الحجاز**»؛ أي: أميرًا على المدينة من قبل

معاوية، وأخرج الإسماعيليّ، والنّسائيّ من طريق محمّد بن زيادٍ ـ هو الجمحيّ ـ قال: كان مروان عاملًا على المدينة.

قوله: «**استعمله معاوية؛ فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له**»: في رواية الإسماعيليّ من الطّريق المذكورة: فأراد معاوية أن يستخلف يزيد ـ يعني: ابنه ـ فكتب إلى مروان بذلك؛ فجمع مروان النّاس فخطبهم؛ فذكر يزيد ودعا إلى بيعته؛ وقال: إنّ الله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيًا حسنًا، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكرٍ وعمر.

قوله: «**فقال له عبد الرّحمٰن بن أبي بكرٍ شيئًا**»: قيل: قال له: بيننا وبينكم ثلاثٌ: مات رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر ولم يعهدوا: كذا قال بعض الشّرّاح، وقد اختصره فأفسده، والّذي في رواية الإسماعيليّ فقال عبد الرّحمٰن: ما هي إلّا هرقليّةٌ.

وله من طريق شعبة عن محمّد بن زيادٍ فقال مروان: «سنّة أبي بكرٍ وعمر. فقال عبد الرّحمٰن: سنّة هرقل وقيصر. ولابن المنذر من هذا الوجه: أجئتم بها هرقليّة تبايعون لأبنائكم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: مراد عبد الرّحمٰن بن أبي بكرٍ؛ لأنّ أبا بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما بايع لأولاده، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كذلك ما بايع لأولاده؛ إنّما نظروا للمسلمين، نظروا لمصلحة المسلمين، أمّا معاوية ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ فنظر في يزيد، ورأى أنّه أهلٌ لذلك اجتهادًا منه، ولم يقصد التّشبّه بالرّوم، وإنّما أراد أنّه صالحٌ لهذا الأمر.

فعبد الرّحمٰن استنكر هذا، ورأى أن الواجب على معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يستشير النّاس، أو ينظر في الأمر فيما هو الأصلح؛ كما فعل

الصّدّيق وعمر رضي الله عنهما، وألا يكون هذا للولد فقط؛ بل ينظر من هو أصلح منه للمسلمين؛ فلهذا تكلّم بهذه الكلمة الّتي قالها رضي الله عنه وأرضاه.

قصده من هذا النّصح والتّنبيه على أنّه ينبغي لولاة الأمور إذا أرادوا البيعة أن ينظروا في الأصلح، لا لأولادهم، ولا لغير أولادهم، بل من هو الأصلح، إن كان ولدهم أصلح بويع له، وإن كان غيره أصلح بويع للأصلح للأمّة ونفعها.

• س: وأن يستخلفهم كما استخلف أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، من استخلف أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، الله سبحانه هو الّذي استخلفهم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أبو بكرٍ رضي الله عنه استخلف عمر رضي الله عنه، عهد للنّاس بعمر، وأوصى به، وعمر رضي الله عنه أوصى للسّتّة الشّورى.

(السّائل): فيه «واو» بينهما «استخلف أبو بكرٍ وعمر»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

استخلف أبو بكرٍ عمر رضي الله عنهما، واستخلف عمر رضي الله عنه الجماعة، السّتة، هذا المراد.

قال الحافظ رحمه الله:

«ولأبي يعلى وابن أبي حاتمٍ من طريق إسماعيل بن أبي خالدٍ، حدّثني عبد الله المدنيّ قال: كنت في المسجد حين خطب مروان فقال: إنّ الله قد أرى أمير المؤمنين رأيًا حسنًا في يزيد، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكرٍ وعمر. فقال عبد الرّحمٰن: هرقليّةٌ؟! إنّ أبا بكرٍ والله ما جعلها في أحدٍ من ولده، ولا في أهل بيته، وما جعلها معاوية إلّا كرامةً لولده.

قوله: «**فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا**»؛ أي: امتنعوا من الدّخول خلفه إعظامًا لعائشة». [انتهى كلامه]

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا اجتهادٌ من معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، اجتهد في ذلك، وله اجتهاده، والإنسان قد يرى في ولده الصّلاح؛ فيوصي به، وقد يرى في غيره، الصّدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى أنّ الأصلح أن يوصي لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى المصلحة أنّه يعهد للسّتّة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ؛ لأنّهم رأوا هذا هو خيرًا للمسلمين، والمسلمون في عهد عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأوا الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مناسبًا، لما قُتل عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالحاصل: أنّ هذا يرجع إلى ولاة الأمور فيما يرونه أصلح للأمّة، ويجتهدون فيه، سواءٌ من أبنائه، أو من غير أبنائه، فمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى هذا الرّأي في يزيد، وهو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مجتهدٌ، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ.

● **س: مروان بن الحكم يا شيخ: الموقف الحقّ منه، بعض النّاس يسبّه وبعض النّاس يمدحه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مروان تابعيٌّ معروف، أقول: مروان تابعيٌّ، وكلٌّ له بعض الهفوات، وهو تابعيٌّ معروف، له مواقف طيّبةٌ، وله أعمالٌ طيّبةٌ، وله مواقف تنتقد في خروجه على ابن الزّبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وما جرى، وخروج عبد الملك بعده، والله يعفو عن الجميع. نسأل الله أن يعفو عنّا وعنهم.

● **س: نعوذ بالله أن نحتجّ بخبرٍ رواه مروان بن عبد الحكم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما هو على كلّ حالٍ، ابن حبّان له غرائب وعجائب.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي رواية أبي يعلى: فنزل مروان عن المنبر حتّى أتى باب عائشة فجعل يكلّمها وتكلّمه، ثمّ انصرف.

قوله: «**فقال مروان**»: إنّ هذا الّذي أنزل الله فيه في رواية أبي يعلى فقال مروان: اسكت، ألست الّذي قال الله فيه... فذكر الآية؛ فقال عبد الرّحمٰن: ألست ابن اللّعين الّذي لعنه رسول الله ﷺ؟

قوله: «**فقالت عائشة**»: في رواية محمّد بن زيادٍ: فقالت: كذب مروان.

قوله: «**ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلّا أنّ الله أنزل عذري**»؛ أي: الآية الّتي في سورة النّور في قصّة أهل الإفك، وبراءتها ممّا رموها به. وفي رواية الإسماعيليّ: فقالت عائشة: كذب والله، ما نزلت فيه. وفي روايةٍ له: والله ما أنزلت إلّا في فلان ابن فلانٍ الفلانيّ. وفي روايةٍ له: لو شئت أن أسمّيه لسمّيته، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان، ومروان في صلبه.

وأخرج عبد الرّزّاق من طريق ميناء: أنّه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرّحمٰن بن أبي بكر، وقالت: إنّما نزلت في فلان ابن فلانٍ. سمّت رجلًا.

وقد شغب بعض الرّافضة فقال: هذا يدُلُّ على أنّ قوْلهُ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [التوبة: ٤٠] ليس هو أبا بكرٍ.

وليس كما فهم هذا الرّافضيّ، بل المراد بقول عائشة: «**فينا**»؛ أي: في بني أبي بكرٍ، ثمّ الاستثناء من عموم النّفي، وإلّا فالمقام يخصّص والآيات الّتي في عذرها في غاية المدح لها، والمراد نفي إنزال ما يحصل به الذّمّ كما في قصّة قوله: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ إلى آخره.

والعجب ممّا أورده الطّبريّ من طريق العوفيّ عن ابن عبّاسٍ قال: نزلت هذه الآية في عبد الرّحمٰن بن أبي بكرٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

العوفيّ ضعيفٌ، أقول: العوفيّ ضعيفٌ، سيّئ الحفظ.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد تعقّبه الزّجّاج فقال: الصّحيح أنّها نزلت في الكافر العاقّ، وإلّا فعبد الرّحمٰن قد أسلم فحسن إسلامه وصار من خيار المسلمين، وقد قال الله في هذه الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الأحقاف: ١٨] إلى آخر الآية، فلا يناسب ذلك عبد الرّحمٰن.

وأجاب المهدويّ عن ذلك: بأنّ الإشارة بـ«أولئك» للقوم الّذين أشار إليهم المذكور بقوله: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ [الأحقاف: ١٧] فلا يمتنع أن يقع ذلك من عبد الرّحمٰن قبل إسلامه ثمّ يسلم بعد ذلك.

وقد أخرج ابن أبي حاتمٍ من طريق ابن جريجٍ عن مجاهدٍ قال: نزلت في عبد الله بن أبي بكرٍ الصّديق. قال ابن جريجٍ: وقال آخرون: في عبد الرّحمٰن بن أبي بكرٍ.

قلت: والقول في عبد الله كالقول في عبد الرّحمٰن؛ فإنّه أيضًا أسلم وحسن إسلامه.

ومن طريق أسباط عن السّدّيّ قال: نزلت في عبد الرّحمٰن بن أبي بكرٍ، قال لأبويه وهما أبو بكرٍ وأمّ رومان، وكانا قد أسلما، وأبى هو أن يسلم؛ فكانا يأمرانه بالإسلام؛ فكان يردّ عليهما ويكذّبهما ويقول: فأين فلانٌ وأين فلانٌ. يعني: مشايخ قريشٍ ممّن قد مات فأسلم بعد فحسن إسلامه؛ فنزلت توبته في هذه الآية: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قلت: لكنّ نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرّحمٰن وآل بيته أصحّ إسنادًا وأولى بالقبول، وجزم مقاتلٌ في «تفسيره» أنّها نزلت في عبد الرّحمٰن، وأنّ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ نزلت في ثلاثةٍ من كفّار قريشٍ، والله أعلم». [انتهى كلامه].

● س: يكون نأخذ بقول عائشة رضي الله عنها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم هو الأصحّ، هو أصحّ ما جاء؛ يعني: لو صارت فيه فالإسلام يجبّ ما قبله.

● س: من وضعه الّذي يقول...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بعض الرّافضة، الرّافضة كلّهم خبثاء، ما يضرّ، الكفر أعظم من أن يقول هذا الكلام هو وغيره، فما كان فيه من كفرٍ فقد محاه الله بالإسلام، من عبد الرّحمٰن ومن عبد الله ومن غيرهم، ومن عمر رضي الله عنه ومن غيرهم؛ فإن الإسلام يجبّ ما قبله، والتّوبة تجبّ ما قبلها، ولا يجوز أن يعيّر الإنسان في الإسلام بما فعله في الكفر، لا من مروان ولا من غيره، لا يجوز أن يعيّر الإنسان بذنبٍ قد تاب منه، أو بالكفر وقد أسلم؛ هذا لا يجوز.

إنّما التّعيير والذّمّ لمن أصرّ على الكفر، وأصرّ على المعاصي، هو الّذي يعاب ويتكلّم عليه، ويزجر حتّى يتوب، أمّا من تاب أو أسلم بعد كفره؛ فلا يجوز أن يعاب بشيءٍ فعله في الكفر، ولا أن يعاب بشيءٍ فعله قبل التّوبة.

● س: بالنّسبة للرّافضة ما يطلق على الغلاة أنّهم كفارٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بلى، الرّافضة كفّارٌ بلا شكٍّ، الّذين يعبدون عليًّا رضي الله عنه ويقولون:

إنّه إلٰهٌ مع الله، ويستغيثون به، ويدعونه وينذرون له؛ لا شكَّ فيهم، أو يسبّون الصّحابة ﷺ جميعًا إلّا قليلًا؛ هم كفّارٌ.

لكن الشّيعة أقسامٌ، ليس كلّهم رافضة. الشّيعة أقسامٌ كثيرةٌ؛ اثنان وعشرون قسمًا، أو أكثر، فيهم الكافر، وفيهم المبتدع.

والحاصل والجامع: هو عملهم، من كان عمله يكفّره كفر.

• **س: العاصي قبل أن يتوب يجوز أن يعيّر بذنبه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إي نعم، حتّى يتوب، أمّا إذا تاب لا.

• **س: من يسبّ أصحاب رسول الله ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

من سبّهم كفر، من سبّهم على العموم كفر؛ لأنّه يدلّ على بغضه لهم، نسأل الله العافية.

• **س: الرّسول ﷺ لعن أبا مروان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله أعلم، ورد في بعض الأحاديث في صحّتها نظرٌ، الحكم، وهو صحابيٌّ أسلم رضي الله عنه.

• **س: ما لقبه (اسمه)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الحكم بن العاص بن أبي أميّة، ولو ثبت أنّه سبّه فالإسلام يجبّ ما قبله أيضًا، مثل ما سبّ أبا جهلٍ، وسبّ أبا لهبٍ، وسبّ غيرهم، فمن مات على كفره فهو على إشراكه، ومن أسلم محي عنه ما سبق.

• **س: يبدّل الله سيّئاتهم حسناتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

إذا تاب وعمل صالحًا، يقول الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٩﴾ **[الأحقاف: ١٩]**[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

[وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾؛ أي: لكل عذاب بحسب عمله ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها.

قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: درجات النار تذهب سفالًا، ودرجات الجنة تذهب علوًّا، وقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾؛ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا، وقد تورَّع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزّه عنها ويقول: «إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم ووبَّخهم وقرعهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾».

وقال أبو مجلز: ليفقدن أقوام حسنات كانت لهم في الدنيا، ويقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾، وقوله ﷻ: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾].

---

(١) تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والآية المقصود منها: شغلوا بها عن الآخرة وعن طاعة الله، أما من استمتع بها واستعان بها على طاعة الله فلا بأس، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، فلا حرج في ذلك، وهذا من نعم الله، لكن ليستعن بها على طاعته، وليحذر معصيته، أما من تمتع بالطيبات واستعان بها على المعاصي فهذا، أقول: كفر، فهذا هو الموبخ، نسأل الله العافية.

❊

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ...﴾ **[الأحقاف: ٢٠]**(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾، فجُوزوا من جنس عملهم، فكما متعوا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون، وهو الإهانة والخزي والآلام الموجعة والحسرات المتتابعة والمنازل في الدركات المفظعة، أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

آمين آمين، نسأل الله العافية، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

❊

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢١ ـ ٢٥][(١)].

يقول تعالى مسليًا لنبيِّه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ وهو هود ـ عليه الصلاة والسلام ـ، بعثه الله ﷻ إلى عاد الأولى، وكانوا يسكنون الأحقاف، جمع حقف وهو الجبل من الرمل، قاله ابن زيد، وقال عكرمة: الأحقاف: الجبل والغار، وقال علي بن أبي طالب ﵁: «الأحقاف: وادٍ بحضرموت يُدعَى برهوت، تلقى فيه أرواح الكفار»، وقال قتادة: ذكر لنا أن عادًا كانوا حيًّا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشحر.

قال ابن ماجه: باب إذا دعا فليبدأ بنفسه، حدثنا الحسين بن علي الخلال، حدثنا أبي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا سفيان.

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

انظر «التقريب» الحسن والحسين بن علي الخلال في نفسي أنه الحسن، انظر لعله شبيه له.

---

(١) من تعليقات سماحته ﵀ على تفسير الحافظ ابن كثير ﵀.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[حدثنا الحسين[١] بن علي الخلال: حدثنا أبي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا سفيان، حدثنا علي بن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يرحمنا الله وأخا عاد**».

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾؛ يعني: وقد أرسل الله تعالى إلى من حول بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين؛ كقوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦]، وكقوله جل وعلا: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [فصلت: ١٣ ـ ١٤].

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: قال لهم هود ذلك فأجابه قومه قائلين: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾؛ أي: لتصدنا عن آلهتنا ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعادًا منهم وقوعه؛ كقوله جلَّت عظمته: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]. ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم، وأما أنا فمن شأني أني أبلغكم ﴿مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾؛ أي: لا تعقلون ولا تفهمون، قال الله تعالى.

مداخلة: [الحسن بن علي بن محمد الهذلي أبو علي الخلال الحلواني، بضم المهملة، نزيل مكة ثقة حافظ له تصانيف من الحادي عشر مات سنة اثنتين وأربعين، البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه].

---

(١) صوابه: الحسن.

(الشيخ): فيه الحسين بن علي؟

مداخلة: الحسين بن علي، لكن ليس الخلال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم هذا الذي نعرف الحسن بن علي الخلال بالتكبير، حط عليه صوابه الحسن كما في «التقريب» الحسن، صلح الحسن بن علي الخلال التكبير.

مداخلة: أحسن الله إليك! الحديث هذا صحيح؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، أعد سنده حدثنا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[قال ابن ماجه: باب: إذا دعا فليبدأ بنفسه، حدثنا الحسن بن علي الخلال، حدثنا أبي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا سفيان، حدثنا علي بن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما].

[**«يرحمنا الله وأخا عاد»**].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

له نظائر البدء بالنفس له نظائر، اللَّهُمَّ اغفر لي ولوالدي، أقول: البداء بالنفس هو السُّنَّة، وفي الحديث الآخر: **«رحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد»** الدعاء للأنبياء بالرحمة عليهم الصلاة والسلام، هذا السند جيد لولا أبو الحسن كان في الرواية: حدثني أبي أبوه ما أعرف حاله أبو الحسن، أما بقية السند فجيد، انظر علي الحسن بن علي، أيش الحسن بن علي ابن في «التقريب»، جده وما اسمه أبو علي؟

مداخلة: الحسن بن علي بن محمد الهذلي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

انظر علي محمد بن الهذلي... يراجع ابن ماجه... أحمد تراجع ابن ماجه، تأخذ (سند ابن ماجه) إن شاء الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

[قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾؛ أي: لما رأوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا أنه عارض ممطر ففرحوا واستبشروا به، وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: هو العذاب الذي قلتم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. ﴿تُدَمِّرُ﴾؛ أي: تخرب كل شيء من بلادهم، مما من شأنه الخراب ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾؛ أي: يأذن الله لها في ذلك؛ كقوله تَعَالَىٰ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢]؛ أي: كالشيء البالي، ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾؛ أي: قد بادوا كلهم عن آخرهم]. ولم تبقَ لهم باقية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذه العقوبة العظيمة لما عتوا، اعتدوا وتكبروا واعترضوا على نبيِّهم صلى الله عليه... وقالوا: (أتنا بما تعدنا) عجَّل الله لهم الريح العقيم نسأل الله العافية، ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ يعني كل شيء يأتي عليه التدمير بالرياح، أما المساكن فبقيت، لكن هم هلكوا، نسأل الله العافية.

مداخلة: ما ذكر يا شيخ علي بن محمد الهذلي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يمكن ما له رواية، يمكن زيادة حدثني أبي محل نظر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا

وخالف أمرنا، وقد ورد حديث في قصتهم، وهو غريب جدًّا من غرائب الحديث وأفراده، قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي قال: حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال: «خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فمررت بالربذة، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فقالت لي: يا عبد الله! إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة، فهل أنت مبلغي إليه»؟.

قال: فحملتها، فأتيت بها المدينة، فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وإذا بلال رضي الله عنه متقلدًا السيف بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه وجهًا قال: فجلست فدخل منزله، أو قال: رحله، فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت فسلمت، فقال ﷺ: «**هل كان بينكم وبين تميم شيء؟**»، قلت: نعم، وكانت لنا الدائرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها، فسألتني أن أحملها إليك فها هي بالباب، فأذن لها فدخلت، وقلت: يا رسول الله! إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزًا فاجعل الدهناء، فحميت العجوز واستوفزت وقالت: يا رسول الله! فإلى أين يضطر مضرك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، مضر، مضر؛ لأن بني تميم من مضر، هذه حميت لقومها، شالها بأحسن فيها وصارت ضده، حميت لقومها بني تميم؛ يعني: جعلت الدهناء بينهم أين تضطر مضرك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[«قلت: إن مثلي ما قال الأول، معزى حملت حتفها، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد، قال: وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه، قلت: إن

عادًا قحطوا فبعثوا وفدًا لهم يقال لهم: قيل، فمر بـمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر، وتغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة، فقال: اللَّهُمَّ إنك تعلم إني لم أجئ إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه، اللَّهُمَّ اسق عادًا ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود، فنُودي منها: اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنُودي منها: خذها رمادًا رمددًا لا تبقي من عاد أحدًا، قال: فما بلغني أنه أُرسل عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا»، قال أبو وائل: وصدق، وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد[١]. ورواه الترمذي والنسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني وافد عاد أولًا جلس شهرًا ما استسقى لهم، قاعد يشرب الخمر، ما استسقى لهم، ثم لما استسقى لهم سُقوا بالعذاب، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية.

مداخلة: سلام بن سليمان المزني أبو المنذر القاري النحوي البصري، نزيل الكوفة صدوق يهم، قرأ على عاصم من السابعة، مات سنة إحدى وسبعين. الترمذي والنسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم هذا هو.

مداخلة: يكون ضعيفًا، أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، لا بأس به، لكن غريب فيه غرابة، أما سنده فلا بأس به في الجملة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٨٢).

مداخلة: وعاصم، عفا الله عنك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

عاصم، من رجال مسلم، ما يخالف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه كما تقدم في سورة الأعراف، وقال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، أخبرنا ابن وهب].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نص القرآن كافي، استعجلوا العذاب وعصوا رسولهم، فنزل الله لهم العذاب، الريح العقيم نسأل الله العافية، (آتنا بما تعدنا)، مكذبين مستكبرين نسأل الله العافية، يقول: ويقولوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فأرسل الله عليهم ريحًا صرصرًا ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، نسأل الله العافية.

• س: لغرابتها من جهة أن الله أرسل لهم العذاب لما استكبروا عن طاعة الرسول ﷺ وقوم هود، أنزل الله العذاب كونه بسبب الاستسقاء هذا، ليس بسبب الاستسقاء، هم عُذِّبوا بسبب أعمالهم الخبيثة كفرهم، واستكبارهم عن طاعة هود، يجوز فيه ما يملكه الشخص،... بالله بك من خادمته من زوجتك، الشيء الذي يقدر عليه لا بأس.

مداخلة: عفا الله عنك! حمل المرأة...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا من غرابته أيضًا، وقد يكون هذا قبل تحريم الخلوة أو لأنه رآها عجوز...، المقصود الأصل في هذا التحريم، حمل المرأة بغير محرم، فهذا من غرابة الحديث.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، أخبرنا ابن وهب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

. . . صحيح يكون من باب الضرورة لأنها منقطعًا بها، وقد يكون من باب الضرورة أيضًا، يتركها، فإن تركها لهلكت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثَّه عن سليمان بن يسار عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم»، وقالت: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله! إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية»، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، وقالوا:** ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾»، وأخرجاه من حديث ابن وهب[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (يتبسم) هذا هو الأكثر، وإلا قد يضحك عليه الصلاة والسلام، صحت الأحاديث إنه قد يضحك، كما في قصة الذي قال: «يا رسول الله! ما في المدينة أهل بيت أفقر إليه منا»، الذي أتى امرأته في رمضان، المقصود أنه قد يضحك ولكنه قليل والغالب التبسم عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

طريق أخرى، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن عن سفيان عن

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ برقم (٤٨٢٩)، ومسلم في كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر برقم (٨٩٩).

المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ناشئًا في أفق من آفاق السماء ترك عمله، وإن كان في صلاته ثم يقول: **اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من شر ما فيه**[1]، فإن كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل، وإن أمطر قال: **اللَّهُمَّ صيبًا نافعًا**»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إذا كان رسول الله ﷺ وهو أعدل الناس وأتقى الناس يخاف، فكيف بغيره؟ إذا رأى الغيم دخل وخرج وتغير، يخشى أن يكون فيه عذاب، مع كونه أتقى الناس، وصحابته أفضل الناس، فكيف بحالنا ولا حول ولا قوة إلا بالله؟ الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله، انظر المقدام بن شريح، الله المستعان، المقدام بن شريح.

ـ حسر الرأس والثوب في المطر.

● س: أحسن الله إليك! حسر الرأس في المطر وحسر الثوب عن الظهر؟

○ **الجواب:** «كان النبي إذا رآى مطرًا حسر ثوبه حتى يصيبه المطر» رواه مسلم في الصحيح، يحسر عن رأسه أو عن ذراعه، لا بأس.

مداخلة: أحسن الله إليك! النبي ﷺ تركه للصلاة، الصلاة النافلة أم الفريضة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

النافلة، الاشتغال يعني: يترك الشغل، يتعوذ بالله من شر الناشئة، لعل الله يكفيه شرها.

ـ رفع البصر إلى السماء في صلاة النافلة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها (٦/ ١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا مطرت برقم (١٠٣٢).

السؤال: هل يجوز رفع الرأس إلى السماء في النافلة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

النافلة، لا، لا يرفع رأسه الذي يصلي ما يرفع رأسه، ينظر إلى موضع سجوده، الرسول ﷺ قال: «**لينتهن أو لتخطفن أبصارهم**»[(١)]، لا في الفريضة ولا في النافلة لا يرفع.

ـ معنى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إنه حديث عهد بربه**».

• **س: أحسن الله إليك! كان الرسول ﷺ يحسر عن رأسه ويتعرض... ماء حديث عهد بربي، ما معنى حديث عهد بربي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الله أعلم؛ يعني: نزل من علو، كلما كان من علو، فهو أقرب إلى الله. نعم.

مداخلة: المقدام بن شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي الكوفي ثقة من السادسة، البخاري في «الأدب» ومسلم والأربعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

انظر شريح أبوه شريح بن هانئ.

مداخلة: أحسن الله إليك! ذكر في «الخلاصة» وثَّقه أبو حاتم.

(الشيخ): شريح بن هانئ.

مداخلة: . . . العاقبة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قد يكون العاقبة الهلاك، قد يكثر السيل ثم يغرقون.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري من كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة برقم (٧٥٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة برقم (٤٢٩).

مداخلة: شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي المذحجي أبو المقدام الكوفي المخضرم ثقة من الثانية، قُتِل مع أبي بكرة في سجستان، البخاري في «الأدب» ومسلم والأربعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

... جيد، نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

طريق أخرى، قال مسلم في «صحيحه»: حدثنا أبو بكر الطاهر، أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسْألَك خيَرَها وَخَيْرَ ما فيَها وَخَيْرَ ما أُرسْلَتْ به، وأعُوذُ بكَ منْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فيهَا وَشَرِّ مَا أُرسلَتْ به**»[1]، قالت: وإذا تخبلت السماء».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وإذا تخيلت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل...».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

تخيلت؛ يعني: خرجت يغشي عليها السحاب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سُرِّيَ عنه، فعرفت ذلك عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فسألته، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر برقم (٨٩٩).

«لعلَّه يا عائشة كما قال قوم عاد، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾» وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الأعراف وهود بما أغنى عن إعادتها هاهنا ولله تعالى الحمد والمنة، وقال الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا إسماعيل بن زكريا الكوفي، حدثنا أبو مالك بن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم، ثم أرسلت عليهم في البدو إلى الحضر، فلما رآها أهل الحضر،** ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ **مستقبل أوديتنا، وكان أهل البوادي فيها، فألقي أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا،** قال: **عتت على خزانها حتى خرجت من خلال الأبواب والله سبحانه وتعالى أعلم»**[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ **[الأحقاف: ٢٤]**[2].

قال ابن عبّاسٍ: (عارضٌ): السّحاب.

حدّثنا أحمد، حدّثنا ابن وهبٍ، أخبرنا عمرٌو، أنّ أبا النّضر حدّثه، عن سليمان بن يسارٍ، عن عائشة رضي الله عنها زوج النّبيّ ﷺ قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتّى أرى منه لهواته، إنّما كان يتبسّم»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٢) برقم (١٢٤١).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٣) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب التفسير، باب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ برقم (٤٨٢٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا من كمال علمه بالله عليه الصّلاة والسّلام، «مَن كان بالله أعرف كان منه أخوف»[١]. هذا مع استقامة كونه نبيّ الله، وكونه من معه أولياء الله، ومع هذا يخاف، ونحن ومن شابهنا مع المعاصي لا نخاف!! ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. نسأل الله السّلامة.

وكان إذا رأى الغيم دخل وخرج وتغيّر حتّى يمطر، فإذا أمطروا سرّي عنه عليه الصّلاة والسّلام، ويقول: «**إنَّ قَومًا رَأَوا عَارِضًا فقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ ممطِرُنَا**»، فإذا هو فيه عذابهم. نسأل الله العافية. لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

● **س: يا شيخ: المقصود بحديث ركوب الدّابّة في آخر شيء يقول: ثمّ ينظر إلى السّماء يبتسم أو يضحك الرّسول** ﷺ**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا أعلم في هذا شيئًا، لكن المرفوع عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنّ الغالب عليه عدم الضّحك بصوتٍ، إنّما كان يتبسّم هذا الغالب عليه، عليه الصّلاة والسّلام.

قالت: «وكان إذا رأى غيمًا، أو ريحًا، عُرف في وجهه، قالت: يا رسول الله، إنّ النّاس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية؟» فقال: «**يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى**

---

(١) هي كلمةٌ مأثورةٌ عن أحمد بن عاصم الأنطاكيّ المتوفى سنة (٢٣٠هـ) - المعروف بواعظ دمشق - وقد رواها عنه المرْوزي رَحِمَهُ اللهُ في «تعظيم قدر الصّلاة» (٧٨٦) قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيَّ، يَقُولُ: «مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللهِ أَخْوَفَ». قَالَ أَحْمَدُ: صَدَقَ وَاللهِ.

قَوْمُ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا شاهدٌ لما قال السّلف: «من كان بالله أعرف كان منه أخوف»، كان إذا رأى العارض والغيم والرّياح خاف أن يكون عذابًا؛ لأنّ عادًا رأوا العارض فظنّوه خيرًا، وكان فيه عذابهم، نسأل الله العافية. فالواجب على أهل الإيمان الخوف والحذر دائمًا: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]؛ لأنّ الخوف يحمل على الاستعداد والحذر والاستقامة، والرّجاء قد يضعف، ولهذا كان إذا رأى الغيم أو الرّياح خاف حتّى ينجلي الأمر، وهؤلاء عاد رأوا عارضًا من السّحاب؛ فظنّوا أنّه ممطرهم؛ فصار فيه هلاكهم. نسأل الله العافية[٢].

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ برقم (٤٨٢٩)، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم برقم (٨٩٩)، بنحوه.

(٢) هنا ورد هذا السؤال، ولعله متعلقٌ بدرسٍ آخرَ:
قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وجدتَ (عبد خيرٍ) ماذا يقول؟
[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التقريب» (٣٧٨١)]: «عبد خير بن يزيد الهمداني، أبو عمارة الكوفي، مخضرمٌ ثقةٌ من الثَّانِيَة، لم يصح له صحبة ٤».
قال رَحِمَهُ اللَّهُ: مخضرمٌ من الثَّانِيَة، الجماعةُ؟
(من الطالب): لا، الأربعة؟
قال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، (ع) الجماعة. راجع كلامه في «التهذيب»؟
(من الطالب): قراءة ترجمة عبد خير، من «التهذيب».
قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الهمْداني بالتسكين، الهمْداني نسبة إلى هَمْدان من قحطان اليمن، أما الهَمَذاني بالذال وفتح الميم فهذا نسبة إلى همَذان بلد بالمشرق.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ: علامته؟
(من الطالب): الأربعة.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الظاهر أنه الجماعة، مقطوعة فقط، العين مقطوعة، الجماعة، =

● **س: أحسن الله إليك، فرح العوام عند رؤية الغيم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل ما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذا الغالب على النّاس، مثل ما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: النّاس يفرحون، يرجون الغيث.

● **س: عفا الله عنك، الحافظ قال على قولها: إنّما كان يتبسّم: «لا ينافي هذا ما جاء في الحديث الآخر: «أَنَّهُ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»(١)؛ لأنّ ظهور النّواجذ ـ وهي الأسنان الّتي في مقدّم الفم أو الأنياب ـ لا يستلزم ظهور اللهاة»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرادها إخبارها، الغالب إنّما كان يتبسّم، هذا الغالب، وإلّا كان يضحك بعض الأحيان، ضحكًا يسمع عليه الصّلاة والسّلام، كما في حديث الّذي سأل عن الجماع في رمضان، وأنّه ما عنده لا يستطيع كفارةً بالعتق، ولا بالصّوم، ولا بالإطعام؛ فلمّا جاء بعض التّمر للنّبيّ ﷺ أمره أن يطعم قال: يا رسول الله، ما في المدينة أهل بيتٍ أحوج إلى هذا الطّعام منّا. فضحك النّبيّ ﷺ حتّى بدت نواجذه عليه الصّلاة والسّلام، يقع له اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، لكن الغالب التبسّم عليه الصّلاة والسّلام.

= الظاهر أنه أخرج له الشيخان.

وهذا اسم جاهليٌّ: عبد خير هذا، ما دام مخضرمًا سمِّي به في الجاهلية ولم يغيَّر، ويحتمل أنه لقب، وأن اسمه عبد الرحمٰن كما قال بعضهم اسمه عبد الرحمٰن.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة برقم (٦٥٢٠)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب نزل أهل الجنة برقم (٢٧٩٢).

• **س: خوف الرّسول عليه الصّلاة والسّلام هذا قبل أن يخبره الله ﷻ أنّه لن يُهلك أمته بسنةٍ أم عامٌّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ظاهر الحديث العموم؛ لأنّه ما يلزم من وجود العذاب العموم، أقول: ما يلزم من وجود العذاب العموم، قد يقع العذاب في مدينةٍ، أو في قريةٍ، أو في محلٍّ خاصٍّ. نسأل الله العافية.

• **س: يعني يخشى أن يكون في بلدٍ آخر يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يخشى أن يكون فيه عذابٌ.

• **س: يعني لو في غير المكان هذا الّذي فيه النّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، ليس بلازمٍ أن يكون في محلٍّ معينٍ.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف: ٢٦ ـ ٢٨][(١)].

يقول تعالى: ولقد مكَّنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله، ولا قريبًا منه، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في جامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض بقراءة فضلية الشيخ أحمد العرفج.

سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبوا به ويستبعدون وقوعه؛ أي: فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثلما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ يعني: أهل مكة، وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، وكذلك سبأ وهم أهل اليمن، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة، وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها أيضًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: فيها عظة، معناه: أن هذه الأمم سبقتكم وفيها عظة لكم، أفلا تعتبرون؟ أفلا تتعظون؟ هذه مساكن عاد ومساكن ثمود ومساكن قوم لوط ومساكن قوم شعيب، قد قصَّ الله عليكم أخبارهم أيها العرب، أيها الساكنون في الجزيرة في مكة وفي غيرها ألا تتعظون بأولئك؟ عاد أهلكهم الله بالريح العقيم، ثمود أهلكهم الله بالصيحة، قوم شعيب بالصيحة والرجفة، عاد بالريح العقيم، قوم لوط بالخسف والرجم، والله يذكِّركم هذه الأشياء؛ لتتعظوا حتى لا يصيبكم ما أصابهم، لا حول ولا قوة إلا بالله، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: بيَّناها وأوضحناها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾؛ يعني: هلَّا نصرهم؛ يعني: هلا نصرهم، ما

نصروهم ما يستطيعون، لا ينصرون أنفسهم، ولا ينصرون غيرهم، إذا جاء أمر الله أخذ الجميع، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: فهل نصروهم عند احتياجهم إليهم، ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾؛ أي: بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم، ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾؛ أي: كذبهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢][(١)].

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، حدثنا عمرو: سمعت عكرمة عن الزبير: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال: بنخلة، ورسول الله ﷺ يصلي العشاء الآخرة، ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، قال سفيان: ألبد بعضهم على بعض؛ كاللبد بعضه على بعض تفرد به أحمد[(٢)]، وسيأتي من رواية ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس أنهم سبعة من جن نصيبين.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٦٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة ح وقال الإمام الشهير الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه «دلائل النبوة»: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا إسماعيل القاضي، أخبرنا مسدد، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب، ورجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة عامدًا إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا: يا قومنا ﴿...إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]، وأنزل الله على نبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، وإنما أوحي إليه قول الجن» رواه البخاري[1] عن مسدد بنحوه، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة به، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة. وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير.

(١) متفق عليه من حديث سعيد جبير رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر برقم (٧٧٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن برقم (٤٤٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مراد ابن عباس أن الرسول ﷺ لم يخاطبهم ولم يعلم بهم، إنما أخبره الله عن حضورهم واستماعهم وما جرى منهم في سورة الجن وفي سورة الأحقاف، كما تقدم في قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وقد سمعوا منه، وقد جاءوا إليه، كما يأتي إن شاء الله، حضروا عنده ولم يعلم بهم، وجاء داعيهم إليه ودعاهم، هذا وقع، وهذا وقع، كله وقع كما يأتي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان الجنّ يصعدون إلى السّماء يستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا فأمّا الكلمة فتكون حقًّا وأمّا ما زادوه فيكون باطلًا فلمّا بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النّجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس ما هذا إلّا من أمرٍ قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلّي بين جبلين أراه قال بمكّة فأتوه فأخبروه فقال: هذا الّذي حدث في الأرض». ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننيهما من حديث إسرائيل به، وقال الترمذي: حسن صحيح[(١)]، وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا بمثل هذا السياق بطوله، وهكذا قال الحسن البصري: «إنه ﷺ ما شعر بأمرهم حتى

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سدرة الجن برقم (٣٣٢٤). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أنزل الله تعالى عليه بخبرهم، وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان، عن محمد بن كعب القرظي قصة خروج النبي ﷺ إلى الطائف ودعائه إياهم إلى الله ﷻ وإبائهم عليه، فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن: «**اللَّهُمَّ إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني، أم إلى صديق قريب ملّكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك، ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(١)]، قال: فلما انصرف عنهم بات بنخلة، فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعته الجن من أهل نصيبين»، وهذا صحيح، ولكن قوله: إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر، فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء كما دل عليه حديث ابن عباس ﵄ المذكور، وخروجه ﷺ إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين، كما قرره ابن إسحاق وغيره والله أعلم، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، قال: صه، أو صه، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ إلى: ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، فهذا مع الأول من رواية ابن عباس ﵄ يقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قراءته

---

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/٣٥) قال الهيثمي: فيه ابن إسحاق وهو مدلس.

ثم رجعوا إلى قومهم، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالًا قومًا بعد قوم وفوجًا بعد فوج، كما ستأتي بذلك الأخبار في موضعها، والآثار مما سنوردها هاهنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة، فأما ما رواه البخاري ومسلم جميعًا عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن مسعر بن كدام عن معن بن عبد الرحمٰن قال: سمعت أبي يقول: «سألت مسروقًا مَن آذن النبي ﷺ ليلة استمعوا القرآن؟ وقال: حدثني أبوك ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ أنه آذنته بهم شجرة[(١)]، ويحتمل أن يكون هذا في المرة الأولى ويكون إثباتًا مقدمًا على نفي ابن عباس رضي الله عنهما، ويحتمل أن يكون في الأولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة؛ أي: أعلمته باجتماعهم والله أعلم».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

عن أبي أسامة غلط. أبي أسامة حماد بن أسامة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات، والله أعلم، قال الحافظ البيهقي: وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ وعلمت حاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن، فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل، كما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ذكر الرواية عنه بذلك.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن برقم (٣٨٥٨)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن برقم (٤٥٠).

مداخلة: كيف سألوا إبليس وهم جن من المسلمين؟ فلما سألوا إبليس، ما هذا الأمر الذي حدث، فبث جنوده؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما المانع، إذا هداهم الله وأسلموا ولم يسلِم فأخبروه، مثل ما يخبر المسلمون سلاطينهم الكفرة الآن.

مداخلة: الجن أرسل إليهم أنبياء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم.

مداخلة: الجن أرسل إليهم أنبياء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

المعروف أنهم نذر قال بعضهم: رسل كمذهب الظاهرية، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، قال بعضهم: الرسل من الإنس والجن جاءهم نذر من الرسل بواسطة الرسل، والقول بأنه جاءهم رسول منهم قول قوي، كما قال الظاهرية وجماعة؛ لأن الآية عامة: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ يعم الجن والإنس.

مداخلة: الدعاء المتقدم أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: في سنده ضعف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

[قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة، أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال: «قلت لعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ فقال: ما صحبه منا أحد، ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة، فقلنا: اغتيل؟ استطير؟ ما فعل؟ قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كان في

وجه الصبح أو قال: في السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله! فذكروا له الذي كانوا فيه، فقال: «**إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم، قال: فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم**»، وقال: قال الشعبي: سألوه الزاد، قال عامر: سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال: «**كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم**». قال: «**فلا تستنجوا بها، فإنها زاد إخوانكم من الجن**». وهكذا رواه مسلم في «صحيحه»(١) عن علي بن حجر عن إسماعيل ابن علية، به، نحوه.

وقال مسلم أيضًا: حدثنا محمد بن مثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود ـ وهو: ابن أبي هند ـ عن عامر قال: «سألت علقمة»: هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال: علقمة؟ أنا سألت ابن مسعود رضي الله عنه فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقيل: استطير، اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول اللهّ فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: **أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن**، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: **كل عظم ذُكِر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم**، قال رسول الله ﷺ: **فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم**».

طريق أخرى: عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال أبو جعفر بن جرير:

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن برقم (٤٥٠).

حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن، حدَّثني عمي، حدَّثني يونس عن الزهري عن عبيد الله قال: إن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **بت الليلة أقرأ على الجن واقفًا بالحجون**».

طريق أخرى: فيها: «إنه كان معه ليلة الجن».

قال ابن جرير ﵀: حدثني أحمد بن عبد الرحمٰن بن وهب، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي، وكان من أهل الشام، قال:

إن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو بمكة: «**من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل، فلم يحضر منهم أحد غيري، قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعالي مكة خط لي برجله خطًّا ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام، فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فتبرز ثم أتاني فقال: ما فعل الرهط؟ قلت: ما هم أولئك يا رسول الله، فأعطاهم عظمًا وروثًا زادًا، ثم نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم**». ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي زرعة وهب بن راشد عن يونس بن يزيد الأيلي به[1].

ورواه البيهقي في «الدلائل» من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به، وقد روى إسحاق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مسعود ﵁، فذكر نحو ما تقدم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/٤١٦).

ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق موسى بن عبيدة عن سعيد بن الحارث عن أبي المعلى عن ابن مسعود ﷺ، فذكر نحوه أيضًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المحفوظ إنه ما حضره ابن مسعود؛ لأن هذه الطرق الضعيفة كلها، الأحاديث الصحيحة أنه لم يحضرهم لا هو ولا الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، في هذا أنه ﷺ ذهب إليهم وأجاب دعوتهم، وفي سورة الأحقاف أنهم صُرفوا إليه وسمعوا قراءة قرآن، هذا واقع وهذا واقع؛ لأن الله بعثه إلى الجميع، إلى الجن وإلى الإنس: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] فبعثه الله إلى الجميع، فسمعوا القرآن وأسمعهم القرآن وبلغهم الدعوة ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

مداخلة: قول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الجن يتزاوجون من الإنس وينجبون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ليس بجيد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[طريق أخرى: قال أبو نعيم: حدثنا أبو مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي قال: حدثنا عفان وعكرمة قالا: حدثنا معتمر قال: قال أبي: حدثني أبو تميمة عن عمرو ولعله قد يكون قال البكالي يحدثه عمرو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «استتبعني رسول الله ﷺ، فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط لي خِطَّةً فقال لِي: **كُنْ بَيْنَ ظَهَرَي هَذِهِ لا تَخْرُج مِنْهَا، فَإِنك إِنْ خَرَجْتَ هَلَكت**، فذكر الحديث بطوله، وفيه غرابة شديدة»[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٩٩).

طريق أخرى: قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه: «حدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن، قال: أجل، قال: فكيف كان؟ فذكر الحديث، وذكر أن النبي ﷺ خط عليه خطًّا وقال: **«لا تبرح منها»**، فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله ﷺ فذعر ثلاث مرات، حتى إذا كان قريبًا من الصبح أتاني النبي ﷺ فقال: **«أنمت؟»** فقلت: لا والله، ولقد هممت مرارًا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول: **«اجلسوا»**، فقال ﷺ: **«لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم»**، ثم قال ﷺ: **«هل رأيت شيئًا؟»** قلت: نعم، رأيت رجالًا سودًا مستثفرين ثيابًا بياضًا، قال ﷺ: **«أولئك جن نصيبين**[1]**، سألوني المتاع، والمتاع الزاد، فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة»**، فقلت: يا رسول الله! وما يغني ذلك عنهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثًا إلا وجدوا فيه حبها يوم أكلت، فلا يستنقين أحد منكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود أن الله يجعل لهم فيها متاع، العظم... أوفر ما كان والروثة والبعرة تعود إليهم بأحسن ما كان من العلف، وهذا فضل من الله، وهذا أصل: ورواه مسلم في «الصحيح» حديث ابن مسعود.

مداخلة: الطرق هذه ما يشد بعضها بعضًا على أن ابن مسعود...؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/٤٥٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: . . . الأحاديث الصحيحة ما فيه، نفى، نفى ذلك.

مداخلة: والطرق هذه. . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلها معلولة.

مداخلة: أو يدل على أنه كانوا قبل دعوة النبي ﷺ في قلة من الزاد لهم ولجماعتهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

طائفة، لعل هذه الطائفة التي قابلته، أقول: لعلها طائفة ليس بكلهم، التي قابلته وأسلمت.

مداخلة: عفا الله عنك! على التحريم العظام، أقول: على التحريم ـ عفا الله عنك ـ الاستجمار بها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، على التحريم، هذا الأصل، الأصل في النهي التحريم.

مداخلة: ولو استجمر واحد. . . تكفي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، ما تكفي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول النبي ﷺ: «**فإنهما لا يطهران**».

مداخلة: لا تنقلب. . .غذاءً إلا إذا سمى عليها فقط؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم؟

مداخلة: لا تنقلب طعامًا لهم إلا إذا سمى. . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا سمى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[طريق أخرى: قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو

عبد الرحمٰن السلمي وأبو نصر بن قتادة قال: أخبرنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا روح بن صلاح، حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: استتبعني رسول الله ﷺ فقال: إنَّ نفرًا من الجن خمسة عشر بني إخوة وبني عم يأتوني الليلة أقرأ عليهم القرآن وانطلقت معه إلى المكان الذي أراد، فخط لي خطًّا وأجلسني فيه وقال لي: «**لا تخرج من هذا**»، فبت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحمة، فقال: «**إذا ذهبت إلى الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء**»[(١)]، قال: فلما أصبحت قلت: لأعلمن حيث كان رسول الله ﷺ، قال: فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرًا» طريق أخرى].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود زاد إخواننا من الجن، يعني: زاد المسلمين تكون تكون زادًا للمسلمين من الجن، العظام والروث يكون لدواب مسلمي الجن خاصة.

مداخلة: أقول: أبو عبد الرحمٰن السلمي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ثقة إمام، ثقة إمام أبو عبد الرحمٰن ثقة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما أدري... وأما التابعي ثقة.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط برقم (٨٩٩٥) (١٧/٩)، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ضعَّفه الأئمة أحمد وغيره ووثَّقه ابن معين وعبد الملك بن شعيب بن الليث، وبقية رجاله رجال الصحيح.

مداخلة: تقرعهم بعصاك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

... الروايات هذه فيها نظر، نعم، مثلما تقدم، المعروف أن ابن مسعود لم يحضر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

طريق أخرى: قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا عثمان بن عمر عن الشمر بن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط لي خطًّا، ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له وزدان: أنا أرحلهم عنك».

فقال: إني لن يجيرني من الله أحد».

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا سفيان عن أبي فزارة العبسي، حدثنا أبو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لما كان ليلة الجن قال لي النبي ﷺ: **«أمعك ماء؟»** قلت: ليس معي ماء، ولكن معي إداوة فيها نبيذ، فقال النبي ﷺ: **«تمرة طيبة وماء طهور»**[(١)]، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن زيد به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لو صحَّ فإن المراد يعني: يسير من التمر ما يؤثر وإلا فالحديث ضعيف نعم؛ لأنه إذا دخله التمر صار، ما صار ماءً مطلقًا، صار ماءً،

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الطهارة، باب الوضوء بالنبيذ برقم (٨٨)، وابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الوضوء بالنبيذ برقم (٣٨٤)، والإمام أحمد (١/ ٤٠٢، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٨).

صار ماءً آخر، يستعمل شرابًا آخر من جنس الأشربة الأخرى، التي تستعمل من العسل والتمر ومن غيرها.

مداخلة: ولا يتوضأ...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يصير، ما يصير ماءً، يصير حلوى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، أخبرنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في طريق آخر غير هذا؟

مداخلة: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا عبد الرزاق: أخبرني أبي عن ميناء عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة وفد الجن، فلما انصرفا تنفس فقلت: ما شأنك، قال: نعيت إلى نفسي يا ابن مسعود»، هكذا رأيته في المسند مختصرًا، وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه «دلائل النبوة» فقال: حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، وحدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي قال: حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن ابن مسعود قال: «كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة وفد الجن فتنفس، فقلت: ما لك يا رسول الله، قال: **نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود**، قلت: استخلف، قال: **من؟** قلت: أبا بكر، قال: فسكت، ثم مضى ساعة فتنفس، فقلت: ما شأنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: **نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود**، قلت: استخلف، قال:

من؟ قلت: عمر، فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس، فقلت: ما شأنك؟ قال: **نعيت إلي نفسي**، قلت: فاستخلف، قال ﷺ: من؟ قلت: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال ﷺ: **أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين**» وهو حديث غريب جدًّا وأحرى به ألا يكون محفوظًا[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا من وضع الشيعة، من خرافات الشيعة قاتلهم الله، انظر في «التقريب» همام أبو عبد الرزاق وانظر ميناء... شيخ همام لعله يذكره في «التقريب» أو في «الخلاصة».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وبتقدير صحته فالظاهر أن هذا بعد وفودهم إليه بالمدينة على ما سنورده إن شاء الله تعالى، فإن في ذلك الوقت كان في آخر الأمر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان أيضًا في دين الله أفواجًا

---

(١) أخرجه الطبراني وفيه ميناء وهو كذاب، قال الهيثمي (٥/ ١٨٥) قلت: وله طريق آخر عند الطبراني وفيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف. قال الهيثمي (٨/ ٣١٥) قلت: أما ميناء فهو ابن أبي ميناء قال ابن معين والنسائي: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: منكر الحديث روى أحاديث في الصحابة لا يعبأ بحديثه كان يكذب، قال الترمذي: روى مناكير، وقال العقيلي: روى عنه همام بن نافع ووالد عبد الرزاق أحاديث مناكير لا يتابع منها على شيء. وقال ابن عدي: وتبين على أحاديثه أنه يغلو في التشيع (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٧)، وأما يحيى الأسلمي فلم يوثِّقه أحد، بل قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: مضطرب في الحديث. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث ليس بالقوي، وقال ابن عدي: كوفي من الشيعة، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات المقلوبات، وقال البزار: يغلط في الأسانيد. (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٠٢).

نزلت سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣] وهي السورة التي نُعيت نفسه الكريمة فيها إليه، كما نص على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، ووافقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم، هذا هو الصحيح.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد ورد في ذلك حديث سنورده إن شاء الله تعالى عند تفسيرها، والله أعلم، وقد رواه أبو نعيم أيضًا عن الطبراني عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن علي بن الحسين بن أبي بردة عن يحيى بن سعيد الأسلمي عن حرب بن صبيح عن سعيد بن سلمة عن أبي مرة الصنعاني عن أبي عبد الله الجدلي عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره، وذكر فيه قصة الاستخلاف، وهذا إسناد غريب وسياق عجيب، طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي رافع عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ خط حوله، فكان أحدهم مثل سواد النخل.

النخل، بالخاء.

«وقال: **لا تبرح مكانك**، فأقرءهم كتاب الله، فلما رأى المرعى قال: **كأنهم هؤلاء**، وقال النبي ﷺ: **أمعك ماء؟** قلت: لا، قال: **أمعك نبيذ؟** قلت: نعم، فتوضأ به».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا ضعيف أيضًا؛ لأن علي بن زيد ضعيف رواية، وهذا يحتمل أنه كثرته كالنحل؛ يعني: كثرة الجن،... مثل النخل؛ يعني: أنهم

طوال، نحط نسخة بالخاء، والذي عنده نخل يحط نسخة النحل، من رواه من عزاه له.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[طريق أخرى مرسلة: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطبراني أخبرنا حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة: «في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال: هم اثنا عشر ألفًا جاءوا من جزيرة الموصل، وقال النبي ﷺ لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أنظرني حتى آتيك** وخط عليه خطًّا وقال: **لا تبرح حتى آتيك**، فلما خشيهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كاد أن يذهب، فذكر قول رسول الله ﷺ فلم يبرح، فقال له النبي ﷺ: **لو ذهبت ما التقينا إلى يوم القيامة**». طريق أخرى مرسلة أيضًا: قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: «في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: ذُكِر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى، وأن نبي الله ﷺ قال: **إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعني**، فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة، فقال رجل: يا رسول الله! إن ذاك لذو ندبة فاتبعه ابن مسعود أو فأتبعه»].

طريق أخرى مرسلة أيضًا: [قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: «في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: ذكر لنا أنهم صُرفوا إليه من نينوى، وأن نبي الله ﷺ قال: **إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعني**، فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة، فقال رجل: يا رسول الله! إن ذلك لذو ندبة، فاتبعه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخو هذيل، قال: فدخل النبي ﷺ شِعبًا يقال له: شعب الحجون، وخط على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطًّا ليثبته بذلك، قال: فجعلت أهال وأرى أمثال النسور»].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم هذا ضعيف أيضًا؛ لأن قتادة تابعي مرسل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وسمعت لغطًا شديدًا حتى خفت على نبي الله ﷺ، ثم تلا القرآن، فلما رجع رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله! ما اللغط الذي سمعت؟ قال ﷺ: «**اختصموا في قتيل، فقضي بينهم بالحق**»، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[(١)]، فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصدًا فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله ﷻ، وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت، وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن، لم يشعر بهم، كما قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأما ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإنه لم يكن مع رسول الله ﷺ حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم، وإنما كان بعيدًا منه، ولم يخرج مع النبي ﷺ أحد سواه، ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة، هذه طريق طريقة البيهقي، وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولا غيره، كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى من طريق الإمام أحمد وهي عند مسلم، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى، والله أعلم، كما روى ابن أبي حاتم في تفسيره: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١] من حديث ابن جريج قال: قال عبد العزيز بن عمر: «أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوى، وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين»، وتأوله البيهقي على أنه يقول: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم على غير ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ممن لم يعلم بخروجه ﷺ إلى الجن، وهو محتمل على بُعْد، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأقوال كلها معلولة التي فيها ابن مسعود معلولة، ابن مسعود جزم أنه لم يحضر، وهذا بعد وفاة النبي ﷺ، أقول: ابن مسعود جزم بعد وفاة النبي ﷺ أنه لم يحضر دلَّ على أنهم يحضرون، وإنما نص القرآن على ذلك، وأنهم حضروا وجاءت الطرق الأخرى الكثيرة التي فيها أنه خرج إليهم وتلا عليهم القرآن، أما.. والقرآن ظاهر في أنهم صُرفوا إليه وأوحي إليه أمرهم: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، أوحي إليه أنهم استمعوا، وأنهم بلغهم القرآن، وهكذا قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ليس فيه أنه شاهدهم وأنه... هذه الطرق إن وجد فيها ما يثبت وإلا فالأصل أنهم بلِّغوا من غير أن يكون هو ـ عليه الصلاة والسلام ـ شاهَدَ ذلك، لكن الرب بلَّغهم إياه بسماعهم القرآن من قراءته ﷺ ومن إخباره للصحابة رضي الله عنهم لغيرهم، ويحتمل أنه ﷺ أسمعهم القرآن، لكن من غير رواية ابن مسعود، من طرق أخرى ليس فيها ابن مسعود، نعم وهذه الطرق التي ذكرها المؤلف قد يشد بعضها بعضًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب، حدثنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثني سويد بن سعيد، حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال: «كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله ﷺ بإداوة لوضوئه وحاجته، فأدركه يومًا فقال: **من هذا؟** قال: أنا أبو هريرة، قال ﷺ: **ائتني بأحجار أستنج بها، ولا تأتني بعظم ولا روثة**، فأتيته بأحجار في ثوبي فوضعتها إلى جنبه، حتى إذا فرغ وقام اتبعته فقلت: يا رسول الله! ما بال العظم والروثة؟ قال ﷺ: **أتاني وفد جن نصيبين**

فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بروثة ولا عظم إلا وجدوه طعامًا». أخرجه البخاري في «صحيحه»(١) عن موسى بن إسماعيل عن عمرو بن يحيى بإسناده قريب منه، فهذا يدل مع ما تقدم على أنهم وفدوا عليه بعد ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا صريح، وهكذا ما جاء في سورة الرحمٰن وأنه تلا عليهم الآيات فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وسنذكر إن شاء الله تعالى ما يدل على تكرار ذلك].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روي عن ابن عباس غير ما روي عنه أولًا من وجه جيد، وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الحميد الحماني، حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية، قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلًا إلى قومهم»، فهذا يدل على أنه قد روى القصتين.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا رجل سَّماه عن ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية، قال: كانوا سبعة نفر، ثلاثة من أهل حرَّان، وأربعة من أهل نصيبين، وكانت أسماؤهم: حسا وحسي ومنسى وساصر وناصر والأردوبيان والأحتم، وذكر أبو حمزة الثمالي: أن هذا الحي من

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن برقم (٣٨٦٠).

الجن كان يقال لهم: بنو الشيصان، وكانوا أكثر الجن عددًا وأشرفهم نسبًا، وهم كانوا عامة جنود إبليس.

قال سفيان الثوري: عن عاصم، عن زر عن ابن مسعود: «كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوهم من أصل نخلة»، وتقدم عنهم: «أنهم كانوا خمسة عشر»، وفي رواية: «أنهم كانوا على ستين راحلة»، وتقدم عنه: «أن اسم سيدهم وردان»، وقيل: كانوا ثلاثمائة، وتقدم عن عكرمة: أنهم كانوا اثني عشر ألفًا؛ فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه ﷺ، ومما يدل على ذلك ما قاله البخاري في صحيحه: حدثنا يحيى بن سليمان، حدثني ابن وهب، حدثني عمر ـ هو: ابن محمد ـ قال: «إن سالمًا حدثه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط إني لأظنه هكذا إلا كان كما يظن، بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس، إذ مر به رجل جميل فقال: لقد أخطأ ظني، أو أن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، علي بالرجل، فدُعي له، فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم، قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك، قال: بينما أنا يومًا في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها.

قال عمر رضي الله عنه: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ، لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه، يقول: يا جليح! أمر نجيح رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، قال: فوثب القوم، فقلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح! أمر نجيح رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، فقمت فما نشبنا أن قيل: هذا نبي»، هذا سياق البخاري، وقد رواه البيهقي من حديث ابن

وهب بنحوه، ثم قال: وظاهر هذه الرواية: يوهم أن عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه، وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه، والله أعلم.

وهذا الذي قاله البيهقي هو المتجه، وهذا الرجل هو سواد بن قارب، وقد ذكرت هذا مستقصى في سيرة عمر رضي الله عنه، فمن أراده فليأخذه من ثَمَّ، ولله الحمد والمنة، وقال البيهقي: حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح.

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسِّر من أصل سماعه، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الأصبهاني قراءة عليه، حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى الحمار الكوفي بالكوفة، حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه، حدثنا أبو بكر القصري، حدثنا محمد بن نواس الكوفي، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: «بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أيها الناس! أفيكم سواد بن قارب؟ قال: فلم يجبه أحد تلك السنة، فلما كانت السنة المقبلة، قال: أيها الناس! أفيكم سواد بن قارب؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! وما سواد بن قارب؟ قال: فقال له عمر رضي الله عنه: إن سواد بن قارب كان بدأ إسلامه شيئًا عجيبًا، قال: فبينما نحن كذلك، إذ طلع سواد بن قارب قال: فقال له عمر رضي الله عنه: يا سواد، حدثنا ببدء إسلامك كيف كان؟ قال سواد رضي الله عنه: فإني كنت نازلًا بالهند، وكان لي رئِيٌّ من الجن، قال: فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ جاءني في منامي ذلك، قال: قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، قد بُعِث رسول من لؤي بن غالب، ثم أنشأ يقول:

عـجـبـت لـلـجــن وإبـلاسـهـا   وشـدهـا الـعـيـس بـأحـلاسـهـا
تـهـوي إلى مكـة تبغي الهدى   مـا خـيـر الجـن كـأنـحـاسـهـا
فانهض إلى الصفوة من هاشم   واسـم بـعـيـنـيـك إلى راسـهـا

قال: ثم أنبهني فأفزعني وقال: يا سواد بن قارب إن الله ﷻ بعث نبيًّا فانهض إليه تهتدِ وترشد، فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني، ثم أنشد يقول:

عـجـبـت لـلـجــن وتـطـلابـهـا   وشـدهـا الـعـيـس بـأقـتـابـهـا
تـهـوي إلى مكـة تبغي الهدى   لـيـس قـدَّامـهـا كـأذنـابـهـا
فانهض إلى الصفوة من هاشم   واسـم بـعـيـنـيـك إلى قـابـهـا»

قال: فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الإسلام من أمر رسول الله ﷺ ما شاء الله، قال: فانطلقت إلى رحلي فشددته على راحلتي، فما حللت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله ﷺ، فإذا هو بالمدينة ـ يعني مكة ـ والناس عليه كعرف الفرس، فلما رآني النبي ﷺ قال: **مرحبًا بك يا سواد بن قارب، قد علمنا ما جاء بك**، قال: قلت: يا رسول الله! قد قلت شعرًا فاسمعه مني، قال ﷺ: «قل يا سواد»، فقلت:

أتـاني رئي بعد لـيـل وهجعـة   ولم يكُ فيما قد بلوت بكـاذب
ثـلاث لـيـالٍ قوله كل لـيـلـة   أتاك رسول من لؤي بن غـالـب
فـشـمـرت عـن سـاقـي الإزار   وأسقطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فـأشـهـد أن اللّـه لا رب غـيـره   وأنك مأمون على كـل غـائـب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة   إلى اللّه يا ابن الأكرمين الأطايب
فمـرنا بما يأتيك يا خير مرسل   وإن كان في ما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة   سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب

قال: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال لي: «**أفلحت يا سواد**»، فقال له عمر ﵁: هل يأتيك رِئيِّك الآن؟ فقال: منذ قرأت القرآن لم يأتني ونِعم العوض كتاب الله ﷻ من الجن»، ثم أسنده البيهقي من وجهين آخرين، ومما يدل على وفادتهم إليه ﷺ بعدما هاجر إلى المدينة، الحديث الذي رواه الحافظ أبو نعيم، في كتاب «دلائل النبوة»، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدة المصيصي، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن أسلم أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني.

أنه سمع أبا سلام يقول: حدَّثني من حدَّثه عمرو بن غيلان الثقفي قال: «أتيت عبد الله بن مسعود ﵁ فقلت له: حدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن؟ قال: أجل، قلت: حدِّثني كيف كان شأنه؟ فقال: إن أهل الصفَّة أخذ كل رجل منهم رجل يعشيه وتُركت فلم يأخذني أحد منهم، فمر بي رسول الله ﷺ وقال: **من هذا**؟ فقلت: أنا ابن مسعود، فقال ﷺ: **ما أخذك أحد يعشِّيك**؟ فقلت: لا، قال ﷺ: **فانطلق لعلي أجد لك شيئًا**، قال: فانطلقنا حتى أتى رسول الله ﷺ حجرة أم سلمة ﵂، فتركني قائمًا ودخل إلى أهله ثم خرجت الجارية، فقالت: يا ابن مسعود إن رسول الله ﷺ لم يجد لك عشاءً فارجع إلى مضجعك، قال: فرجعت إلى المسجد، فجمعت حصباء المسجد فتوسَّدته، والتففت بثوبي فلم ألبث إلا قليلًا حتى جاءت الجارية وقالت: أجب رسول الله ﷺ، فاتبعتها وأنا أرجو العشاء حتى إذا بلغت مقامي، خرج رسول الله ﷺ وفي يده عسيب من نخل فعرض به على صدري، فقال ﷺ: **انطلق أنت معي حيث انطلقت**، قلت: ما شاء الله» عندي: انطلق.

«قلت: ما شاء الله، فأعادها عليَّ ثلاث مرات، كل ذلك أقول: ما

شاء الله، فانطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الغرقد، فخط ﷺ بعصاه خطًّا ثم قال: **اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك**، ثم انطلق يمشي وأنا أنظر إليه خلال النخل، حتى إذا كان من حيث لا أراه ثارت قِبَله العجاجة السوداء، ففرِقت فقلت: ألحق برسول الله ﷺ فإني أظن أن هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه، فأسعى إلى البيوت فأستغيث الناس، فذكرت أن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه، فسمعت رسول الله ﷺ يقرعهم بعصاه ويقول: **اجلسوا**، فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح، ثم ثاروا وذهبوا فأتاني رسول الله ﷺ، فقال: **أنمت بعدي**؟ فقلت: لا، ولقد فزعت الفزعة الأولى، حتى رأيت أن آتي البيوت فأستغيث الناس، حتى سمعتك تقرعهم بعصاك، وكنت أظنها هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه، فقال: **لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما أمنت عليك أن يتخطفك بعضهم، فهل رأيت من شيء منهم**؟ فقلت: رأيت رجالًا سودًا مستثفرين بثياب بيض، فقال رسول الله ﷺ: **أولئك وفد جن نصيبين أتوني فسألوني الزاد والمتاع، فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثة أو بعرة**، قلت: فما يغني عنهم ذلك؟ قال ﷺ: **إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أُكل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها الذي كان فيها يوم أكلت، فلا يستنق أحد منكم بعظم ولا بعرة**، وهذا إسناد غريب جدًّا، ولكن فيه رجل مبهم لم يُسَمّ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

على كل حال هذه أخبار فيها من الضعف ما فيها، و... الجن أمر معروف، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ نص القرآن، ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] نص القرآن، فهم قدموا، وقد بلغوا حتى ولو ما قدموا، قد بلغوا، القرآن بلاغ لهم، وبلاغ لغيرهم، بلاغ لجميع أهل الأرض من جن وإنس حضروا أو لم

يحضروا، بلاغ لهم إلى يوم القيامة، كما هو بلاغ لنا، وبلاغ لمن يأتي بعدنا، وهذه الأخبار فيها من الضعف والجهالة ما فيها، لكن المقصود من هذا كله: أن الله ﷻ بلَّغ الجن ما بعث به نبيّه ﷺ، وأنه اتصل به بعضهم، وسمعوا منه، وقامت عليهم الحجة، ومن لم يحضر فقد قامت عليه الحجة في بلاغه، وإيصاله إليه في أي مكان، في مشارق الأرض ومغاربها، فالقرآن حجة الله على عباده في كل مكان وفي كل زمان، اللهُ المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روى الحافظ أبو نعيم من حديث بقية بن الوليد، حدثني نمير بن زيد القنبر، حدثنا أبي، حدثنا قحافة بن ربيعة، حدثني الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة، فلما انصرف قال: **أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة؟** فأسكت القوم ثلاثًا، فمر بي فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه، حتى حبست عنا جبال المدينة كلها، وأفضينا إلى أرض براز، فإذا برجال طوال كأنهم الرماح، مستثفرين بثيابهم من بين أرجلهم، فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة» ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم، وهذا حديث غريب، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

معناها: يشد بعضها، هذا مقصود رحمة الله عليه، معناه يشد بعضها بعضًا، ونص القرآن كافٍ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومما يتعلق بوفود الجن، ما رواه الحافظ أبو نعيم، حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح].

حدثنا يعقوب الدورقي، حدثنا الوليد بن بكير التميمي، حدثنا حصين بن عمر، أخبرني عبيد المكتب عن إبراهيم قال: «خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج، حتى إذا كانوا في بعض الطريق إذ هم بحية تنثني على الطريق أبيض، ينفح منه ريح المسك، فقلت لأصحابي: امضوا فلست ببارح حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمر هذه الحية، قال: فما لبثت أن ماتت، فعمدت إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها، وأدركت أصحابي في المتعشى قال: فوالله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قِبَل المغرب، فقالت واحدة منهن: أيكن دفن عمرًا؟ قلنا: ومن عمرو؟ قالت: أيكم دفن الحية؟ قال: فقلت: أنا، قالت: أما والله لقد دفنت صوامًا قوامًا يأمر بما أنزل الله تعالى، ولقد آمن بنبيِّكم، وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربعمائة عام، قال الرجال: فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجتنا، ثم مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال: صدقت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **لقد آمن بي قبل أن أُبْعث بأربعمائة سنة**»[١]، وهذا حديث غريب جدًّا، والله أعلم.

قال أبو نعيم: وقد روى الثوري عن أبي إسحاق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه، وروى عبد الله بن أحمد والظهراني: «عن صفوان بن المعطل هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة».

وقد روى الثوري عن أبي إسحاق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه، وروى عبد الله بن أحمد والظهراني: «أن صفوان بن المعطل هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة».

---

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٣٠٦).

«وأنهم قالوا: إنه آخر التسعة موتًا الذين أتوا رسول الله ﷺ يستمعون القرآن».

وروى أبو نعيم من حديث الليث بن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال: «كنت جالسًا عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء رجل فقال: يا أمير المؤمنين! إني كنت بفلاة من الأرض، فذكر أنه رأى ثعبانين اقتتلا، ثم قتل أحدهما الآخر، قال: فذهبت إلى المعترك، فوجدت حيات كثيرة مقتولة، وإذ ينفح من بعضها ريح المسك، فجعلت أشمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حية صفراء رقيقة، فلففتها في عمامتي ودفنتها، فبينا أنا أمشي، إذ ناداني منادٍ: يا عبد الله! لقد هُدِيت، هذان حيان من الجن، بنو شعيبان وبنو قيس التقوا فكان من القتلى ما رأيت، واستشهد الذي دفنته، وكان من الذين سمعوا الوحي من رسول الله ﷺ، قال: وقال عثمان لذلك الرجل: إن كنت صادقًا فقد رأيت عجبًا، وإن كنت كاذبًا فعليك كذبك»، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾؛ أي: طائفة من الجن، ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾؛ أي: استمعوا، وهذا أدب منهم.

وقد قال الحافظ البيهقي: حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق، حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمٰن حتى ختمها، ثم قال: **ما لي أراكم سكوتًا، لَلجن كانوا أحسن منكم ردًّا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة:** ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣] **إلا قالوا:**

ولا بشيء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»[(١)]، ورواه الترمذي في التفسير عن أبي مسلم عبد الرحمٰن بن واقد عن الوليد بن مسلم به، قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمٰن» فذكره، ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير، كذا قال، وقد رواه البيهقي من حديث مروان بن محمد الطاطري، عن زهير بن محمد به مثله.

وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾؛ أي: فرغ؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾؛ أي: رجعوا إلى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول الله ﷺ؛ كقوله ﷻ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نُذُر وليس فيهم رسل، ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولًا، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال عن إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فكل نبي بعثه الله تعالى بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته، فأما قوله تبارك وتعالى في الأنعام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]؛ فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الإنس؛ كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢] أي: أحدهما، ثم إنه تعالى فسّر.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٥ برقم (٣٨٠٨)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والبيهقي في دلائل النبوة (٢/١٠٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه نظر، في ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] يوجد في البحرين جميعًا، المالح والحلو، والآية ظاهرها العموم، وأنه وجد فيهم رسل، كما قال ابن حزم وجماعة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩] الجن فيهم رجال أيضًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]؛ فالجمهور: على أن الرسل كلهم من الإنس، والجن جاءتهم النذر تحمل لهم النذارة مما جاءت به الرسل من الإنس، وهكذا من جهة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعثه الله إلى الجميع، الجن والإنس، فالنذر الذين ينقلون العلوم هم نذر للجميع للإنس والجن، من نقل العلم من جهة إلى جهة، أو من قبيلة إلى قبيلة، أو من بلد إلى بلد، فهو نذير.

مداخلة: . . .، عفا الله عنك، يكون في الجن رسل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محتمل ظاهر آية الأنعام فيهم، لكن والله أعلم لعله قبل ذرية إبراهيم، قبل بعث ذرية إبراهيم في أولهم. . . ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، محتمل أن المراد العموم يعني الأكثر من ذريته، وأن الجن حصل لهم رسل منهم، وبكل حال فالحجة قائمة عليهم، سواء منهم وإلا من الرسل من الإنس، فالحجة قائمة عليهم.

مداخلة: الحديث السابق أحسن الله إليك: «**ولا بشيء من آلائك ربنا نكذِّب**» صحيح؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحتاج إلى تأمل، ما أعرف حال سنده يحتاج إلى دراسة.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم إنه تعالى فسَّر إنذار الجن لقومهم، فقال مخبرًا عنهم: ﴿قَالُوا يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ولم يذكروا عيسى؛ لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة، فلهذا قالوا: ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي ﷺ بقصة نزول جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ أول مرة، فقال: «بخ بخ، هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، يا ليتني أكون فيه جذعًا»[(١)].

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله، وقوله: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: في الاعتقاد والإخبار. ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، في الأعمال، فإن القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب، فخبره صدق وطلبه عدل، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٨]، فالهدى هو العلم النافع، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ هو العمل الصالح، وهكذا قالت الجن: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ في الاعتقادات ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: في العمليات، ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو شأن القرآن والسُّنَّة، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب برقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي برقم (١٦٠).

[التوبة: ٣٣]: العلم النافع والتوجيهات والأخبار الصادقة، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: الشرائع القيمة العادلة التي وضَّحها لعباده، وهكذا قول الجن: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يهدي إلى الحق في العقيدة الإيمان بالله وتوحيده، ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يسير عليه الناس في الشرائع، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾: فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمدًا ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس، حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة الرحمٰن، ولهذا قال: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن من هاهنا زائدة، وفيه نظر؛ لأن زيادتها في الإثبات قليل، وقيل: إنها على بابها للتبعيض.

﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: ويقيكم من عذابه الأليم، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإنما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة، ولهذا قالوا هذا في هذا المقام، وهو مقام تبجح ومبالغة، فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذه لأوشك أن يذكروه، وقال ابن أبي حاتم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا خطأ، فإن من أُجير من العذاب، دخل الجنة، ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ يغفر لكم: يعني: يجركم من الذنوب ويجركم من عذاب أليم، ومن وقاه الله شر الذنوب وشر العذاب دخل الجنة، ولهذا في نفس السورة التي خاطب بها الجن والإنس: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]: الجن والإنس، في نفس السورة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ

جَنَّتَانِ﴾ فالوعد للجميع، الجن والإنس، من عصى وكفر له النار، ومن أطاع له الجنة، من الجن والإنس، والله المستعان.

مداخلة: . . . فيها دلالة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذلك نعم، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٠ ـ ٦٢] كله خطاب الجن والإنس، صريحة سورة الرحمٰن نعم، مع العموم في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨] من الجن والإنس.

مداخلة: أحسن الله إليك، . . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الجن والإنس كلهم لهم الجنة ولهم النار.

مداخلة: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ معنى من؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعله؛ يعني: أيضًا الغالب الجنس، يعني: جنس الذنوب؛ لأن المغفرة تشمل الشرك وغيره، من تاب تاب الله عليه، أو أما أنه يغفر مُضمَّن معنى يعافكم أو ينقذكم أو. . ؛ لأن التوبة إلى الله واتباع الشرع من أسباب المغفرة للذنوب كلها، فهي مضمن ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ معناه يعني: يعافكم منها من ذنوبكم أو يحفظكم منها أو ما أشبه ذلك، فالمغفرة للذنوب كلها، الشرك وما دونه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: حدثت عن جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لا يدخل مؤمنو الجن الجنة؛ لأنهم من ذرية إبليس، ولا تدخل ذرية إبليس الجنة».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا باطل حديث ضعيف، قوله: حُدِّثت، هذا مجهول، ولا يصح مثله عن ابن عباس، ابن عباس أجلُّ وأعلم من هذا المقام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدل بعضهم لهذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا هو الحق مثل ما قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿...لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٧٤]. وفي هذا الاستدلال نظر، وأحسن منه قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦ - ٤٧]، فقد امتنَّ تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد، فلم يكن تعالى ليمتنَّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضًا فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا شك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومما يدل أيضًا على ذلك عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] وما أشبه ذلك من الآيات، وقد أفردت هذه المسألة في جزء على حدة، ولله الحمد والمنة].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] كون أبوهم ضالًّا مضلًّا ما يضرهم، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ كم من أب ضال وأولاده ناجحون، هذا أبو لهب من أهل النار، وابنه من أهل الجنة، وهكذا أبو جهل من أهل النار وابنه عكرمة من أهل الجنة، وهكذا غيرهم ما أحد يشقى إلا بعمله، ما يضره آباؤه ولا أسلافه، إنما يضره عمله، وينفعه عمله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي جديرة بذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقًا أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: من باب أولى إذا كان فيها فضل، فينشئ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة، فالذين عملوا واتقوا هم أولى بدخولها من النشء الجديد، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما ذكروه هاهنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والإجارة من العذاب الأليم هو يستلزم دخول الجنة؛ لأنه ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار، فمن أُجير من النار دخل الجنة لا محالة، ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وإن أُجيروا من النار، ولو صحَّ لقلنا به، والله أعلم، وهذا نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول لقومه: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤]، ولا خلاف أن مؤمني قومه في الجنة، فكذلك هؤلاء وقد حُكي فيهم أقوال غريبة، فعن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنهم لا يدخلون بحبوحة الجنة، وإنما يكونون في ربضها وحولها وفي

أرجائها، ومن الناس من زعم: أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بني آدم، بعكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا، ومن الناس من قال: لا يأكلون في الجنة ولا يشربون، وإنما يُلهَمون التسبيح والتحميد والتقديس، عوضًا عن الطعام والشراب كالملائكة؛ لأنهم من جنسهم، وكل هذه الأقوال فيها نظر، ولا دليل عليها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلها أقوال باطلة، كلها أقوال باطلة، فهم كالإنس يأكلون ويشربون ويتنعمون، على حسب أعمالهم الصالحة.

مداخلة: والرؤية أحسن الله إليك؟

مداخلة: والرؤية أن الإنس يرونهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والرؤية كذلك، يرى بعضهم بعضًا، الإنس يرونهم وهم يرون الإنس، عكس الدنيا، فهذا من تمام النعيم.

*

□ **ثم قال مخبرًا:** ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ **[الأحقاف: ٣٢].**

قال الحافظ: ثم قال مخبرًا عنهم: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بل قدرة الله شاملة لهم ومحيطة بهم ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ﴾؛ أي: لا يجيرهم منه أحد، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وهذا مقام تهديد وترهيب، فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب، ولهذا نجع في كثير منهم وجاءوا إلى رسول الله ﷺ وفودًا وفودًا، كما تقدم بيانه، ولله الحمد والمنة، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله المستعان.

مداخلة: أحسن الله عملك، هل الجن يكونون مثل الإنس في الجنة من الحور العين..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: مثل، مثل.

مداخلة: نعم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلهم سواء ينعمون جميعًا، نعم. كلهم ينعمون جميعًا ويرى بعضهم بعضًا، الجنة دار النعيم ودار الكرامة، ما فيها حزن لأحد ولا أذى لأحد، دار النعيم والسرور للجميع، من دخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، ويسر لا يحزن.

مداخلة: ويكونون مثل بني آدم يعني: في الخلقة وفي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، الخلقة الله أعلم، المقصود أنهم دخلوا الجنة يدخلونها أنهم ينعمون فيها

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [**الأحقاف: ٣٣ ـ ٣٥**][(١)].

يقول تعالى: أولم يرَ هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير.

المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾؛ أي: ولم يكرثه خلقهن، بل قال لها: كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة؛ بل طائعة مجيبة خائفة وجلة، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ يعني: من إعياء وتعب، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فليس يتعبه شيء ولا يكلفه شيء ﷻ، إنما هو أمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو ﷻ قادر على كل شيء، فالواجب الحذر من سطوته وغضبه، والواجب الاستقامة على طاعته وامتثال أوامره، هذا هو طريق النجاة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما قال ﷻ في الآية الأخرى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال ﷻ متهددًا ومتوعدًا لمن كفر به: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: يقال لهم: أما هذا حق؟ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]، ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأنهم في الدنيا أنكروها، أنكروا النار، وأنكروا البعث والنشور، فيقال لهم هذا تقريع وتوبيخ لهم، وهم أمامها عند دخولها، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: لا يسعهم إلا الاعتراف، ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تبارك وتعالى آمرًا رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أي: على تكذيبهم قومهم لهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: على تكذيب قومهم لهم. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء محمد ﷺ.

قد نصَّ الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى، وقد يُحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل، فتكون ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ لبيان الجنس، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الآيتان: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب: ٧] الله أكبر، نعم، في سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣] الله أكبر.

مداخلة: أولي العزم من هم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو المشهور أنهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى

ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وجميع الرسل أولو عزم كلهم، أولو عزم وإيمان، ولكن هؤلاء مقدمون.

مـداخـلـة: . . . ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم هذا آدم، هذا آدم، خاص بآدم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي، حدثنا السري بن حيان، حدثنا عباد بن عباد، حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: «قالت لي عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ظلَّ رسول الله ﷺ صائمًا ثم طواه، ثم ظل صائمًا ثم طواه، ثم ظل صائمًا ثم قال: «**يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله تعالى لم يرضَ من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم لم يرضَ مني إلا أن يكلِّفني ما كلَّفهم، فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي، ولا قوة إلا بالله».

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾؛ أي: لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم؛

---

(١) أخرجه الديلمي (٢/ ٢٩٩). قال العجلوني (١/ ٤٩٤): قال ابن الفرس: حديث حسن لغيره، قال المناوي (١/ ٥٥/ ٣)، رواه عبد الرحمٰن السلمي الصوفي في كتاب الزهد عن عائشة، ورواه عنها الديلمي.

كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١]، وكقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧].

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾؛ كقوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، وكقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [يونس: ٤٥].

وقوله ﷻ: ﴿بَلَاغٌ﴾، قال ابن جرير يحتمل معنيين: **أحدهما**: أن يكون تقديره: وذلك لبث بلاغ، **والآخر**: أن يكون تقديره، هذا القرآن بلاغ، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: لا يهلك على الله إلا هالك، وهذا من عدله ﷻ أنه لا يعذِّب إلا من يستحق العذاب، والله أعلم، آخر تفسير سورة الأحقاف، ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله أكبر، الله أكبر، ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] هذا بلاغ للناس، كل القرآن بلاغ، ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]؛ فالله بلَّغ الناس هذا القرآن العظيم، أخبار الماضين وأخبار الأمم، وأقام به الحجة، وقطع به المعذرة، وبيَّن به صفات الناجين وصفات الهالكين، وبيَّن به دار المؤمنين ودار الكافرين، فقامت الحجة وانقطع... كما في الآية الأخرى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] الله المستعان.

مداخلة: حديث عائشة صحيح هذا؟

مداخلة: حديث عائشة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيه ضعف؛ لأن مجالدًا ضعيف، لكن معناه صحيح، . . . وامتثل عليه الصلاة وصبر، وآذاه الناس وصبر، وجرى عليه ما جرى يوم أُحد، وغير ذلك، وفي مكة كذلك، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.



تفسير سورة محمد[١]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾ [محمد: ١ ـ ٣].

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: بآيات الله، ﴿وَصَدُّواْ﴾ غيرهم، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثوابًا ولا جزاءً؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ثم قال جَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: آمنت قلوبهم وسرائرهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم، ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ عطف خاص على عام، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته ﷺ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ جملة معترضة حسنة؛ ولهذا قال جَلَّلَهُ: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في جامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا جزاؤهم لما آمنوا وصدقوا وانقادوا للشرع، ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ وأصلح شأنهم، جزاءً وفاقًا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أي: أمرهم»، وقال مجاهد: شأنهم، وقال قتادة وابن زيد: حالهم، والكل متقارب، وقد جاء في حديث تشميت العاطس: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**».

ثم قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ﴾؛ أي: إنما أبطلنا أعمال الكفار وتجاوزنا عن سيئات الأبرار وأصلحنا شؤونهم؛ لأن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ﴾؛ أي: اختاروا الباطل على الحق، ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾؛ أي: يبيِّن لهم مآل أعمالهم، وما يصيرون إليه في معادهم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ **[محمد: ٤ ـ ٩]**.

يقول تعالى مرشدًا للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾؛ أي: إذا واجهتموهم

فاحصدوهم حصدًا بالسيوف، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾؛ أي: أهلكتموهم قتلًا، ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ الأسارى الذين تأسرونهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجانًا، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم، وتشارطونهم عليه، والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر، فإن الله ﷻ عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء والتقليل من القتل يومئذ، فقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]، ثم قد ادَّعى بعض العلماء أن هذه الآية مخيرة بين مفاداة الأسير والمن عليه منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ...﴾ الآية [التوبة: ٥]، رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، وقال الآخرون وهم الأكثر: ليست بمنسوخة، ثم قال بعضهم: إنما الإمام مخيّر بين المن على الأسير ومفاداته فقط، ولا يجوز له قتله، وقال آخرون منهم: بل له أن يقتله إن شاء؛ لحديث: «قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط من أسارى بدر»، وقال ثُمامة بن أُثال لرسول الله ﷺ فَقَالَ: «**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ**». فقال: عندي يا محمّد خيرٌ إن تقتل تقتل ذا دمٍ وإن تُنعم تنعم على شاكرٍ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ حتّى كان بعد الغد فقال: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ**». قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرٍ، وإن تقتل تقتل ذا دمٍ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ حتّى كان من الغد فقال: «**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ**». فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرٍ، وإن تقتل تقتل ذا دمٍ، وإن كنت تريد المال فسل تعط

منه ما شئت. فقال رسول الله ﷺ: «**أَطْلِقُو ثُمَامَةَ**». فانطلق إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد فاغتسل ثمّ دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله[1]. وزاد الشافعي ـ رحمة الله عليه ـ فقال: الإمام مخيَّر بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضًا، وهذه المسألة محررة في علم الفروع وقد دللنا على ذلك في كتابنا الأحكام، ولله سبحانه وتعالى الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو الصواب أن ولي الأمر له المن وله المفاداة وله الاسترقاق وله القتل، كل هذا وقع من النبي ﷺ، فإذا أسروا الأسرى فإن رأى ولي الأمر المن عليهم أو على بعضهم من عليهم، وإن رأى المفاداة فاداهم، وإن رأى القتل قتل، وإن رأى المن أو القتل أو المفاداة كل هذا مخيّر فيه ولي الأمر، وقد قتل النضر بن الحارث وهو أسير يوم بدر، وعقبة بن أبي معيط؛ لشدة أذاهما له ﷺ في مكة، فالأمر في هذا يرجع إلى ولي الأمر.

ولكن الآية تفيد أنه لا بد من الإثخان والحرص على القتل؛ لإضعافهم وإضعاف شوكتهم، فلا يكون الهمُّ الأسرَ؛ بل الواجب العناية بالقتل وإبادتهم والقضاء عليهم حتى تضعف شوكتهم أو تزول شوكتهم، نعم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ قال مجاهد: حتى ينزل عيسى بن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكأنه أخذه من قوله ﷺ:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هرير رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال برقم (٤٣٧٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم برقم (١٧٦٤).

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»(١)، وقال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن إبراهيم بن سليمان، عن الوليد بن عبد الرحمٰن الجرشي، عن جبير بن نفير قال: إن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: «إني سيَّبت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت: لا قتال، فقال النبي ﷺ: **«الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ يَرْفَعُ اللهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمُ اللهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ** ﷻ **وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**(٢).

وهكذا رواه النسائي من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل السكوني به.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا داود بن رُشيد، حدثنا الوليد عن جبير بن محمد بن مهاجر، عن الوليد بن عبد الرحمٰن الجرشي، عن جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال:

لما فتح على رسول الله ﷺ فتح فقالوا: «يا رسول الله سيَّبت الخيل، ووضعت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قالوا: لا قتال، قال: **كذبوا الآن جاء القتال، لا يزال الله تعالى يزيغ قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وعُقر دار المسلمين بالشام»**.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه في كتاب الجهاد، باب في دوام الجهاد، برقم (٢٤٨٤)، والإمام أحمد ٤/ ٤٣٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث سلمة بن نفيل ٤/ ١٠٤.

وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي، عن داود بن رشيد به، والمحفوظ أنه من رواية سلمة بن نُفيل كما تقدم، وهذا يقوي القول بعدم النسخ، كأنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عندكم راجعوا «التقريب»، أو «الخلاصة»، لعلها السكوني أقرب، السلوي ما نعرف لها أصل السلوي، انظر «التقريب» عندك... سلمة بن نفيل لعلها رواية عند أهل الكتب الستة.

مداخلة: بارك الله فيك يا شيخ! رواية إسماعيل بن عياش مقبولة عن الشاميين دون...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إي عن الشاميين خاصة وعن غيره ضعيف.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! قوله: «عقر دار المؤمنين بالشام».

مداخلة: سلمة بن نفيل، بنون وفاء، مصغر، السكوني، له صحبة، سكن حمص، النسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السكوني؛ يعني: هذا بيِّن، صلِّح السلوي إن صحت الأحاديث معناه: ما وقع أنه استقرت الخلافة في الشام مدة طويلة في عهد بني أمية؛ وقت معاوية وما بعده، صار الجهاد والقوة هناك، هذا من الشواهد إن صحَّت الأحاديث، يعني: يقرأ هذه الرواية، وفي إسنادها ضعف.

والصواب أنه غير منسوخ، الصواب باقٍ، الفداء والأسر والقتل والمن، كله باقٍ ليس بمنسوخ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يقوي القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم في الحرب؛

أي: لا أن لا يبقى حرب، وقال قتادة: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾: حتى لا يبقى شرك، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ثم قال بعضهم: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾؛ أي: أوزار المحاربين، وهم المشركون.

مداخلة: إسماعيل بن عياش عن إبراهيم بن سليمان الأفطس الدمشقي، المذكور والوليد بن عبد الرحمٰن الجرشي، وعنه إسماعيل بن عياش و. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا. . . جيد ما دام أنه شامي جيد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال بعضهم: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾؛ أي: أوزار المحاربين، وهم المشركون.

وهم المشركون، بأن يتوبوا إلى الله عَجَّلَ، وقيل: أوزار أهلها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: المقصود ظاهر السياق أوزار أهلها، مسلمين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى، وقوله عَجَّلَ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأظهر هو الأول، المراد يعني: حتى تنتهي الحروب، حتى يدخل الناس في دين الله أفواجًا وينتهي القتال، وهذا عند طلوع الشمس من مغربها وانتهاء الحرب والجهاد، ولا يزال الجهاد قائمًا حتى تطلع الشمس من مغربها، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله عَجَّلَ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: هذا ولو شاء الله

لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده، ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ﴾؛ أي: ولكن شرع لكم الجهاد، وقتال الأعداء ليختبركم ويبلو أخباركم، كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي آل عمران وبراءة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وقال تبارك وتعالى في سورة براءة: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

ثم لمّا كان من شأن القتال أن يُقتَل كثير من المؤمنين قال: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: لن يذهبها، بل يكثِّرها وينمِّيها ويضاعفها، ومنهم من يجري عليه عمله طول برزخه، كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا زيد بن يحيى الدمشقي، حدثنا ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن كثير بن مرة، عن قيس الجُذامي ـ رجل كانت له صحبة ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُعطَى الشهيدُ ست خصال عند أول قطرة من دمه: تُكفَّر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده من الجنة، ويُزوَّج من الحور العين، ويأمن من الفزع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويُحلَّى حلة الإيمان**»، تفرَّد به أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، حديث.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الدمشقي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من بعده؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن كثير بن مرة عن قيس الجذامي، رجل كانت له صحبة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: من عندكم الآخر، ابن نمر أم ابن يحيى؟

مداخلة: في نسخة الشعب: زيد بن يحيى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم.

مداخلة: زيد بن يحيى الدمشقي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم، عن ابن ثوبان من بعده، عن مكحول من؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

[عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامي، رجل كانت له صحبة].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: قال من، الإمام أحمد؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قال: حدثنا زيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الإمام أحمد؟

مداخلة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يُراجع المسند، في مسند الصحابي ما اسمه؟ الصحابي من؟

القاري: قيس الجُذامي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يُراجع مسند قيس الجذامي يبين، يبين الشيخ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

مداخلة: زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي أبو عبد الله الدمشقي عن الأوزاعي وعبد الله بن العلاء وعنه أحمد...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: زيد بن؟

مداخلة: زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي أبو عبد الله الدمشقي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم، وأنت عندك؟

مداخلة: قيس بن يزيد بن عقبة بن عامر، وعنه كثير بن مرة، هكذا في ابن كثير يروي عن كثير بن مرة، وبالنسبة لتعجيل المنفعة يقول: قيس بن يزيد مختلَف في صحبته رواه عنه عن ابن عباس وغيره وعنه أبو عمران الجوني، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا أعلم له صحبة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، ما عندكم نمر ما فيه شيء؟

مداخلة: هذا في الصحابي هذا...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، لا، خل خلِّ الصحابي للشيخ المؤلف نفسه.

مداخلة: زيد بن نمر الدمشقي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما عندكم زيد بن نمر؟

مداخلة: لا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: صلِّحها هي زيد بن يحيى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال أحمد أيضًا: حدثنا الحكم بن نافع، حدثني إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن المقدام بن معد يكرب الكندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**»(١)، وقد أخرجه الترمذي وصحَّحه، وابن ماجه.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب فضائل =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في سنده نظر؛ لأنه من رواية إسماعيل عن الحجازيين، يحيى بن سعيد من الحجازيين، فيه ضعف، لكن له شواهد من جهة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا أعد الكلام؟

مداخلة: يقول: كذا في المخطوطة: ابن سعد و«الكاشف» «وتهذيب الكمال» وهو الصواب، . . . في نسخة وفي «التهذيب» ابن سعيد، وهو خطأ مطبعي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الذي نعرفه والمعروف هو ابن سعد، . . . فعلى هذا يكون. . . هو جيد، سند جيد؛ لأنه شامي، وإسماعيل شامي رَحِمَهُ اللَّهُ.

● **س: عفا الله عنك! تزويجه بالحور العين بسبب ما هو فيه من الشهادة، ما هو فيه من الحياة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: على ظاهره، الظاهر والله أعلم؛ يعني: . . . في الجنة، قصده في الجنة.

● **س: أهل شهيد المعركة يُعزَّون في ابنهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، التعزية في الجميع، والقرآن وضّح أمرهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١]، فيما ذكر الله عنهم في الكتاب الخير العظيم، الله أكبر.

= الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب في ثواب الشهيد برقم (١٦٦٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب برقم (٢٧٩٩)، والإمام أحمد ٤/ ١٣١ و٢٠٠.

● **س: خالد بن معدان، لا يُؤاخذ على الكثرة في الإرسال.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ثقة... أقول: ثقة ولو أرسل.

● **س: أحسن الله إليك! لكن هو ذكر تسع خصال.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم، زيادة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**يُغفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ**»[1].

ورُوي من حديث جماعة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**»[2]، رواه أبو داود، والأحاديث في فضل الشهيد كثيرة جدًّا.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾؛ أي: إلى الجنة؛ كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَرُ فِى جَنَّتِ النَّعِيمِ**﴾ [يونس: ٩]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾؛ أي: أمرهم وحالهم، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]؛ أي: عرَّفهم بها وهداهم إليها.

قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خُلِقوا، لا يستدلون عليها أحدًا.

وروى مالك عن زيد بن أسلم نحو هذا، وقال محمد بن كعب:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفِّرت خطاياه إلا الدَّين برقم (١٨٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أم الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب الجهاد، باب الشهيد يشفع، برقم (٢٥٢٢).

يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة، وقال مقاتل بن حيان: بلغنا أن الملك الذي كان وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له، فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى في الجنة، فإذا انتهى إلى أقصى منزله في الجنة دخل إلى منزله وأزواجه، وانصرف الملك عنه، ذكره ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ، وقد ورد الحديث الصحيح بذلك أيضًا، رواه البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»(١)، ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾؛ كقوله ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل؛ ولهذا قال: ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾) كما جاء في الحديث: «**مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢)، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله ولرسوله ﷺ، وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»(٣)؛ أي: فلا شفاه الله.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، برقم (٢٤٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٦/ ٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، برقم (٢٨٨٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآية العظيمة فيها البشرى العظيمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾، حثٌّ للمؤمن على نصر دين الله، والقيام بأمر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذا من أسباب نصر الله له وتثبيت قدمه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، الإيمان بالله ورسوله والتواصي بالحق، قال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢]، ونصر الله نصر دينه، والاستقامة عليه، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق هذا هو نصر دين الله، ومنها الجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل هذا من نصر دين الله.

● **س: يا شيخ مناسبة أو وجه إدخال المؤلف هذا الحديث تحت الآية، «من بلغ ذا سلطان حاجة».**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنه من نصر دين الله؛ لأن الله أمر بالإحسان إلى الفقراء والمساكين والرحمة لهم، فمن رحمهم وأحسن إليهم فقد نصر دين الله.

● **س: نصر الله مثل النصح لله؟**

(الشيخ): النصر بالنصح، النصح لله والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كله هذا من النصر ومن النصيحة لله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ونص القرآن: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾ [النساء: ٨٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله ﷺ، وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»؛ أي: فلا شفاه الله عز وجل، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ بخلاف المؤمن، المؤمن ينصر دين الله فنصره الله، والكافر ضد ذلك، فصار له التعاسة والعاقبة الوخيمة نعوذ بالله؛ لأنه ضد الحق وضد الخير، فلهذا صار له ضد ما للمؤمن من النصر، المؤمن له النصر؛ لأنه نصر الحق، والكافر له الخيبة والندامة والتعاسة؛ لأنه ضد الحق، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: أحبطها وأبطلها، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾؛ أي: لا يريدونه ولا يحبونه، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم هو الحكم العدل، سبحانه وتعالى، هو الحكم العدل، كرهوا أمر الله فأحبط الله أعمالهم، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، نسأل الله العافية.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣)﴾ [**محمد**: ١٠ ـ ١٣].

يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾؛ يعني: المشركين بالله المكذِّبين لرسوله في الأرض، ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم؛ أي: ونجَّى المؤمنين من بين أظهرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مثل ما جرى لقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وقوم لوط، كلهم قصَّ الله أخبارهم، ماذا جرى عليهم؟ راحوا، دُمِّروا وأُهْلِكوا، وأنجى الله الرسل من بين أظهرهم، وهكذا فرعون وجماعته، نسأل الله العافية، وهكذا قارون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾، ولهذا «لما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أُحد، حين سأل عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلم يُجب، وقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا. فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت والله يا عدوّ الله، وإنّ الّذين عددت لأحياءٌ كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك. قال: يوم بيوم بدرٍ، والحرب سجالٌ، إنّكم ستجدون في القوم مُثلةٌ لم آمر بها ولم

تسؤني، ثمّ أخذ يرتجز: أُعلُ هُبَل، أعل هبل. قال النّبيّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**»؟ قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**»(١)، ثم قال أبو سفيان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هبل هذا صنم له في مكة، اعلُ هبل، يعني: اعلُ يا هبل، كأنا نُصِرنا بك يا هبل، وهذا من الجهل والظلم، ولكن هدى الله أبا سفيان بعد ذلك، ودخل في الإسلام، وأحسن الله حاله، والحمد لله.

• **س: بالرفع ما تكون بحذف النون ألا تجيبوه أليست ألا تجيبونه بالرفع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: القاعدة بالنون، أنتم ما عندكم نون؟

مداخلة: لا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لعل هذا مما شذَّ في اللغة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال أبو سفيان: «لنا العزّى ولا عزّى لكم. فقال النّبيّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**». قال: قالوا يا رسول الله: ما نقول؟ قال: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**»(٢).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: يوم القيامة، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا

---

(١) أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، برقم (٣٠٣٩).

(٢) أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في كتاب الجهاد والسير، باب ما يُكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، برقم (٣٠٣٩).

تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ﴾؛ أي: في دنياهم، يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام خضمًا وقضمًا، ليس لهم همة إلا في ذلك، ولهذا ثبت في «الصحيح»: «**المؤمن يأكل في معًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء**»، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾؛ أي: يوم جزائهم، وقوله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾؛ يعني: مكة، ﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله ﷺ، وهو سيِّد الرسل وخاتم الأنبياء، فإذا كان الله ﷻ قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء، فما ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والآخرة؟.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لولا لطفه ورحمته لهلكوا عن آخرهم، لكنه لطف بهم حتى هدى الله من هدى، الله أكبر، الحمد لله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإنه رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا، لبركة وجود الرسول.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: كانوا في الأمم الماضية يعاقبون بالعقوبات العامة، ولكن الله رفع عن هذه الأمة العقوبات العامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإنه نبي الرحمة، فإن العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم: ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾؛ أي: الذين أخرجوك من بين أظهرهم، وقال ابن أبي حاتم: ذكر أبي عن محمد بن عبد الأعلى عن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

«أن النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه فالتفت إلى مكة وقال: **«عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»**[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أن النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه فالتفت إلى مكة وقال: **أنت أحب بلاد الله إلى الله، ولولا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك فأعدى الأعداء»**[٢].

(الشيخ): وهكذا قال لما فتح الله عليه مكة، بيَّن هذا قال: «**إنك لأحب أرض الله إلى الله وأحب البقاع إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منها ما خرجت**»، يبين أن مكة أفضل البقاع نعم، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

(القارئ): «فأعدى الأعداء من عدا على الله تعالى في حرمه، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول الجاهلية».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أو قتل بذحول الجاهلية، فأنزل الله تعالى على نبيِّه ﷺ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣].

*

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بهذا االلفظ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٣٠٥).
وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن عباس بلفظ: **«أَمَا وَاللهِ لأَخْرُجُ مِنْكِ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ بِلادِ اللهِ إِلَيَّ وَأَكْرَمُهُ عَلَى اللهِ، وَلَوْلا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ إِنْ كُنْتُمْ وُلاةَ هَذَا الأَمْرِ مِنْ بَعْدِي، فَلا تَمْنَعُوا طَائِفًا بِبَيْتِ اللهِ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ وَلا نَهَارٍ، وَلَوْلا أَنْ تَطْغَى قُرَيْشٌ لأَخْبَرْتُهَا مَا لَهَا عِنْدَ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَذَقْتَ أَوَّلَهُمْ وَبَالًا، فَأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوَالًا»** (٣/ ١٣٠).

(٢) أخرجه الطبراني (٢٦/ ٤٨)، وعزاه للسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٦٣) ولعبد بن حميد وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه. انظر: علل الحديث لابن أبي حاتم (١/ ٢٨٠).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٤، ١٥].

يقول تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم، وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة، ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾؛ أي: ليس هذا كهذا؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]، وكقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا لا شك، لا يستويان من أعطاه الله البينة والبصيرة ليس كالأعمى المتبع للهوى، هذا في نعمة عظيمة أعطاه الله البصيرة واستقام على أمر الله وراقب الله فهو على خير عظيم، وذاك قد غلب عليه الجهل والهوى فهو على شر عظيم، لا يستويان، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ قال عكرمة: مثل الجنة؛ أي: نعتها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: بهذا نعتها؛ يعني: بالمثل النعت؛ يعني: الوصف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحسن وقتادة:

«يعني: غير متغير»، وقال قتادة والضحاك وعطاء الخرساني: غير منتن، والعرب تقول: أسن الماء إذا تغير ريحه، وفي حديث مرفوع أورده ابن أبي حاتم: ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾؛ يعني: الصافي الذي لا كدر فيه، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: قال عبد الله رضي الله عنه: «أنهار الجنة تَفجَّر من جبل من مسك»[1]، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾؛ أي: بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة، وفي حديث مرفوع: «**لم يخرج من ضروع الماشية**»، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾؛ أي: ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا؛ بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله أكبر! الله يجعلنا وإياكم من أهلها، الله أكبر! اللَّهُمَّ اجعلنا من أهلها، الله المستعان، ليس في الجنة من الدنيا إلا الأسماء، الذي في الجنة لا يساوي الذي في الدنيا، ولا يداني ما في الدنيا، الله أكبر، نعم، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]، بـ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: لا يصيبهم صداع ولا تغير عقولهم؛ بل خمر لذة للشاربين فيها الخير العظيم واللذة من دون صداع ولا مضرة ولا تغير عقول، بخلاف خمر الدنيا، فيها الصداع، وفيها تغير العقول، وفيها البلاء، نسأل الله العافية.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (١٧/ ٣٥٠).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي حديث مرفوع: «**لم يعصرها الرجال بأقدامهم**»، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾؛ أي: وهو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح، وفي حديث مرفوع: «**لم يخرج من بطون النحل**».

مداخلة: أحسن الله إليك قوله: «**لم يعصرها الرجال بأقدامهم**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يمكن بعضها شيء كبير يطئونه حتى يعصرونه، يمكن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فِي الجنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ المَاءِ، وَبَحْرُ العَسَلِ، وبَحْرُ الخَمْرِ، ثُمَّ تشَقَّقُ الأنهارُ مِنْهَا بَعْدَهُ**»[(١)]، ورواه الترمذي في صفة الجنة عن محمد بن يسار عن يزيد بن هارون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بشار بالشين، بندار المعروف، هو شيخ المؤلف هو شيخ محمد شيخ مسلم وشيخ البخاري.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي إياس الجريري، وقال: حسن صحيح، وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحارث بن عبيد أبو قدامة الأيادي، حدثنا أبو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث معاوية بن بهز عن أبيه (٥/٥)، والترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة برقم (٢٥٧١).

عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَشْخَبُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ ثُمَّ تَصْدَعُ بَعْدَ ذَلِكَ أنهارًا»**(١)، وفي «الصحيح»: **«فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ، أَرَاهُ فَوْقَهُ عِرْشَ الرَّحْمٰنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»**. قالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ: **«وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحمٰنِ»**(٢).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني، حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري وعبد الله بن الصفر السكري قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا عبد الرحمٰن بن المغيرة، حدثني عبد الرحمٰن بن عياش عن دلهم بن الأسود، قال دلَّهم: وحدثنيه أيضًا أبو الأسود عن عاصم بن لقيط قال: إن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ قلت: «يا رسول الله! فعلى ما نطلع من الجنة؟ قال ﷺ: **«عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ مَا بِهَا صُدَاعٍ وَلَا نَدَامَةٍ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسنٍ، وَبِفَاكِهَةٍ لَعَمْرُ إِلٰهِكَ مَا تَعْلَمُونَ وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَلَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ أَوْ مِنْهُنَّ مُصْلِحَاتٌ؟ قَالَ: **الصَّالِحَاتَ لِلصَّالِحِينَ، تَلَذُّونَهُنَّ مِثْلَ لَذَّاتِكُمْ فِي الدنيا وَيَلْذَذْنَ بِكُمْ غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالُدَ»**(٣).

وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن عبيد عن يزيد بن هارون، أخبرني الجريري عن معاوية بن قرة عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض، والله إنها لتجري سائحة على وجه الأرض، حافاتها

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن قيس عن أبيه رضي الله عنهما (٤/ ٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله برقم (٢٧٩٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث لقيط (٤/ ١٣).

قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر»، وقد رواه أبو بكر بن مردويه من حديث مهدي بن حكيم عن يزيد بن هارون به مرفوعًا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ كقوله ﷻ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمٰن: ٥٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: مع ذلك كله، وقوله ﷻ: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد في النار؟ ليس هؤلاء كهؤلاء، وليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات.

﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾؛ أي: حارًّا شديد الحر لا يُستطاع.

﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾؛ أي: قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء، عياذًا بالله تعالى من ذلك.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ **[محمد: ١٦ ـ ١٩].**

يقول تعالى مخبرًا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئًا، فإذا خرجوا من عنده قالوا للذين أوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾؛ أي: الساعة؟ لا يعقلون ما قال، ولا يكترثون له، قال الله

تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾؛ أي: فلا فهم صحيح، ولا قصد صحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنهم يحضرون بأجسام ليس فيها قلوب تريد الحق، فلهذا لا يفهمون ولا يعقلون، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان: ٤٤]، هكذا المنافقون يحضرون بأجسام قلوبهم بعيدة عن الحق والهدى، فلهذا يقولون: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾؛ أي: والذين قصدوا الهداية وفَّقهم الله تعالى لها، فهداهم إليها وثبَّتهم عليها وزادهم منها.

﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾؛ أي: ألهمهم رشدهم، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾؛ أي: وهم غافلون عنها، ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾؛ أي: أمارات اقترابها؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ۝٥٦ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٦، ٥٧]، وكقوله جلَّت عظمته: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن محمد ﷺ هو نبي الساعة، نبيّنا هو نبي الساعة وهو آخر الأنبياء وليس بعده إلا الساعة، فمن أشراطها بعثته ﷺ وقد وجد، ثم الأشراط التي بيَّنها مما جاء من كون الحفاة العراة الآن يكونون رعاة الناس، وكون الأمة تلد ربتها وغير هذا والبقية المجيء، بقية أشراطها تقع كما أخبر ﷺ، الله أكبر، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجة على العالمين.

وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤتهِ نبي قبله، كما هو مبسوط في موضعه.

وقال الحسن البصري: بعثة محمد ﷺ من أشراط الساعة ـ وهو كما قال ـ ولهذا جاء في أسمائه ﷺ أنه نبي التوبة، ونبي الملحمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي.

وقال البخاري: حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا أبو رجاء، حدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تليها: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»»[(١)].

ثم قال تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾؛ أي: فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]، ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢].

وقوله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا إخبار بأنه لا إلٰه إلا الله، ولا يتأتى كونه آمرًا بعلم ذلك.

ولهذا عطف عليه قوله ﷻ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «**بعثت والساعة كهاتين**»، برقم (٦٥٠٤)، ومسلم في كتاب الفتن، باب قرب الساعة، برقم (٢٩٥١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المقصود في الأمر لعظم الأمر، لعظم معرفة المعنى ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ يعني: تحقق هذا وكن فيه على بصيرة، وأنه لا معبود بحق إلا الله، وأما الاستغفار فشيء آخر، أمره بالاستغفار شيء آخر، ولا يتأتى كونه آمرًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا يتأتى كونه آمرًا بعلم ذلك، ولهذا عطف عليه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كلكم عندكم هكذا؟ هذه الجملة فيها نظر، فاعلم أنه لا إله. كلمة واضحة يأمر الله نبيّه أن يعلم أنه لا إله إلا الله وقد علم، لكن من باب التأكيد عليه وعلى أمته أن يعلموا هذا المعنى، وأنه لا معبود بحق إلا الله، حتى يدَعوا الشرك ويحذروه، وهو يعلم كونه يأمر بذلك ما هو معناه أنه لا يعلم، معناه: التأكيد في هذا الأمر للأمة، أمر له وهو أمر للأمة، أن يعلموا أنه لا معبود بحق إلا الله، فهذه الكلمة هي أساس الدين كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾ أمر له ولأمته؛ يعني: اعلموا أيها الناس أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن جميع الآلهة التي يعبدها الناس من دون الله باطلة، وكونه أمر بالاستغفار شيء آخر وكونه لا يتأتى كونه آمرًا إلا بأن يقول واستغفر، هذه العبارة فيها نظر.

مداخلة: ولا يتأتى إلا هو ولا ينافي كونه آمرًا بعلم ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا؟

مداخلة: ولا يتأتى إلا هو.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والذي عندكم ماذا؟ ولا يتأتى ماذا؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا يتأتى كونه آمرًا بعلم ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنه مصحفة، ولا ينافي أمره له بذلك، لا ينافي هذا كونه عالمًا بها قبل ذلك، وهو يدعو إليها، من حين بعثه الله وهو يدعو إليها؛ فقوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾ لا يقتضي أنه جاهل بها، ولا ينافي علمه السابق بها، وإنما هو للتأكيد ليعلِّم أمته عظم الأمر، فهو أمر له وللأمة جميعًا، فالكلمة ولا يتأتى كأنه فيها تصحيف، ولعلها هو لا ينافي ذلك كونه عالمًا بها وكونه على بصيرة بها، أمره له بذلك لا ينافي أنه ذو بصيرة بهذه الكلمة، وأنه عاش عليها، ودعا إليها، وعلم الناس إياها.

مداخلة: ولا يتأتى إلا هو؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينظر نسخة أخرى، فيها نظر، حط عليها إشارة، حطوا عليها إشارة.

مداخلة: ولا يتأتى إلا هو ولا ينافي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ... ينظر فيها نسخًا أخرى، الكلمة مصحفة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي «الصحيح» أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَايَ وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي**»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب =

وفي «الصحيح» أنه كان يقول في آخر الصلاة: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(١).

وفي «الصحيح» أنه قال: «**وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٢).

وقال الإمام أحمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في اللفظ الآخر: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(٣).

اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم، فإذا كان هو ﷺ يفعل هذا، فغيره من باب أولى أن يحرص؛ لأنه مغفور له ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومع هذا يتوب إلى الله ويستغفره، فالذي على خطر ينبغي له أن يكثر أكثر وأكثر، وأن يديم الاستغفار، ويكثر من الاستغفار.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن

= الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت**» برقم (٦٣٩٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل برقم (٢٧١٩).

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لي...**» برقم (٦٣٩٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل. . . برقم (٢٧١٩).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة برقم (٦٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم من حديث الأغر المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه برقم (٢٧٠٢).

عاصم الأحول قال: سمعت عبد الله بن سرخس قال: «أتيت رسول الله ﷺ فأكلت معه من طعامه فقلت: غفر الله لك يا رسول الله. فقلت: أستغفر لك؟ قال شعبة أو قال له رجلٌ. قال: نعم ولكم.

«وقرأ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[(١)]، ثم نظرت إلى بعض كتفه الأيمن، أو كتفه الأيسر ـ شعبة الذي شك ـ فإذا هو كهيئة الجمع عليه الثآليل».

(الشيخ): خاتم النبوة، نعم، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الأحول به، وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو يعلى، حدثنا محمد بن عون، حدثنا عثمان بن مطر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الذي عندكم محمد بن عون بالنون، وأم ابن عوف، بالفاء؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الحديث الآخر حدثنا أبو يعلى، حدثنا محمد بن عوف، حدثنا عثمان بن مطر، حدثنا عبد الغفور، عن أبي نصر، عن أبي رجاء، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عَلَيْكُمْ بِلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَالاسْتِغْفَارِ فَأَكْثِرُوا مِنْهُمَا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، فَأَهْلَكُونِي بِلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَالاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِك أَهْلَكْتُهُمْ بِالأَهْوَاءِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن سرخس (٥/ ٨٢).
وأخرجه أبو يعلى (١/ ١٢٣، رقم ١٣٦) قال الهيثمي (١٠/ ٢٠٧): فيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا الديلمي (١/ ٨٤، رقم ٢٦٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: البدع، الأهواء: البدع، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فهم يحسبون أنهم يحسنون، مهتدون»، وفي «الأثر» المروي قال إبليس: «وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»، والأحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جدًّا، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾؛ أي: يعلم تصرفكم في نهاركم، ومستقركم في ليلكم؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦]، وهذا القول ذهب إليه ابن جريج، وهو اختيار ابن جرير، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كله صحيح، يعلم متقلَّبهم في الدنيا ومثواهم في الدنيا، ويعلم مثواهم في الآخرة، كله صحيح، هذا وهذا، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السدي: متقلَّبكم في الدنيا ومثواكم في قبوركم، والأول أولى وأظهر والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الآية تعم، متقلّبهم في الدنيا، ومثواهم في القبور ومثواهم في الآخرة، يعلم هذا كله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الله أكبر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩][(١)].

هذه الآية الكريمة تدل على وجوب التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب، وأن الواجب على كل مؤمن، وعلى كل مؤمنة أن يلجأ إلى الله ويستغفره ويتوب إليه وينيب إليه؛ لأن ابن آدم خطاء كما قال النبي ﷺ: **«كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**[(٢)].

فالإنسان محل للذنوب ومحل التقصير، فالواجب عليه أن يلزم التوبة دائمًا، وأن يكثر من الاستغفار لله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقال ﷻ: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٥]. فالواجب الإكثار من الاستغفار والتوبة كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

فأنت محل الذنوب ليلًا ونهارًا، فالواجب البدار بالتوبة ولزومها

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب رياض الصالحين (٤/ ٦٣٩).
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق عن رسول الله ﷺ، باب برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١).

وكثرة الاستغفار، لعلك تنجو، لعل الله يتوب عليك، وقد وعدك به ﷻ، وهو الصادق في وعده.

وقول النبي ﷺ: «**إنه لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مائَةَ مَرَّةٍ**»[١]، في اللفظ الآخر: «**لأتوب إلى الله في اليوم مائة مَرَّةٍ**»، وفي اللفظ الآخر: «**وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتوب إِلَيْهِ فِي الْيَوم أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرةً**»[٢]، هذا هو الأسوة ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكما كان يكثر من الاستغفار والتوبة فهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بحالنا ونحن على خطر؟ فالواجب الإكثار من الاستغفار ولزوم التوبة دائمًا ومحاسبة النفس وجهادها حتى لا تقع في الخطيئة، ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الآخر: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرةٍ**»؛ يعني: يصيبه بعض الشيء، الغطاء الخفيف غير الران، الران شدة الغطاء، نسأل الله العافية بسبب كثرة الذنوب ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، أما الغين فهو الشيء الخفيف يعتري القلب، ويزيله الله بالاستغفار والتوبة، فالمؤمن هكذا يجتهد في التوبة إلى الله والاستغفار والحذر من شر الذنوب وعدم الإصرار عليها، لعله ينجو، لعله يسلم.

كذلك كان يعدون للنبي ﷺ في اليوم في المجلس الواحد مائة مرةٍ: يقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»[٣]،

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٣٢).

(٢) سبق تخريجه في (ص١٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما من كتاب الصلاة، باب في الاستغفار =

وهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في المجلس الواحد يعدون، يقول: «**أستغفر الله وأتوب إليه، اللَّهُمَّ اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم**» في اليوم مائة مرة، هذا يدل على عظم عنايته بهذا الأمر العظيم وتواضعه وحرصه على أسباب المغفرة، وهو سيد ولد آدم، مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فنحن أولى بأن نحرص؛ لكثرة ذنوبنا وتقصيرنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كذلك حديث: «**والَّذي نَفْسي بِيده لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهبَ الله بِكُمْ، ولجَاءَ بِقَومٍ يُذنِبون فيَسْتَغْفرون الله فيُغفَرُ لَهم**»[(١)]، فيه الدلالة أنه كتب على الناس الذنوب حتى يلجؤوا إلى الله، حتى يتواضعوا، حتى يقرُّوا بالتقصير؛ لأنهم محل الخطأ، محل العقوبة إلا أن يتوب الله عليهم، فمن زعم أنه سليم لا يذنب، جاهل مركَّب، كل إنسان محل، وعرضة للذنوب، كل بني آدم خطاء، فالواجب البدار بالتوبة والاستغفار والحرص على ذلك، لعل الله أن يغفر لك، والله سبحانه يحب من عباده أن يلجؤوا إليه، وأن يستغفروه، وأن يتوبوا إليه، وأن يعترفوا بذنوبهم، كما أخبر النبي ﷺ: «**لو لم تذنبوا، لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**»؛ يعني: ينكسرون إلى الله بين يديه ويضرعون إليه، ويشكون فاقتهم وضعفهم حتى يتوب عليهم ﷻ.

* *

= برقم (١٥١٦)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس برقم (٣٤٣٤).

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الدعوات، باب سقوط الذنوب بالاستغفار برقم (٢٧٤٩).

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٠ ـ ٢٣][1].

يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه الله ﷻ وأمر به نكل عنه كثير من الناس؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، وقال ﷻ هاهنا: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾؛ أي: مشتملة على حكم القتال، ولهذا قال: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء.

ثم قال مشجعًا لهم: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾؛ أي: وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا؛ أي: في الحالة الراهنة، ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: جد الحال وحضر القتال، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أخلصوا له النية، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: عن الجهاد، ونكلتم عنه؛ أي: ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾؛ أي: تعودوا إلى ما

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء؛ تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام، ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾، وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا؛ بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال، وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن الرسول.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا غاية في التحذير من الفساد في الأرض وقطيعة الرحم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ هذا وعيد عظيم، فالواجب على المسلم أن يحذر ذلك، كل معصية فساد في الأرض، فالواجب الحذر من المعاصي كلها، والتواصي بتركها، والحذر منها، وهكذا صلة الرحم والإحسان إليهم ولا سيما فقراؤهم، ومع أغنيائهم بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والتواصي بالحق والحثّ على الخير، نعم، الله المستعان.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾، لا حول ولا قوة إلا بالله، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعِ رَحِمٍ**»[1].

مداخلة: ففسّر توليتم بالجهاد، هل هذا، خاص بالجهاد أم عام؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

التولي عن الجهاد هو أهمها، وهو المقصود، ولكن التولي عن

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم القاطع برقم (٥٩٨٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطعها برقم (٢٥٥٦).

طاعة الله ورسوله كذلك، عما أوجب الله، لكن المقصود هنا إشارة إلى الجهاد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة، قال البخاري: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان، حدثني معاوية بن أبي مزرد، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**خَلَقَ اللهُ الخَلقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فأخَذَتْ بِحَقْو الرحمٰن** عَزَّ وَجَلَّ**، فقال: مه، فقالت: هذا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِن القَطِيعَةِ، فقال تعالى:«قَالَ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكِ لَكِ**»[(١)].

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾»، ثم رواه البخاري من طريقين آخرين عن معاوية بن أبي مزرد قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرءوا إن شئتم**: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾»، ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبي مزرد به، وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل ابن علية، حدثنا عيينة بن عبد الرحمٰن بن جوشن، عن أبيه عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ برقم (٤٨٣٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي برقم (٤٩٠٢)، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب برقم (٢٥١١)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب في البغي برقم (٤٢١١)، والإمام أحمد (٥/٣٦، ٣٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن أبي بكرة نعم، إلا أن فيه بعض الضعف، وأبو عبد الرحمٰن ما أعرف حاله، . . . انظر عيينة بن عبد الرحمٰن وأبا عبد الرحمٰن بن جوشن؟

مداخلة: في الحديث السابق: بحقوي الرحمٰن، صفة من الصفات؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم صحيح، وفي اللفظ الآخر: «**من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته**»، ذكر حقو الرحمٰن. . . صفة تليق بالله لا يعلم كيفيتها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مداخلة: بتثنية حقويه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء حقو الرحمٰن، وجاء في هذه الرواية: حقوي، والمعروف حقو الرحمٰن، بالإفراد الذي نعرف بالإفراد، وعندك بالتثنية؟

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يراجع الأصل في البخاري في «صحيح البخاري»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

انظر ما يتعلق بصلة الرحم أو التفسير.

مداخلة: . . . حقو الرحمٰن. . .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ برقم (٤٨٣٠) ولفظه: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمٰن، فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال فذاك». قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

شيء يليق بالله، حقو لا يعلم كيفيته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مداخلة: يا شيخ، قال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أليس توليتم أمر المسلمين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: توليتم عن الجهاد، أعرضتم عن الجهاد والرغبة فيه. وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن علية، حدثنا عيينة بن عبد الرحمٰن بن جوشن، عن أبيه عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ ذَنْبٍ أَجْدرُ أَن يُعَجِّل اللهُ لصاحبه العقوبة في الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهْ في الآخرَةِ من البغْي وقطيعَةِ الرَّحِمِ**»، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث إسماعيل هو ابن علية به. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠]، البغي شرُّه عظيم، والظلم والعدوان، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ميمون أبو محمد المرئي، حدثنا محمد بن عباد المخزومي.

عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**من سرَّه النسأ في**

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٤٠).

الأجل، والزيادة في الرزق فليصل رحمه»[١]. تفرد به أحمد، وله شاهد في الصحيح.

مداخلة: النسأ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

التأخير يعني في الأجل، نعم، النسأ في الأجل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في «الصحيح» يقول ﷺ: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**[٢].

- **س: في الحديث دليل جواز... الأعمال الصالحة...**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما عليها أصل، لكن يرجو ما وعده الله به

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أحمد أيضًا: حدثني يزيد بن هارون، حدثنا حجاج بن أرطأة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن لي ذوي أرحام أصل ويقطعون، وأعفو ويظلمون، وأحسن ويسيئون أفأكافئهم؟ قال ﷺ: **لا، إذًا تتركون جميعًا، ولكن جُدْ بالفضل وصلهم، فإنه لن يزال معك ظهير من الله ﷻ ما كنت على ذلك»**[٣]، تفرَّد به أحمد من هذا الوجه، وله شاهد من وجه آخر.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعيب الإيمان (٦/ ٢١٩).

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم برقم (٥٩٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عنه أبيه عن جده (٢/ ١٨١، ٢٠٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعلى، حدثنا مطر، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعت رحمه وصلها**»، رواه البخاري][1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهكذا ينبغي إذا قطعوا أن تصلهم، لا تكن مثلهم، «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعت رحمه وصلها**»، لا يكافئهم ولا يقابلهم، بل يصلهم ويحسن إليهم، لعل الله يهديهم، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعلى، حدثنا مطر، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعت رحمه وصلها**»، رواه البخاري.

قال رحمه الله: الله أعلم، إنه فطر المعروف فطر بن خليفة؛ لأن مطر ليس من رجال البخاري، فطر بن خليفة الظاهر أنه بالفاء، ماذا عندكم؟

مداخلة: فطر بن خليفة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هو الأقرب فطر بن خليفة، نعم، يراجع البخاري، لكن ما أعرف مطرًا في هذا، مطر من رجال مسلم، . . . الظاهر أنه فطر.

---

(١) أخرجه من حديث حديث عبد الله بن عمرو في كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ برقم (٥٩٩١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقال أحمد: حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«تُوضع الرَّحِمُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا حُجْبَةٌ كَحُجْبَةِ المِغْزَل تَكَلَّم بِلسَانٍ طَلْق ذَلْق، فَتَصلُ مَنْ وَصَلَهَا وتَقطَع مَنْ قَطَعَهَا»**(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، حدثنا عمرو عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، يبلغ به النبي ﷺ قال: **«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرحْمٰنُ، ارْحَمُوا أَهَلَ الأَرْض يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء، والرَّحمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرحْمٰن»**.

[**«والرحم شجنة من الرحمٰن، من وصلها وصلته ومن قطعها بتته»**، وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار به، وهذا هو الذي يروى بتسلسل الأولية، وقال الترمذي: حسن صحيح(٢).

مداخلة: أحسن الله إليكم! في البخاري فأخذت بحقو الرحمٰن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: حقوي؟

مداخلة: بحقو بالإفراد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، هذا أصل؟

مداخلة: . . . نعم . . .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (٢/ ١٨٩، ٢٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو في كتاب الأدب، باب في الرحمة برقم (٤٩٤١)، والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في رحمة الناس برقم (١٩٢٤)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: صلِّح أجل الذي عندك بالإفراد، حقو الرحمٰن، نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ.

أن أباه حدَّثه أنه دخل على عبد الرحمٰن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مريض، فقال له عبد الرحمٰن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وصلتك رحم إن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله** عَزَّ وَجَلَّ: **أنا الرحمٰن، خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه فأبته** ـ أو قال ـ **من بتَّها أبتُّه**»، تفرَّد به أحمد من هذا الوجه، ورواه أحمد أيضًا من حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن المرداد ـ أو أبي المرداد ـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن النزال من؟

مداخلة: الرداد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورواه أيضًا من حديث الزهري عن أبي سلمة، عن المرداد أو أبي المرداد.

عن عبد الرحمٰن بن عوف به.

ورواه أبو داود والترمذي من رواية أبي سلمة عن أبيه والأحاديث في هذا كثيرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار الموصلي، حدثنا عيسى بن يونس، عن الحجاج بن يونس عن الحجاج بن الفرافصة، عن أبي عمر البصري عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[(١)]، وبه قال رسول الله ﷺ: «**إذا ظهر القول وخزن العمل واختلفت الألسن وتباغضت القلوب..**»[(٢)].

وقطع كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله وأصمَّهم وأعمى أبصارهم، والأحاديث في هذا كثيرة، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ **[محمد: ٢٢، ٢٣]**[(٣)].

هذه الآيات الكريمات تتعلَّق بوجوب بر الوالدين وصلة الرحم، وتحريم عقوق الوالدين وقطيعة الرحم، تقدَّمت آيات وأحاديث في وجوب بر الوالدين وصلة الرحم، وذكر هنا ما يتعلق بتحريم العقوق والقطيعة، والعقوق ضد البر، والقطيعة ضد الصلة، والله يقول جَلَّ وَعَلَا في

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة برقم (٣٣٣٦)، ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة برقم (٢٦٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/١٦٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٨٧): فيه جماعة لم أعرفهم، وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه أحمد في المسند (٥/٢٩٥).

(٣) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/٣٣).

كتابه العظيم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾.

فهذا وعيد شديد يتوعد سبحانه من تولوا أمور المسلمين، أو شيئًا منها أن يفسد في الأرض أو يقطع رحمه، بل يجب الحذر من ذلك، وأن يكون وُصولًا للرحم مصلحًا لأمور المسلمين، بعيدًا عن أسباب الفساد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] يدخل في هذا قطع الرحم وعقوق الوالدين، فإنه مما أمر الله بوصله البر، فمن قطع دخل في هذا العموم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] يفيد الحذر من قطيعتهما وأوجب الله البر، والضد القطيعة والعقوق فحرم العقوق؛ لأنه ضد البر، وبيَّن أن قوله لهما: أُفٍّ، نهرهما من جملة المنهي عنه، وأنه من العقوق، فالنهر برفع الصوت عليهما، والأُف إظهار كراهة الرائحة، أو التأفّف مما قد يبدو من روائح، سواء كانت من البدن أو الخارج أو من أي شيء فلا يبدي لهما شيئًا من التأفف والتكره بشيء من حالهما، بل يتماسك، ويحذر أن يريهما ما يسوؤهما، أو يظهر لهما ما يسوؤهما، ويحرص على كل ما ينفعهما وكل ما يعود عليهما بالمنفعة والطهر والرائحة الطيبة والمنظر الحسن، يجتهد في الإحسان إلى والديه بكل ما يستطيع، ولا يتظاهر بشيء يؤلمهما ويؤذيهما.

وجاء في حديث أبي بكرة الثقفي نفيع بن الحارث، يقول: قال النبي ﷺ لأصحابه ذات يوم: «**ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكبَرِ الكَبَائِرِ؟**» يرددها ثلاثًا يقول: «**ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكبرِ الكَبائِرِ؟ ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكبرِ الكَبائِرِ؟ ألا أُنَبِّئُكُمْ**

بأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» **(قلنا: بلى يا رسول الله)** إنما كرَّر ذلك؛ لينتبهوا وليستعدوا لما سيقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وليفهموه، فقال: **«الإِشْرَاكُ بِاللهِ»** هذه الأولى، **«وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»** الثانية، **«وَشَهَادَةُ الزُّور»** الثالثة، هذه الذنوب من أقبح الكبائر وأعظمها وأشدها وأخطرها: الشرك بالله: وهو أعظم الذنوب، وهو ذنب أهل النار الذين يخلدهم الله فيها بأسباب عبادة غير الله، أو صرف بعض العبادة لغير الله من أصنام أو أشجار أو كواكب أو أموات أو جن أو غير ذلك، العبادة حق الله، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

يلي ذلك العقوق في أحاديث أخرى وآيات أخرى، يليه القتل قتل النفس بغير حقٍّ، وقتل النفس بغير حقٍّ من أعظم الجرائم، والعقوق من أعظم الجرائم، كلاهما جريمتان عظيمتان، وقتل النفوس بغير حقٍّ وعقوق الوالدين من أقبح الجرائم قابل إحسانهما بالإساءة.

والثالثة: شهادة الزور شرها عظيم، فما زال يكرِّرها شهادة الزور، **«أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ»** حتى قال الصحابة: ليته سكت، يعني: إشفاقًا عليه؛ لئلا يشق على نفسه بأن لا يتعبها، كرّر من تحذيره من شهادة الزور **«أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ»** لماذا؟ لما يترتب عليها من الفساد العظيم يعني: شهادة الزور تُسفك بها الدماء بغير حقٍّ، وتُستباح بها الفروج بغير حق، وتُؤخذ بها الأموال بغير حق، شرُّها عظيم؛ ولذلك حذر منها ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكرر ذلك، وفي هذا قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] جعل قول الزور قرين الشرك، وفي هذا الحديث جعله قرين الشرك أيضًا مع العقوق، وما ذاك إلا لعظم الخطر في ذلك والشر في ذلك، فيجب على المؤمن أن

يحذر العقوق والقطيعة وأنواع الشرك كله، كما يحذر أيضًا قول الزور وشهادة الزور؛ لما فيها من الفساد العظيم والشر الكثير.

وكذلك في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفس، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**» كل هذا من أعظم الكبائر، والعقوق يقرن مع الشرك، وهكذا القتل يقرن مع الشرك كما في حديث ابن مسعود قال: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**»[١]، وفي آية الفرقان قال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، فجعل القتل قرين الشرك، ثم بعده الزنى، وفي حديث أبي بكرة جعل العقوق قرين الشرك، ثم بعده شهادة الزور، ينوع المقال ﷺ في كل مقام له مقال، فينوع المقال، وينوع التحذير ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فتارة يجعل هذا، وتارة يجعل هذا؛ ليحذر الناس الجميع: العقوق والقتل والزنى واليمين المغموس.

كذلك اليمين الغموس شرها عظيم، سُمِّيت غموسًا؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار إن لم يعفُ الله عنه، وهي اليمين التي يقطع بها مال أخيه بغير حق، التي يأخذ بها شيئًا بغير حق، يقال لها: يمين غموس، في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من حلف عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ مَال امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»[٢]. وحديث أبي أُمامة الحارثي عن النبي ﷺ؛ أنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله رضي الله عنه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] برقم (٤٧٦١).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب =

«مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[1]. هذا يوجب الحذر من الأيمان الفاجرة، وهذا يقع للناس كثيرًا، إذا كان صاحب الحق لا بيِّنة له فليس له إلا اليمين فيلجأ إليها.

فالواجب الحذر، الواجب على المسلم أن يتقي الله، وأن لا يحلف إلا بحق، وأن لا يستغل تفريط أخيه بعدم البينة في جحد ماله أو جحد حقه، بل يجب أن يحذر ذلك ويتقيَ الله حتى يُقرَّ بالحق، فإن أكله بيمينه واستحله بيمينه فله هذا الوعيد، نسأل الله السلامة.

❊

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ [محمد: ٢٢][2].

حدّثنا خالد بن مخلدٍ، حدّثنا سليمان، قال: حدّثني معاوية بن أبي مزرّدٍ، عن سعيد بن يسارٍ، عن أبي هريرة ﵁ عن النّبيّ ﷺ قال: **«خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَه: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ»**، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾[3].

= التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا﴾ [آل عمران: ٧٧] برقم (٤٥٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين برقم (١٣٨)، باختلاف.

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي أمامة ﵁ في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار برقم (٢١٨).

(٢) من شرح سماحته ﵀ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٣) سبق تخريجه في (ص١٤٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبيّن لنا خطر قطيعة الرّحم وأنّ خطرها عظيمٌ، وأنّ الواجب الحذر من ذلك، وأن القطيعة ملعونٌ صاحبها. نسأل الله العافية.

وفي الصّحيح عن رسول الله ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، أنّه قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّة قَاطِعُ رَحِمٍ**»[(١)]. نسأل الله العافية.

الله ﷻ يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [محمّد: ٢٢، ٢٣]. نسأل الله العافية.

وأمّا صلتها فمن أسباب بسط الرّزق والنّسء في الأجل، «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[(٢)].

قوله: «**أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟**»: وهذا يفيد الحذر من قطيعة الرّحم؛ ولهذا قال بعده: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [محمّد: ٢٢] والرّحم: هم الأقارب، يقطعهم بغير سببٍ، وفي هذا قصّة الرّحم بحقو الرّحمٰن فقال: «**أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بلى. قَالَ: فذَلِك لك**»[(٣)].

وهذا مثل سائر الصّفات، حقو الرّحمٰن من سائر الصّفات، على الوجه اللّائق بالله، لا يعلم كيفيّته إلّا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- **س: (مزرّد)[(٤)] في السند بالذال أم بالراء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بالدال.

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٣٩).
(٢) سبق تخريجه في (ص١٤٣).
(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ برقم (٤٨٣٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والأداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٤).
(٤) يقصد (معاوية بن أبي مزرّد) الذي في السند.

(السّائل): في السند الأول كتبها بالراء، وهنا بالدال؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(مزرد) كلّها بالراء والدال (مزرّد).

(السّائل): في السند الأول (حدثنا معاوية بن مزرر)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، (مزرّد) بالدال. غلطٌ. تكلم على (مزرد) عندك؟

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٦٧٧٠)]: «معاوية بن أبي مزرد» ـ بضمّ الميم وفتح الزّاي وتثقيل الرّاء المكسورة ـ عبد الرّحمٰن بن يسارٍ مولى بني هاشمٍ المدني ليس به بأسٌ من السّادسة خ م س».

● **س: ما ضبط الحرف الأخير؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ذكر فيه وجهًا آخر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

راجع أوّل الشّرح على قوله: «**أوزارها**» ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الكلام على أوزارها؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٧٩)]: «قوله: «**سورة محمّدٍ** ﷺ **بسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم**»»:

كذا لأبي ذرٍّ ولغيره: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حسب.

قوله: «**أوزارها: آثامها حتّى لا يبقى إلّا مسلمٌ**»: قال عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال: حتّى لا يكون شركٌ. قال: والحرب من كان يقاتله، سمّاهم حربًا. قال ابن التّين: لم يقل هذا أحدٌ غير البخاريّ، والمعروف أنّ المراد بأوزارها السّلاح. وقيل: حتّى ينزل عيسى ابن مريم. انتهى.

وما نفاه قد علمه غيره قال ابن قرقولٍ: هذا التّفسير يحتاج إلى

تفسيرٍ؛ وذلك لأنّ الحرب لا آثام لها؛ فلعلّه كما قال الفرّاء آثام أهلها ثمّ حذف وأبقى المضاف إليه أو كما قال النّحّاس: حتّى تضع أهل الآثام فلا يبقى مشركٌ. انتهى.

ولفظ الفرّاء: الهاء في أوزارها لأهل الحرب؛ أي: آثامهم، ويحتمل أن يعود على الحرب، والمراد بأوزارها سلاحها. انتهى. فجعل ما ادّعى ابن التّين أنّه المشهور احتمالًا». [انتهى كلامه].

● **س: وقاتلوهم حتّى لا يكون شركٌ، ما المذموم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الجهاد قائمٌ؛ حتّى يزول الشّرك، مثل ما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

● **س: الرّحم كلّ جماعته؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأقارب، الأقرب فالأقرب، أعظمهم الأولاد والآباء والأمّهات، ثمّ الإخوة والأخوات، وهكذا الأقرب فالأقرب.

● **س: قد يدخلها القبيلة بعد، أم ما له دخلٌ، قبيلته؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قبيلته الخاصّة تدخل، لكن على بعدٍ، يقدّم الأقرب منهم.

● **س: أحسن الله إليك، (الحقو) يعتبر من الصّفات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من صفة الرّحمٰن نعم.

● **س: «لا يدخل الجنّة» يعني أبدًا ما يدخل الجنّة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعيدٌ، من باب الوعيد، إلّا أن يعفو الله عنه، أو يعذّب على قدر جريمته الّتي مات عليها ـ لما تاب ـ نسأل الله العافية. مثل الزّنا وغيره من المعاصي، تحت مشيئة الله، لكن هذا من باب الوعيد والزّجر.

هذه قاعدةٌ عند أهل السّنّة والجماعة؛ كلّ المعاصي هكذا من باب الوعيد والزّجر، وصاحبها تحت مشيئة الله.

● **س: هل الحديث يدلّ على أن المسلم ما يهجر المسلم أكثر من ثلاثٍ، فإذا مات أحدهم يكون في النّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيه الوعيد نعم، هذا يدلّ على وجوب عدم التّهاجر أكثر من ثلاثٍ.

● **س: أحسن الله إليك، الأرحام من جهة الأمّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل الأب، الأرحام من جهة الأمّ والأب، أخوالك لأمّك وأولادهم، القرابات، الأرحام، يعمّ ما كان من جهة الأب، وما كان من جهة الأمّ، ومن جهة الأولاد، يقول النّبيّ ﷺ لما سئل ـ لما سأله بعض النّاس ـ أيّ النّاس أحقّ بصحبتي؟ قال: «**أُمَّكَ**» قال: قلت: ثمّ من؟ قال: «**أُمَّكَ**» قال: قلت: ثمّ من؟ قال: «**أُمَّكَ**» قال: قلت: ثمّ من؟ قال: «**ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَب فَالأَقْرَب**»(١).

● **س: الحلائل يعني بنت العمّ أو غيرها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: داخلون في القرابات، ابن العمّ وابن الخال.

● **س: الهجر للمعاصي والذّنوب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الهجر لا يمنع من الصّلة، إن كانوا فقراء يعطيهم من زكاته، يعطيهم من صدقاته لا يمنع، هجرهم شيءٌ، والصّلة شيءٌ آخر.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده في كتاب الأدب، باب في بر الوالدين برقم (٥١٣٩)، والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في بر الوالدين برقم (١٨٩٧) وحسنه، والإمام أحمد (٥/٣، ٥).

• **س: أحسن الله إليك، تعلّقت بحقو الرّحمٰن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من وصف الله على الوجه اللّائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مثل سائر الصّفات، حقو الرّحمٰن، وقدم الرّحمٰن، أصابع الرّحمٰن كلّها صفاتٌ يجب إثباتها لله على الوجه اللّائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

• **س: إنكار ابن التّين على البخاريّ من تسمية الحرب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول الشّارح قد نفاه وعرفه غيره.

(**السّائل**): يقول الحرب على أهلها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو مراده ﴿تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمّد: ٤]؛ يعني: آثامها؛ يعني: يزول الشّرك ويثبت الحقّ، فسّره بمعنى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، هذا مراد البخاريّ.

• **س: يا شيخ: معنى قوله: «والحرب من كان يقاتل»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المحاربين، وليس أهل الأمان، الحرب، أهل الحرب الّذين هم ليسوا أهل عهدٍ ولا ذمّةٍ.

• **س: (حقو الرّحمٰن) يثبت هكذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كما جاء في النّص.

• **س: يا شيخ أحسن الله إليك، هنا طائفةٌ تسبّ معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا نوعٌ من الرّافضة الزّيديّة وجماعة، هذا غلطٌ، هذا منكرٌ يجب التّرضي عنه كغيره من الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسبّه كبيرةٌ من الكبائر.

• **س: يقولون: من يعرف يزيد يترضّى عن معاوية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أدري عنه، اسألهم!

(من الطّالب): الشّارح تكلّم على (الحقو) على عادته أوّله قال: «هذا محالٌ على الله». ونقل نقولًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نقلها عمن؟ الأشاعرة وأشباههم من النّفاة معروفون، أهل السّنّة والجماعة يقولون: كلّ ما جاء في النّصوص الثّابتة وجب إثباته لله على الوجه اللّائق به، الباب واحدٌ.

● س: **يقول(١) استعارةٌ هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اتركه.!! شيءٍ كلّما مررنا على تأويل الصّفات في «فتح الباري» يحصل فيه تعليقٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يمكن، إن شاء الله(٢).

● س: **أحسن الله إليك، الحافظ هنا يقول ـ يعني أورد كلام عياضٍ ـ يقول: «الحقو معقد الإزار، وهو الموضع الّذي يستجار به». الأول يقول: إنّها معقد الإزار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا في اللّغة، لغة العرب: الحقو هذا مثل ما أعطاها حقوه، حديث الإزار لما غُسّلت زينب، هذا معناه في اللّغة، لكن معناه في الحديث الله أعلم. نؤمن بما جاء في اللّفظ ولا نعلم الكيفيّة.

● س: **بالنّسبة للأقارب ما حدّهم؟**

---

(١) يعني: الحافظ.

(٢) وقد أتمه تلميذه علي بن عبد العزيز الشبل في التعليقات على المواضع التي حصل فيها خلل من فتح الباري للحافظ ابن حجر، وراجعها سماحة الشيخ ابن باز كاملة قبل موته في مجالس انتهت في شعبان عام ١٤١٩هـ رحمهم الله وجزاهم خيرًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل ما قال ﷺ: «**الأَقْرَب فالأَقْرَب**»، أولهم الآباء والأمّهات، والأولاد، ثمّ الإخوة، ثمّ بنوهم، ثمّ الأعمام، ثمّ بنوهم، وهكذا. لما قيل: يا رسول الله، من أحقّ النّاس بحسن الصّحبة؟ قال: «**أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّك، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**». رواه مسلم(١). وهكذا في أحاديث أخرى الأقرب فالأقرب.

• س: قطع الرّحم من كبائر الذّنوب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم من الكبائر: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّة قَاطِعُ رَحِم**»(٢) في الحديث الصّحيح، وفي الآية الكريمة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ٢٣﴾ اللّعنة بعد الذّنب يجعله من الكبائر.

• س: أحسن الله إليك، قال الحافظ هنا: والمعنى على هذا صحيحٌ مع اعتقاد تنزيه الله عن الجارحة، ما رأيك في هذا الكلام أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا كلامٌ ما هو بطيبٍ، أمّا تنزيه الله عمّا نزّه به نفسه...، وأمّا إثبات الصّفات فهذا هو تنزيهه إثبات الصّفات كما جاءت: اليد، والقدم، والإصبع، والعين، والسّمع، كلّ هذا ثبت في النّصوص على الوجه اللّائق بالله، لا يشابه خلقه في شيءٍ من صفاته، هذا التبس على كثيرٍ من النّاس، ولكن أهل السّنّة والجماعة من أصحاب النّبيّ ﷺ ومن سار على

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟ برقم (٥٩٧١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنها أحق به برقم (٢٥٤٨).

(٢) سبق تخريجه (١٣٩).

نهجهم قد وفّقهم الله، ولم يشكّوا، ولم يلتبس عليهم الأمر، أمرّوها كما جاءت، أمرّوها كما جاءت من غير تحريفٍ، بلا كيفٍ.

• **س: أحسن الله إليك، إذا رضي منه أقاربه بالزّيارة بين أشهرٍ متعاقبةٍ ـ سبعةٍ أو ثمانيةٍ ـ وعلم أنّهم يرضون، فهل يعدّ ذلك واصلًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، القطيعة عدم الوصل، إذا وصلهم بالمال أو بالكلام أو بالسّلام، وليس بينه وبينهم شحناء، هو واصلٌ ولو ما أعطاهم مالًا، المهمّ ألّا يقطعهم، ألّا يؤذيهم ولا يقطعهم.

• **س: أحسن الله إليك، «ليس الواصل بالمكافئ» المعنى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الواصل الّذي إذا قطعت رحمه وصلها كما بيّن ﷺ: «**وَلَكِن الوَاصِل الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»(١)، ليس معنى يكافئهم يقول: من وصلني وصلته، ومن قطعني قطعته، لا، إذا قطعوه لا يقطعهم، بل يصير خيرًا منهم، يصلهم وإن أساؤوا.

• **س: الاتّصال بالهاتف يكفي عن الزّيارة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يكفي، إذا تيسّر الزّيارة فحسن، وإن ما تيسّر بالهاتف إذا لم تدع حاجةٌ إلى الزيارة على الهاتف، إذا دعت الحاجة لفقرهم، أو لمرضٍ، أو نحو ذلك، يزورهم، أو يعطيهم من المال إذا كان مستطيعًا، وهم بحاجةٍ، يصلهم بالمال، الصّلة بحسب العرف، تارةً بالمال، وتارةً بالكلام، وتارةً بالزّيارة، تارةً بالمكاتبة.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ برقم (٥٩٩١).

• **س: أقارب الأمّ مقدّمين على أقارب الأب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ظاهر قول النّبيّ ﷺ العموم، قال: «**ثُمَّ الأَقْرَب فالأَقْرَبُ**» من جهتين: من جهة الأب، ومن جهة الأمّ، أمّا لو كفّارًا فالواجب قطيعتهم، وعدم صلتهم، لكن إذا أحسن إليهم إن لم يكونوا بحربٍ فصِلتهم داخلةٌ في الحديث، إذا كان بيننا وبينهم عهدٌ وأمانٌ، مثل ما وصل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أقاربه بمكّة في وقت الهدنة، ومثل ما وصلت أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أمّها في وقت الهدنة، وإن كان كافرًا؛ لأنّ هذا من أسباب هدايته، في وقت الهدنة.

• **س: والعصاة من باب أولى، العصاة الأقارب، العصاة يعني من باب أولى يوصلون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم العصاة من باب أولى؛ لأنّها قد تكون من أسباب هدايتهم ورجوعهم إلى الحقّ.

• **س: وإن ـ عفا الله عنك ـ نصحوا في هذه المعصية ولم يستجيبوا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو، ولو.

(من السّائل): وكان في بيته معصيةٌ تضرّ على..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الصّلة ما تمنع، عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصلهم وهم مقيمون على الكفر، وأسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وصلت أمّها وهي مقيمةٌ على الكفر.

• **س: أحسن الله إليك، الأقارب إن كان في بيتهم آلات اللّهو؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تنصحهم وتصلهم.

• **س: النّساء قد تتأثر بالمعصية..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس بلزوم الوصول بالقدم إذا كان فيه معاصٍ أو عدم قدرةٍ، يصلهم بالمال، بالدّعوة إلى الله، بالتّرغيب في الخير، بالنّصيحة، ليس الوصل كلّه بالزّيارة، أو بالمال، النّصيحة صلةٌ، والدّعوة إلى الله صلةٌ، التّوجيه إلى الخير صلةٌ.

• **س: في حديث الفتنة ـ أحسن الله إليك ـ قول النّبيّ ﷺ: «في خفّة الطّير وأحلام السّباع»[1] معناه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: خفّة الطّير: قليلو العقول.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٤ ـ ٢٨][2].

يقول تعالى آمرًا بتدبر القرآن وتفهمه، وناهيًا عن الإعراض عنه، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾؛ أي: بل على قلوب أقفالها، فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء، من معانيه، قال ابن جرير:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض... برقم (٢٩٤٠).

(٢) تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

حدثنا بشر، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ يومًا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يوجب للمؤمن اللجأ إلى الله والضراعة إليه أن يفتح على قلبه، وأن يزيل عنه قفله، وأن يشرح صدره للحق حتى يفهم كتاب الله، وحتى يعقله، وحتى يوفق للتدبر والتعقل، هذا كتاب عظيم فيه الهدى والنور ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وفي هذه الآية يحذرهم من الغفلة فيقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، ففيه الحثُّ على تدبُّره وتعقُّله، والحذر من مشابهة الغافلين المقفلة قلوبهم.

مداخلة: سماع القرآن مثل قراءته بالصوت؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ظاهر الأدلة أن المستمع شريك القارئ إذا أنصت وأراد الخير.

مداخلة: أم هنا بمعنى: بل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الظاهر، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾؛ أي: فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾؛ أي: زين لهم ذلك وحسَّنه.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾؛ أي: غرَّهم وخدعهم، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: مالئوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل، وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾؛ أي: ما يسرُّون وما يخفون، الله مطَّلع عليه وعالم به؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ٨١]، ثم قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾؛ أي: كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم، وتعاصت الأرواح في أجسادهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ أي: بالضرب، ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ولهذا قال ها هنا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ **[محمد: ٢٩ ـ ٣١]**(١).

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾؛ أي: أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

المؤمنين؟! بل سيوضِّح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر، وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة براءة، فبيَّن فيها فضائحهم، وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم، ولهذا كانت تُسمَّى الفاضحة، والأضغان: جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ﴾، يقول ﷻ ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانًا، ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترًا منه على خلقه، وحملًا للأمور على ظاهر السلامة، وردًّا للسرائر إلى عالمها. ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾؛ أي: فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يُفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا شك أن أهل النفاق تظهر في الغالب سرائرهم بما يظهر من كلامهم وميولهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو المراد من لحن القول، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه».

وفي الحديث: «**ما أسرَّ أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر**»، وقد ذكرنا ما يُستدل به على نفاق الرجل، وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد في أول شرح البخاري بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين، قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن سلمة بن عياض، عن أبيه، عن

أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: **إن منكم منافقين فمن سمَّيت فليقم** ـ ثم قال: ـ **قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان** ـ حتى سمى ستة وثلاثين رجلًا، ثم قال: ـ **إن فيكم أو منكم ـ منافقين فاتقوا الله**، قال: فمر عمر رضي الله عنه برجل ممن سمِّي مقنَّع قد كان يعرفه فقال: ما لك؟ فحدَّثه بما قال رسول الله ﷺ فقال: بعدًا لك سائر اليوم».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

طيب، انظر «التقريب»، نعم، الذي بعده نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

مداخلة: في حاشية الله يديمك قال الهيثمي في «المجمع»: فيه عياض بن أبي عياض عن أبيه ولم أرَ من ترجمهما.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، لكن في صحته نظر، والأقرب ـ والله أعلم ـ عدم صحته؛ لأنه ﷺ ما كان يبيِّن أسماءهم؛ بل كان يحذِّر من صفاتهم وأخلاقهم ويدعوهم إلى الله وهذا. . . ، قم يا فلان، قم يا فلان غريب.

فالأظهر ـ والله أعلم ـ أنه غير صحيح، يراجع المسند، كونه فضحهم على رؤوس الأشهاد وهم يتظاهرون بالإسلام، عادته الستر ـ عليه الصلاة والسلام ـ، يقول: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله في الدُّنْيا والآخِرةِ**»[١]، عادته الستر، إنما يبين الصفات والأخلاق التي يجب الحذر منها، ولهذا كان عبد الله بن أُبي تروى عنه أشياء كثيرة فيعتذر ويستر عليه ولا يقول فلان، نعم، يراجع الأصل في المسند، حاضر «المسند»؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات برقم (٢٥٤٤)، والإمام أحمد (٤/ ١٠٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

انظر مسند أبي مسعود يا شيخ أحمد نعم، كمل.

قال رَحِمَهُ اللهُ: وجدت «التقريب».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾؛ أي: لنختبرنكم بالأوامر والنواهي ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾، وليس في تقدم علم الله تعالى بما هو كائن أنه سيكون شكًّا ولا ريب، فالمراد حتى نعلم وقوعه، ولهذا يقول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في مثل هذا: «إلا لنعلم؛ أي: لنرى».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود: أنه سبحانه يعلم كل شيء، ولكن المقصود بالعلم هنا العلم الخارجي؛ يعني: حتى يرى خارجًا ويعلم خارجًا موجودًا، مثلما في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾؛ يعني: حتى نعلمه علمًا ظاهرًا، وإلا فهو يعلم كل شيء جَلَّ وَعَلَا؛ أي: حتى يعلمه موجودًا ظاهرًا بين الناس، الله أكبر.

مداخلة: أحسن الله إليك! لو لم يبين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسماء المنافقين، فهل... الصحابة حديث الرسول ﷺ في الكذب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

على كل حال يعلمون بصفاتهم وأخلاقهم، هم موجودون، ولكنهم كثيرون ما بيَّنهم النبي ﷺ، إنما يعرفون بصفاتهم ومنهم ومنهم، الله المستعان.

مداخلة: ... يستغلون هذا يا شيخ ويقولون: إن بعض الصحابة الرسول ﷺ قال: إن فيهم منافقين، فأحاديثهم لا تصح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصل السلامة حتى يعلم النفاق.

مداخلة: شيخ، ما بيَّن لحذيفة بعض أسمائهم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلى، لكن هذا على رؤوس الأشهاد، والناس مجتمعون في المسجد.

مداخلة: شيخ، الفرق بين الحقد والغل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متقارب.

مداخلة: لكن هذا الحديث له شاهد في «الأدب المفرد» عند البخاري يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يراجع.

*

❏ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٢ ـ ٣٥][(١)].

يخبر تعالى عمَّن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى أنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير؛ بل يحبطه

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات، وقد قال الإمام أحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة: حدثنا أبو قدامة، حدثنا وكيع، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾، فخافوا أن يبطل الذنب العمل، ثم روى من طريق عبد الله بن المبارك، أخبرني بكر بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبولًا، حتى نزلت: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾، فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر الموجبات والفواحش، حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك، فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش، ونرجو لمن لم يصبها».

ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾؛ أي: بالردة، ولهذا قال بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ...﴾ الآية [النساء: ٤٨]، ثم قال ﷻ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود التحذير من أسباب بطلان العمل، الرياء يبطل العمل، وكذلك المن في الصدقة والأذى في الصدقة يبطلها، ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فينبغي للمؤمن أن يحذر المعاصي، وهكذا الكبائر تمنع من تأثير الصلاة والزكاة في غفران السيئات، «**الصَّلَاةُ**

الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ»[١]، ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]؛ فينبغي للمؤمن الحذر من جميع السيئات؛ لئلا يحبط عمله وهو لا يشعر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال ﷻ لعباده المؤمنين: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾؛ أي: لا تضعفوا عن الأعداء، ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾؛ أي: المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾؛ أي: في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله ﷺ حين صدَّه كفار قريش عن مكة، ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم ﷺ إلى ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذا المعنى قال ﷻ: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]؛ يعني: المصالحة، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، إذا رأى المصلحة في ذلك يجنح للسلم حتى يفتح الله، حتى يتيسر له أمر آخر الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله جلَّت عظمته: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾: فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء، ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾؛ أي: ولن يحبطها ويبطلها

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... إلخ برقم (٢٣٣).

ويسلبكم إياها؛ بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئًا، والله أعلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا...﴾** ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٦ ـ ٣٨][1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى تحقيرًا لأمر الدنيا وتهوينًا لشأنها: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ أي: حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عَزَّ وَجَلَّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر، يعني: هذا هو الغالب، الغالب على الناس هكذا، لهو ولعب: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ...﴾ الآية [الحديد: ٢٠]، هذا غالب أهلها، حال الدنيا بالنسبة إلى غالب أهلها، الله المستعان، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾؛ أي: هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئًا، وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال؛ مواساة لإخوانكم الفقراء؛ ليعود نفع ذلك عليكم، ويرجع ثوابه إليكم، ثم قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَبۡخَلُواْ﴾؛ أي: يحرجكم تبخلوا، ﴿وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾ قال قتادة: قد علم الله تعالى أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان، وصدق قتادة، فإن المال محبوب، ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلى الشخص منه.

وقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ﴾؛ أي: لا يجيب إلى ذلك، ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾؛ أي: إنما نقص نفسه من الأجر، وإنما يعود وبال ذلك عليه، ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾؛ أي: عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائمًا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾؛ أي: بالذات إليه، فوصفه بالغنى وصف لازم له

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: صفة لازمة، هو الغني عن كل ما سواه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وغيره فقره لازم له، إلى الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن كان عنده أموال الدنيا فهو فقير إلى الله جَلَّ وَعَلَا، إن شاء الله سلبها إياه في لحظة، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكون عنه.

مداخلة: الأضغان ـ أحسن الله إليكم ـ التي هي الشح والبخل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأحقاد، الأضغان الأحقاد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾؛ أي: عن طاعته واتباع شرعه، ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾؛ أي: ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره.

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ تلا هذه الآية: ﴿وَإِن

تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال: فضرب فِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بيَدَه عَلَى كتف سَلْمَانَ الفارسي ثُمَّ قَالَ هذا وقومه: «**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ ـ أَوْ رَجُلٌ ـ مِنْ هَؤُلَاءِ**»[١]، تفرد به مسلم بن خالد الزنجي، ورواه عنه غير واحد.

وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم، والله أعلم، آخر تفسير سورة القتال ولله الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مسلم بن خالد هذا من شيوخ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يضعَّف في الحديث، ولكن الواقع شاهد بهذا، فإنه لما أسلم الفرس وتولى الصحابة بلادهم، خرج فيهم العلماء والعبَّاد والأخيار والذين شهد لهم التاريخ بعبادتهم وعلمهم وفضلهم من الفرس، والله المستعان، وهذا فضل يمن به على من يشاء ومنهم سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ برقم (٤٨٩٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس برقم (٢٥٤٦).

تفسير سورة الفتح(١)

وهي مدنية

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة الفتح:

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: «قرأ النّبيّ ﷺ عام الفتح في مسيرٍ له سورة الفتح على راحلته فرجّع في قراءته. قال معاوية: لولا أنّي أخاف أن يجتمع عليّ النّاس لحكيت لكم قراءته»(٢). أخرجاه من حديث شعبة به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الترجيع، التكرار للفهم، تكرار بعض الآيات حتى يفهمها السامع أو حتى يخشع القارئ.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: ١ ـ ٣](٣).

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير، في جامع الإمام تركي بن عبد الله بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركزَ النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟ برقم (٤٢٨١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة برقم (٧٩٤).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ستٍّ من الهجرة، حين صدَّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام، فيقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكرُّه من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله تعالى، فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع أنزل الله عز وجل هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أعد كما روي.

(القارئ): كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيرهما.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: وغيره.

(القارئ): وغيره. نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أنه قال: «إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية».

وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: «ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية».

وقال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: «تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ»[1].

(١) أخرجه البخاري من حديث البراء رضي الله عنه في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية برقم (٤١٥٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما حصل فيها من الخير العظيم، وحصل فيها من الأمن، وهداية الناس، ودخولهم في دين الله أفواجًا، فصارت فتحًا من الله، كما سمَّاها الله فتحًا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ لأن الناس أمنوا، وسافروا إلى المدينة، وهاجر الناس، واجتمع شمل المسلمين، وسمعوا القرآن، وسمعوا السُّنَّة، فصار في ذلك خير عظيم، حتى تجمَّع المسلمون في المدينة، وجاء.. وفتح بهم مكة عام ثمانية من الهجرة، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كنّا مع النّبيّ ﷺ أربع عشرة مائةً، والحديبية بئرٌ فنزحناها، فلم نترك فيها قطرةً، فبلغ ذلك النّبيّ ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثمّ دعا بإناءٍ من ماءٍ فتوضّأ ثمّ مضمض ودعا، ثمّ صبّه فيها فتركناها غير بعيدٍ ثمّ إنّها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فدعا بماء، فدعا، فدعا.

جعلت تفور بالماء، لما صب فيها ماء الوضوء، جعلت تفور بالماء، هذا من آيات الله، ومن رحمته لعباده، ومن دلائل صدق الرسول ﷺ، كما نبع الماء من بين أصابعه حتى شرب الناس واستقوا، وتوضئوا الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نوح، حدثنا مالك بن أنس عن

(١) أخرجه البخاري من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية برقم (٤١٥٠).

زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ». في سفر قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات، فلم يرد علي، قال: فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، ألححت، كررت على رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فلم يرد عليك».

«قال: فركبت راحلتي فحركت بعيري، فتقدمت مخافة أن يكون نزل فيَّ شيء، قال: فإذا أنا بمنادٍ: يا عمر! قال: فرجعت وأنا أظن أنه نزل فيَّ شيء، قال: فقال النبي ﷺ: **«نَزَلَتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»**[1].

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾» ورواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله، وقال علي بن المديني: هذا إسناد مدني جيد، لم نجده إلا عندهم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، قال النبي ﷺ: **لقد أنزلت عليَّ الليلة آية أحب إلي مما على الأرض**، ثم قرأها عليهم النبي ﷺ، فقالوا: هنيئًا مريئًا يا نبي الله، بيَّن عز وجل ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه ﷺ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥] أخرجاه في «الصحيحين» من رواية قتادة به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يبين لنا أن الله جعل الفتح هذا فتحًا وسيلة للنصر، ﴿لِّيَغْفِرَ

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١/ ٣١).

لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ فجاء النصر بفتح مكة النصر العظيم، هذا مقدماته، هذا الفتح الذي هو الصلح، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا مجمِّع بن يعقوب قال: سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمٰن بن زيد الأنصاري عن عمه مجمِّع بن حارثة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن، قال: «شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفِّرون الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ فخرجنا مع الناس نوجف، فإذا رسول الله ﷺ على راحلته عند كراع الغميم، فاجتمع الناس عليه، فقرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾».

«قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: أي رسول الله أو فتح هو؟! قال ﷺ: **إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إي والله لفتح، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية، فقسمها رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهمًا، وكان الجيش ألفًا وخمسمائة منهم ثلاثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين، وأعطى الراجل سهمًا». ورواه أبو داود في الجهاد عن محمد بن عيسى عن مجمِّع بن يعقوب به[(١)].

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب فيمن أسهم له سهمًا برقم (٢٧٣٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وجدته؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

مداخلة: مجمِّع بضم أوله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة ابن جارية بالجيم، ابن عامر الأنصاري الأوسي المدني صحابي مات في خلافة معاوية، أبو داود والترمذي وابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: صلِّحها عندك ابن جارية بدل حارثة، ابن جارية.

مداخلة: عفا الله عنك! لكن ما شارك جعفر في خيبر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بلى جاء.

مداخلة: عندنا يا شيخ: وكان الجيش ألفًا وخمسمائة فارس، عندنا: وكان الجيش ألفًا وخمسمائة فارس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، لا؛ أي: ألفًا وخمسمائة، منهم ثلاثمائة فارس.

مداخلة: في الأصل في المسند نزغت، ويقول الشيخ شاكر: ورواية ابن كثير: ألححت كررت على رسول الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في بعض الروايات: نزغت.. رسول الله، لكن كررت متقاربة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، حدثنا أبو يحيى.

حدثنا شعبة، حدثنا جامع بن شداد عن عبد الرحمٰن بن أبي علقمة قال: سمعت عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لما أقبلنا من الحديبية

عرَّسنا فنمنا، فلم نستيقظ إلا والشمس قد طلعت، فاستيقظنا ورسول الله ﷺ نائم، قال: فقلنا: أيقظوه، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: **افعلوا ما كنتم تفعلون، وكذلك يفعل من نام أو نسي**، قال: وفقدنا ناقة رسول الله ﷺ، فطلبناها فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة، فأتيته بها، فركبها، فبينا نحن نسير إذ أتاه الوحي، قال: وكان إذا أتاه الوحي اشتد عليه، فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾». وقد رواه أحمد وأبو داود والنسائي من غير وجه جامع شداد به[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

مداخلة: عندنا جامع بن شداد عن أبي عبد الرحمٰن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: راجع عبد الرحمٰن بن أبي علقمة عبد الرحمٰن «التقريب» ابن أبي علقمة.

مداخلة: نسخة الشعب: عبد الرحمٰن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يراجع، وهذا فيه دلالة كما جاء في الحديث إذا نام الناس عن الصلاة الفجر صلوها الضحى، كما يصلونها في وقتها براتبتها وأذانها وإقامتها كما قال ﷺ: **«من نام عن الصلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها»**[٢]، فإذا نام الجيش أو الجماعة المسافرون فلم يستيقظوا إلا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٦٤)، والنسائي في الكبرى (٨٨٥٣).

(٢) متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر ولا يعيد إلا تلك الصلاة برقم (٥٩٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها برقم (٦٨٤).

بعد الشمس صلوها على حالها بأذان وإقامة وسُنَّتها الراتبة كما فعله النبي ﷺ.

مداخلة: شخص آخر شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

مداخلة: عفا الله عنك! ذكر الآثار عند أناس مقصِّرين في الصلاة أن الرسول ﷺ قد فاتته وأن..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما فيه بأس، يتعلمون السُّنَّة، وكل إنسان قد ينام في السفر قد ينام في الحضر، قد يُصاب.. حتى يتعلموا السُّنَّة ويعلمون الحكم الشرعي.

مداخلة: ما يفضي هذا إلى تساهلهم..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، ما يفضي، ما يفضي إلى هذا.

مداخلة: الصواب عبد الرحمٰن بن علقمة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أو ابن أبي علقمة الذي عندكم فقط عبد الرحمٰن ليس بأبي عبد الرحمٰن عبد الرحمٰن أبي تشطب.

السائل: لو إنسان فاتته الركعة الأولى مع الإمام ثم قام ليكمل فسجد الإمام سجدتي سهو، يسجد معه أم يكمل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن كان سجد قبل أن يقوم يسجد معه، وإن كان بعد ما قام يسجد إذا قضى ما عليه، يسجد إذا قضى ما عليه، نعم يا أحمد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: «كان النبي ﷺ يصلي حتى

ترم قدماه، وقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال النبي ﷺ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**» أخرجاه. وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث زياد به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وهب، حدثني أبو صخر عن ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه، فقالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «**يا عائشة! أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»، خرجه مسلم في «الصحيح» من رواية عبد الله بن وهب به[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني في تهجده بالليل... كان يتهجد في الليل ويطيل بعض الأحيان عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا عبد الله بن عون الخراز وكان ثقة بمكة، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا مسعر عن قتادة عن أنس قال: «قام رسول الله ﷺ حتى تورَّمت قدماه ـ أو قال: ساقاه ـ وقيل له: أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **أفلا أكون عبدًا شكورًا**» قريب من هذا الوجه.

وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾؛ أي: بيِّنًا ظاهرًا، والمراد به: صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والإيمان.

---

(١) متفق عليه من حديث المغيرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل حتى ترِم قدماه برقم (١١٣٠)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة برقم (٢٨١٩).

وقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: هذا من خصائصه ﷺ لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

هذا من خصائصه ﷺ لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة.

ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيمًا لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة: «**حبسها حابس الفيل**»، ثم قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطْةً يُعَظِّمُونَ بِهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**»(١) فلما أطاع الله...

في ذلك وأجاب إلى الصلح، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة، ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾؛ أي: بسبب خضوعك لأمر الله ﷻ يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح: «**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله ﷻ إلا رفعه الله تعالى**».

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما عاقبت أحدًا عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه.

(١) أخرجه أبو داود من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه في كتاب الجهاد، باب في صلح العدو برقم (٢٧٦٥)، والإمام أحمد (٣/ ٢١٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد نصره الله نصرًا عزيزًا، بعدها بيسير جاء فتح مكة، ونصره الله نصرًا عزيزًا، الحمد لله، الله أكبر.

مداخلة: أحسن الله إليك، قول النبي ﷺ في أهل بدر: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[١].

ما يدل على أن مغفرة الذنوب المتقدمة والمتأخرة، ليس خاصًّا بالنبي ﷺ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله أعلم.

(**القارئ**): ماذا عندك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ما عاقبت أحدًا عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلام طيب نعم، الله أكبر؛ يعني: تعمل معه بطاعة الله، الله أكبر.

مداخلة: فيه زيادة يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

مداخلة: ما عاقبت؛ أي: في الدنيا والآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما عاقبت أحدًا عصى الله فيك نعم، يعني: عمر يوصي الناس بهذا.

مداخلة: زيادة ما عاقبت؛ أي: في الدنيا والآخرة ليس لها وجه؟

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب للجاسوس برقم (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر... برقم (٢٤٩٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، ما لها محل، ما لها محل هنا. نعم.

مداخلة: أحسن الله إليك! ومتى يكون العفو عند.. ومتى يكون..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما عاقبت نعم، ما عاقبت..

(القارئ): «ما عاقبت أحدًا عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، وهذا داخل فيه العفو، **«وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»**[1].

قد يكون العفو عنه من أسباب صلاحه وهدايته واستقامته، الله أكبر.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفتح: ١][2].

وقال مجاهدٌ: ﴿بُورًا﴾ [١٢]: هالكين، وقال مجاهد: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [٢٩]: السّحنة، وقال منصورٌ عن مجاهدٍ: التّواضع، ﴿شَطْأَهُۥ﴾ [٢٩]: فراخه، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ [٢٩]: غلظ، ﴿سُوقِهِۦ﴾ [٢٩]: السّاق: حاملة الشّجرة، ويقال: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [٦]: كقولك: رجل السّوء، ودائرة السّوء: العذاب، يعزّروه: ينصروه، ﴿شَطْأَهُۥ﴾ [٢٩]: شطء السّنبل، تنبت الحبّة عشرًا، أو ثمانيًا، وسبعًا فيقوى بعضه ببعضٍ، فذاك قوله تعالى: ﴿فَآزَرَهُۥ﴾ [٢٩]: قوّاه، ولو كانت واحدةً لم تقم على ساقٍ، وهو مثلٌ

---

(١) سبق تخريجه (٤/ ٤٠٠).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

ضربه الله للنّبيّ ﷺ إذ خرج وحده، ثمّ قوّاه بأصحابه، كما قوّى الحبّة بما ينبت منها.

حدّثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالكٍ، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطّاب يسير معه ليلًا فسأله عمر بن الخطّاب عن شيءٍ، فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثمّ سأله فلم يجبه، ثمّ سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطّاب: ثكلت أمّ عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرّاتٍ كلّ ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحرّكت بعيري، ثمّ تقدّمت أمام النّاس، وخشيت أن ينزل فيّ القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخًا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآنٌ، فجئت رسول الله ﷺ فسلّمت عليه، فقال: «لقد أنزلت عليّ اللّيلة سورةٌ لهي أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشّمس»، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

استبشر بهذا وفرح به؛ لأنّ الله جعل هذا الصّلح فتحًا، هذه نعمةٌ عظيمةٌ جعله الله فتحًا ـ صلح الحديبية ـ لما ترتّب عليه من الخير العظيم، كثرة المسلمين، كثرة المهاجرين، كثرة الدّعاة إلى الله، بلوغ الدّعوة إلى من جهلها، صار فيه فتحٌ عظيمٌ، ولهذا قال: إن نزولها عليه أحبّ إليه مما طلعت عليه الشّمس.

ولعلّه حين لم يردّ على عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان مشغولًا بشيءٍ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، كان مشغولًا إمّا ينتظر الوحي، أو بتفكيرٍ شغله عما طلبه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

*

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ برقم (٤٨٣٣).

حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا غندرٌ، حدّثنا شعبة سمعت قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ قال: «الحديبية»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأنّ الله ﷻ جعل فيها خيرًا عظيمًا، فأمن النّاس، واتّصل بعضهم ببعضٍ، وسمعوا القرآن، وبحثوا فيما يتعلّق بالدّين؛ فدخل النّاس بعد ذلك في دين الله ﷻ أكثر ممّا كان من قبل ذلك، وكثر المسلمون، وانتقل كثيرٌ من أهل مكّة إلى المدينة مسلمين، من جملتهم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وجمٌّ غفيرٌ من أعيان قريشٍ، في هذه المدّة الّتي هي مدة الهدنة.

فكان فيها فتحٌ عظيمٌ، وخيرٌ كثيرٌ؛ ولهذا سمّاها الله فتحًا؛ لما فيه من الخير العظيم والتّسهيل للمسلمين في أن يعرفوا حقيقة الدّعوة، ويسمعوا القرآن ويتوجّهوا إلى المدينة، ويذهبوا إلى أصحاب النّبيّ ﷺ هنا وهنا في مكّة وغيرها آمنين.

● **س: أحسن الله عملك: عمر** رضي الله عنه **لما كلّم رسول الله** ﷺ**...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بعده، ظاهر السّياق أنّه بعد ما تقدّم عمر رضي الله عنه، ولعلّه حين لم يجبه مشغولٌ بشيءٍ مهمٍّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، أو ينتظر لحال أنّه عند الوحي يكون مشغولًا بالوحي، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

*

حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا شعبة، حدّثنا معاوية بن قرّة، عن عبد الله بن مغفّلٍ قال: «قرأ النّبيّ ﷺ يوم فتح مكّة سورة الفتح، فرجّع فيها»،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ برقم (٤٨٣٤).

قال معاوية: «لو شئت أن أحكي لكم قراءة النّبيّ ﷺ لفعلت»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

● **س: رجّع ـ عفا الله عنك ـ يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كرّر، كرّر الكلام ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم. كرّر يعني، قرأ الآيات مكررةً، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح على (فرجّع)؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٨٤)]: «قوله: «**عن عبد الله بن مغفّلٍ**»: بالمعجمة والفاء وزن محمّدٍ».

قوله: «**فرجّع فيها**»؛ أي: ردّد صوته بالقراءة، وقد أورده في التّوحيد من طريقٍ أخرى بلفظ: «كيف ترجيعه قال: ءا ءا ءا» ثلاث مرّاتٍ. قال القرطبيّ: هو محمولٌ على إشباع المدّ في موضعه. وقيل: كان ذلك بسبب كونه راكبًا فحصل التّرجيع من تحريك النّاقة. وهذا فيه نظرٌ؛ لأنّ في رواية عليّ بن الجعد عن شعبة عند الإسماعيليّ: وهو يقرأ قراءةً ليّنةً؛ فقال: «لولا أن يجتمع النّاس علينا لقرأت ذلك اللّحن».

وكذا أخرجه أبو عبيدة في «فضائل القرآن» عن أبي النّضر عن شعبة، وسأذكر تحرير هذه المسألة في شرح حديث: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**»». [انتهى كلامه].

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ برقم (٤٨٣٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة برقم (٧٩٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والظّاهر من السّياق أنّه رجّع كرّر الآيات؛ ليتلذّذ بها، وليستفيد من معناها، وليستفيد منها من حوله؛ لأنّ التّرجيع والتّكرير يحصل للمؤمن به راحةٌ في قلبه، وتأمّلٌ وتدبّرٌ، وكثيرٌ من الفوائد الّتي تحصل بالتّكرار والنّظر والتّدبّر والتّعقّل.

وكذلك من حوله، ولا سيّما مع اللّين وعدم العجلة؛ فإنّه يحصل بذلك للقارئ والمستمع ما لا يحصل بالمرور الّذي ليس معه ترجيعٌ.

ولعلّه ـ والله أعلم ـ لفرحه بها، وأنسه بها، وتلذّذه بقراءتها: كرّر أول هذه الآيات لما في قلبه لها من المحبّة العظيمة، والتّلذّذ العظيم؛ حيث أنزل الله عليه في هذا الصّلح فتحًا، جعله الله فتحًا.

- **س: التّرجيع في الصّلاة يجوز؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه بأسٌ، لو كرّر في تهجده باللّيل، أمّا في الفريضة فلا، ما ورد أن النّبيّ ﷺ كرّر في الفريضة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

❊

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ٢][١].

حدّثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، حدّثنا زيادٌ أنّه سمع المغيرة يقول: «قام النّبيّ ﷺ حتّى تورّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك، وما تأخّر، قال: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[٢].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) سبق تخريجه في (ص١٨١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يفيد أنّ العبد كلّما زادت عليه النّعم شرع له أن يكون كثير العبادة، كثير الخوف، كثير المسارعة إلى الخيرات؛ شكرًا لله جَلَّ وَعَلَا، ولهذا لما قيل للرّسول ﷺ: يا رسول الله، كيف تقف حتّى ترم قدماك، تكثر العمل وأنت مغفورٌ لك. قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»، وفي اللّفظ الآخر: «إنّي أحبّ أن أكون عبدًا شكورًا» «أفلا أحبّ أن أكون عبدًا شكورًا». كلّما زادت عليه النّعم شرع للعبد أن يزيد في العمل الصّالح؛ شكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، هكذا يكون الأكياس، هكذا يكون أصحاب العقول الطيبة، أصحاب الذّكاء، أصحاب الرّغبة، أصحاب الخوف، كلّما زاد عليهم الخير؛ زادوا في العمل، لا يبطرون، ولا يكسلون؛ بل يزداد خوفهم وعملهم، خوفهم من الله، وعملهم الصّالح؛ شكرًا لله على نعمته: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، الله المستعان.

هذا فعله ﷺ، وأمر النّاس أن يكلفوا من العمل ما يطيقون؛ حثّهم على القصد القصد، والله جَلَّ وَعَلَا خصّه بمزيدٍ من الخير ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ والاجتهاد قال: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»(١)، ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ولكنّه أمر النّاس بالرّفق بأنفسهم، فهو يتحمّل أكثر ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ ولهذا واصل في الصّيام، وأمر النّاس ألّا يواصلوا؛ وقال: «**إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام برقم (١٩٦٢)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم برقم (١١٠٢).

وقال في اللّيل لمّا رأى بعض النّاس يتكلّف في اللّيل قال: **«اكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا»**[(١)]، وقال: **«وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»**، **«وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»**[(٢)].

فأمر النّاس بالقصد، وأن يكلفوا من العمل ما يطيقون؛ دليلٌ على أنّه هو السّنّة، وأنّ السّنّة لهم ألا يتكلّفوا وألّا يشقّوا على أنفسهم؛ لأنّه ربّما تكلّف وشقّ على نفسه؛ فانقطع وضعف وملّ وترك العبادة.

فالعبادة القليلة الدّائمة خيرٌ من العبادة المنقطعة، فالسّنّة للمؤمن ألا يتكلّف، وألا يشقّ على نفسه في تهجّده باللّيل وغير هذا، من الصّوم ونحو ذلك، بل يكلف ما يطيق وما يسهل له، ولا يتكلّف الزّيادة على ذلك؛ حتّى لا ينقطع؛ **«فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»**[(٣)]. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

● **س: رضي الله عنك، نقل عن كتاب التّوحيد في البخاريّ روايةً بلفظ: «كيف ترجيعه قَالَ: آآآ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

المعنى التّكرار يعني التّكرار، يكرّر هكذا.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب الصلاة، باب ما يؤمر من القصر في الصلاة برقم (١٣٦٨)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب المداومة على العمل برقم (٤٢٤٠)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة برقم (٢٧٦٢)، والإمام أحمد (٢/ ٣٥٠، ٣/ ٤، ١٨١).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب الدين يسر برقم (٣٩).

(٣) أخرجه البيهقي (٢/ ٣٧٨).

• **س: أحسن الله إليك، من قال: إنّ أكثر النّاس خشيةً ليس مقيدًا بالعلماء، ليس مقيدًا بالعلماء ولا بالعلم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

من كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢] وعلى رأسهم الرّسل، ثمّ العلماء، ثمّ الخواصّ في عباد الله المؤمنين من العبّاد.

• **س: على هذا يكون التّرجيع سنّةً؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

إذا دعت له الحاجة، كالتّكرار ليفهم النّاس، ليعقلوا، لينتبهوا للآية، لينتبهوا للمعنى ليس بدائمٍ، ما كان يكرّر النّبيّ ﷺ دائمًا، إنّما بعض الأحيان.

(من السّائل): لكن في الصّلاة بدون حاجةٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، ليس في الصّلاة، هذا وهو على الجيش، على المطيّة. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

• **س: عفا الله عنك يا شيخ، أليس سؤال عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **الّذي سكت عنه النّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: لعلّه لأسبابٍ؛ كان مشغولًا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

*

حدّثنا الحسن بن عبد العزيز، حدّثنا عبد الله بن يحيى، أخبرنا حيوة، عن أبي الأسود سمع عروة، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «أنّ نبيّ الله ﷺ كان يقوم من اللّيل حتّى تتفطّر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا

رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»، فلمّا كثر لحمه، صلّى جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام، فقرأ ثمّ ركع»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما يدلّ على أنّه ﷺ حصل له في اللّيل في تهجّده في اللّيل ثلاث حالاتٍ:

إحداها: أنّه يقرأ وهو واقفٌ، ويركع وهو واقفٌ على حسب النّشاط.

الثّانية: يقرأ وهو جالسٌ، ويصلّي وهو جالسٌ.

الثّالثة: يقرأ ما تيسّر وهو جالسٌ، ثمّ يقوم فيقرأ نحو ثلاثين آيةً، أو ما يقاربها، ثمّ يركع؛ فتكون القراءة بعضها وهو جالسٌ، وبعضها وهو واقفٌ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وكلّ هذا جائزٌ في النّافلة. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

في آخر حياته قعد، تارةً يصلّي قاعدًا، وتارةً يقوم ويصلّي قائمًا، وتارةً يقرأ بعض الآيات وهو قاعدٌ، ثمّ يقوم ويتلو بقيّة الآيات ويكبّر، في تهجّده باللّيل ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، لما ضعف في آخر حياته عليه الصّلاة والسّلام.

● **س: مرادها بكثرة اللّحم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني زاد عليه السّمن؛ يعني: اللّحم على ظاهر الحديث؛ كأنّه حصل فيه ما يضعفه عن القيام في آخر حياته ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، قالت: فلمّا بدّن.

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٨١).

• **س: إذا صلّى الإمام جالسًا فهل وجب على المأمومين الجلوس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان إمام الحيّ يستحبّ لهم الجلوس، وإن صلّوا قائمين فلا بأس، إذا كان هو الإمام الرّاتب وأصابه مرضٌ؛ فصلّى قاعدًا صلّوا خلفه قعودًا، هذا هو السّنّة، وإن صلّوا قيامًا فلا بأس؛ لأنّه في آخر حياته أقرّهم وصلّوا قيامًا خلفه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ لأنّه الّذي فعله النّبيّ ﷺ، هو إمام الحيّ فعله النّبيّ ﷺ، هو الإمام الرّاتب، أمّا الّذي ليس براتبٍ فما فيه حاجة يصلّي بهم جالسًا، يبحث عن غيره.

• **س: المتنفّل في النّافلة مثل التّراويح، هل للمأموم أنّه يجلس يقول: أنا أجلس على نصف الأجر، أصلّي جالسًا خلف الإمام على نصف الأجر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الإمام جالسٌ يعني؟

(من السّائل): لا، الإمام يصلّي قائمًا، لكن هو يقول: أجلس، أصلّي جالسًا على نصف الأجر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه بأسٌ، إذا صلّى جالسًا، في النّافلة يجوز أن يصلّي جالسًا، لكن على النّصف، نصف الأجر.

• **س: ولكن لو كان خلف الإمام فما فيه بأسٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو خلف الإمام.

• **س: وفي الفريضة أيضًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الفريضة لا، يصلّي قائمًا.

• س: والأمر ـ أحسن الله إليك ـ في قوله: «وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا»(١)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا في الفريضة، أمّا النّافلة فيجوز يصلّي قاعدًا، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

(من السّائل): لا، قصدي أنّ الإمام إذا صلّى جالسًا قلتم: إنّه لو صلّوا قيامًا فلا بأس بذلك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنّه صلّى بهم جالسًا وصلّوا قيامًا في آخر حياته ﷺ وأقرّهم؛ دلّ على أنّ الأمر ما هو بالوجوب، للاستحباب. يكون الأمر للاستحباب لا للوجوب.

(من السّائل): ألم يبتدئ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصّلاة..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ليس بدليلٍ، تعلّق بعض النّاس بهذا ليس بدليلٍ. المقصود أن النّبيّ ﷺ أقرّهم قيامًا، ولم يقل: لأجل كذا، ولا لأجل كذا.

• س: أحسن الله إليك قوله هنا: «فلمَّا كَثُر لَحمُه» يقول: بعض الشّراح أنكرها وقال: إن الرّسول ﷺ ما وصف بالسّمن، تكلّم عليها الحافظ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، محلّ نظرٍ، عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخصّ، أقول: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أعلم.

❊

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري من كتاب الأذان، باب إنما جُعِل الإمام ليتم به، برقم (٦٨٨)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام برقم (٤١٢).

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٤ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾ [الفتح: ٤ ـ ٧][(١)].

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾؛ أي: جعل الطمأنينة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وعنه: الرحمة، وقال قتادة: الوقار في قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانًا مع إيمانهم.

وقد استدل بهذا البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب، ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لانتصر من الكافرين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان يتفاضل في القلوب، ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ ليس على حدٍّ سواء، فإذا حصلت الطمأنينة في القلوب والراحة زاد الإيمان، بخلاف حال أهل القشعريرة والتقلب، المقصود: أن الإيمان يزداد وينقص على حسب تقوى العبد لربه وقيامه بحقه نعم، كلما زادت تقواه واجتهاده في الطاعة وحذره من المعاصي زاد إيمانه، وكلما نقص ذلك نقص الإيمان.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لانتصر من الكافرين فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ولو أرسل عليهم ملكًا واحدًا لأباد خضراءهم، ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة القاطعة، والبراهين الدامغة، ولهذا قال جلَّت عظمته: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ قد تقدم حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قالوا: «هنيئًا لك يا رسول الله، هذا لك، فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: ماكثين فيها أبدًا، (﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ أي: خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها؛ بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم ويشكر، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾؛ كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: يتهمون الله تعالى في حكمه، ويظنون بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾؛ أي: أبعدهم من رحمته، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما ذاك إلا لأعمالهم الخبيثة وشركهم وضلالهم، وسوء ظنهم بالله وبرسوله، فلهذا عاقبهم الله وأبعدهم، ونصر رسوله عليهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فالواجب على المؤمنين هو الصبر والاحتساب، والثبات على الحق، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وهو سبحانه القادر، لو شاء لهدى الناس جميعًا، ولم يحتاجوا إلى أحد يأمر وينهى، لكن ابتلى هؤلاء بهؤلاء، وهؤلاء، بهؤلاء حتى يرفع درجات المؤمنين ويعظم مثوبتهم، ويجزيهم عن ذلك الجزاء الأوفى، وحتى يعذب المنافقين والكافرين بكفرهم وصدودهم، فهذه الدار دار الابتلاء والامتحان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال عَزَّ وَجَلَّ مؤكدًا لقدرته على الانتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ [الفتح: ٤][1].

حدّثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رجلٌ من أصحاب النّبيّ ﷺ يقرأ، وفرسٌ له مربوطٌ في الدّار، فجعل ينفر، فخرج الرّجل فنظر فلم ير شيئًا، وجعل ينفر، فلمّا أصبح ذكر ذلك للنّبيّ ﷺ فقال: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ**»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال على «**السّكينة**» الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٨٧)]: «ذكر فيه حديث البراء في نزول السّكينة، وسيأتي بتمامه في «فضائل القرآن» مع شرحه إن شاء الله تعالى». [انتهى كلامه].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث البراء، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ برقم (٤٨٣٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب نزول السكينة لقراءة القرآن برقم (٧٩٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الله أكبر، في رواية أنّه نظر إلى السّماء فإذا مثل السُّرُج فوق رأسه فجفلت الفرس، كادت تقطع رباطها، فاستعجب ما سبب هذا؟ فأخبره النّبيّ ﷺ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآن**».

• **س: السّكينة الملائكة، أحسن الله إليك، السّكينة طائفةٌ من الملائكة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم، المقصود بها السّحابة السّكينة.

(من السّائل): مجموعةٌ من الملائكة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: كأنّهم، يطلق عليهم السّكينة.

• **س: قول النّبيّ ﷺ: «نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَة» ما يدلّ على أن هذا شيءٌ وهذا شيءٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نوعٌ آخر، السّكينة ما يحصل في القلوب من الخضوع والذّلّ، وتطلق السّكينة على الملائكة أيضًا.

• **س: أحسن الله إليك بعض النّاس يقولون: إنّ صلاة الإمام جالسًا والنّاس جلوسًا هذه منسوخةٌ بآخر صلاةٍ صلّاها الرّسول ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، ليست بمنسوخةٍ، الصّواب عدم النّسخ؛ لأنّ القاعدة: «ما إذا أمكن الجمع لا يصر إلى النسخ». والجمع ممكنٌ وهو أن أمره: «**صَلُّوْا جُلُوسًا**»(١) للنّدب، وإقرارهم قيامًا يدلّ على الجواز.

---

(١) «شرح مشكل الآثار» (٥٦٣٦).

وقال بعضهم: إذا بدأ الصّلاة قائمًا ثمّ جلس أتمّوا قيامًا، وإذا بدأها جالسًا جلسوا. فهذا جمع أحمد وجماعةٍ.

والصّواب: أنّ الأقرب وهو أنّه تركهم ليبيّن الجواز، وأنّهم إن صلّوا قيامًا فلا بأس، وإن صلّوا جلوسًا فهو الأفضل.

• س: شيخ بارك الله فيك، وكذلك القيام للجنازة ليس منسوخًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأفضل لبيان عدم الوجوب، ليس منسوخًا، الأوامر للسّنّية، والجلوس لبيان الجواز، قام وقعد ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

• س: أحسن الله إليك، رجلٌ توفّي والده بالشّرقيّة يريد أن يزور قبر والده؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما يزور، يدعو له ويكفي، لا يشدّ الرّحل، يدعو له وهو في بيته ويكفي.

• س: أحسن الله إليك، تنزل السّكينة هل هو خاصٌّ أم عامٌّ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس بخاصٍّ، قد تنزل السّكينة على من شاء الله من عباده، عند قراءته كما في صلاة اللّيل، وكما في اجتماع المجتمعين على الذّكر، وقراءة القرآن تتنزّل عليهم السّكينة.

• س: شيخ سلّمك الله، هذا رجلٌ عيّن في الدّمّام مدرّسًا، ولا يجد أحدًا يذهب معه، يسافر معه يا شيخ لوحده، يسافر، فهل له ذلك يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعلّه إن شاء الله، لعلّه شبه ضرورةٍ، والطّرق الآن ـ والحمد لله ـ يعني ما فيها خطرٌ، الطّرق معمورةٌ الآن الحمد لله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ٨ ـ ١٠](١).

يقول تعالى لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾؛ أي: على الخلق، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾؛ أي: للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾؛ أي: للكافرين، وقد تقدم تفسيرها في سورة الأحزاب.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: تعظِّموه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير وهو: الاحترام والإجلال والإعظام، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾؛ أي: تسبحون الله بكرة وأصيلًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأن الآية تفسرها آيات أخرى: هذه الآية تفسرها آيات أخرى) ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هذه في حق النبي ﷺ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ في حق الرب جل وعلا. نعم.

(القارئ): ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ أي: أول النهار وآخره.

ثم قال عز وجل لرسوله ﷺ تشريفًا له وتعظيمًا وتكريمًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾؛ كقوله جل وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [التوبة: ١١١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ساقطة عندك. ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا الفضل بن يحيى الأنباري، حدثنا علي بن بكار عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سلَّ سيفه في سبيل الله فقد بايع الله**»[(١)].

وحدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، أخبرنا جرير عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر: «**وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ**»[(٢)]. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

---

(١) أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٤/ ١٨٦) من طريق ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الحج عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحجر الأسود برقم (٩٦١). قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن يتق الله، وليستقم على أمر الله في طوافه، وفي جهاده، فإذا دخل في الجهاد فكأنما بايع الله، وهكذا من استلم الحجر الأسود، والحديث هذا له طرق يشهد بعضها لبعض فهو من باب الحسن،... الرسول ﷺ استلمه وقبّله، وقال له عمر لمَّا قبَّله: «إنك حجر لا تضر ولا تنفع ـ يعني: بنفسك ـ ولولا أني رأيت النبي يقبلك ما قبَّلتك»، فهو يقبله ويستلمه تأسيًا بالنبي ﷺ واقتداءً به، وهذا الحجر يشهد له يوم القيامة، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾؛ أي: إنما يعود وبال ذلك على الناكث، والله غني عنه.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ أي: ثوابًا جزيلًا، وهذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ قيل: ألفًا وثلاثمائة، وقيل: وأربعمائة، وقيل: وخمسمائة، والأوسط أصح.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يوم الحديبية لما بايع النبي ﷺ.. لما صالح أهل مكة بايعوه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عند الشجرة على أن لا يفروا، ثم تمت المصالحة بينه وبين أهل مكة نعم، وكانوا ألفًا وأكثر من أربعمائة، ألفًا وأكثر من أربعمائة، نعم، بين الأربعمائة وبين الخمسمائة.

مداخلة: الآية الكريمة: ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقال: (عليهُ، وعليهِ) قراءتان، تكسر الهاء وتضم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

● **س: حديث: «من سلَّ سيفه في سبيل الله» صحيح أم ضعيف؟**

○ **الجواب:** يحتاج إلى نظر في سنده.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة»، ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به.

وأخرجاه أيضًا من حديث الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا يومئذ ألفًا وأربعمائة، ووضع يده في ذلك الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى رووا كلهم».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر، وهذا من علامات النبوة ومن المعجزات، وقد وقع هذا غير مرة للنبي ﷺ، نبوع الماء من بين أصابعه في... عليه الصلاة والسلام نعم، الله أكبر!

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية، «وأن رسول الله ﷺ أعطاهم سهمًا من كنانته فوضعوه في بئر الحديبية فجاشت بالماء حتى كفتهم، وقيل لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كم كنتم يومئذ؟ قال: كنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنا مائة ألف لكفانا».

«كنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنا مائة ألف لكفانا»، وفي رواية في الصحيحين عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم كانوا خمسة عشرة مائة.

وروى البخاري من حديث قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمسة عشرة مائة، قلت: فإن

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كانوا أربع عشرة مائة. قال رحمه الله: وهم؛ هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة، قال البيهقي: هذه الرواية تدل على أنه كان في القديم يقول: خمس عشرة مائة، ثم ذكر الوهم فقال: أربع عشرة مائة.

وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين»، والمشهور الذي رواه عنه غير واحد: أربع عشرة مائة، وهذا هو الذي رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العباس الدوري عن يحيى بن معين عن شبابة بن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ألفًا وأربعمائة»، وكذلك هو الذي في رواية سلمة بن الأكوع ومعقل بن يسار والبراء بن عازب رضي الله عنهم، وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير.

وقد أخرج صاحبا «الصحيح» من حديث شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقول: «كان أصحاب الشّجرة ألفًا وثلاثمائةٍ، وكانت أسلم ثُمْنَ المهاجرين»[(١)].

وروى محمد بن إسحاق في «السيرة» عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدَّثاه قالا: «خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالًا، وساق معه الهدي سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر»، وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما بلغني عنه يقول: «كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة» كذا قال ابن إسحاق، وهو معدود من أوهامه، فإن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية برقم (٤١٥٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة برقم (١٨٥٧).

المحفوظ في «الصحيحين» أنهم كانوا بضع عشرة مائة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ذكر سبب هذه البيعة العظيمة:

قال محمد بن إسحاق بن يسار في «السيرة»: «ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله! إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظي عليها، ولكني أدلك على رجل أعزُّ بها مني: عثمان بن عفان رضي الله عنه، نبعثه إلى أبي سفيان».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: تبعثه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«تبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأتِ لحرب، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته، فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلَّغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلَّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قُتِل».

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر: «أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: **لا نبرح حتى نناجز القوم**، ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت»، وكان جابر بن

عبد الله رضي الله عنهما يقول: «إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت، ولكن بايعنا على ألا نفر، فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر رضي الله عنه يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته قد صبأ إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل».

وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قريبًا من هذا السياق، وزاد في سياقه: «أن قريشًا بعثوا وعندهم عثمان رضي الله عنه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ، فبينما هم عندهم إذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل من الفريقين من عنده من الرسل، ونادى منادي رسول الله ﷺ: ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ وأمر بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوا، فسار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وهو تحت الشجرة فبايعوه على ألا يفروا أبدًا، فأرعب ذلك المشركين، وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين، ودعوا إلى الموادعة والصلح».

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا هشام، حدثنا الحسن بن بشير، حدثنا الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إن عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ**»[(١)]، فضرب بإحدى يديه على

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه برقم (٣٧٠٢).

الأخرى فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيرًا من أيديهم لأنفسهم».

قال ابن هشام: حدثني من أثق به عمَّن حدَّثه بإسناد له، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بايع رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه فضرب بإحدى يديه على الأخرى».

وقال عبد الملك بن هشام النحوي فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: «إن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي».

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي: حدثنا سفيان، حدثنا ابن أبي خالد، عن الشعبي قال: «لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي، وقال: ابسط يدك أبايعك، فقال النبي ﷺ: **علامَ تبايعني؟**[1] فقال أبو سنان رضي الله عنه: على ما في نفسك، هذا أبو سنان بن وهب الأسدي رضي الله عنه».

وقال البخاري: حدثنا شجاع بن الوليد أنه سمع النضر بن محمد يقول: حدثنا صخر بن الربيع عن نافع رضي الله عنه قال...

قال: «إن الناس يتحدثون أن ابن عمر رضي الله عنهما أسلم قبل عمر وليس كذلك، ولكن عمر رضي الله عنه يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة، وعمر رضي الله عنه لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله رضي الله عنه، ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه يستلئم للقتال؛ فأخبره..».

أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ وهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٤٥) برقم (٣٧١٠٧)، وذكر السيوطي في جامع الأحاديث (٣٣/ ٤١٥).

ثم قال البخاري: وقال هشام بن عمار: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عمرو بن محمد العمري، أخبرني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس كانوا مع رسول الله ﷺ قد تفرَّقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ فقال - يعني: عمر رضي الله عنه -: يا عبد الله! انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ؟ فوجدهم يبايعون فبايع، ثم رجع إلى عمر رضي الله عنه فخرج فبايع».

وقد أسنده البيهقي عن أبي عمرو الأديب، عن أبي بكر الإسماعيلي، عن الحسن بن سفيان، عن دحيم، حدثني الوليد بن مسلم، فذكره.

وقال الليث: عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة فبايعناه، وعمر رضي الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمُرة، وقال: بايعناه على ألا نفر، ولم نبايعه على الموت» رواه مسلم عن قتيبة عنه.

وروى مسلم عن يحيى، عن يزيد بن زريع، عن خالد، عن الحكم بن عبد الله الأعرج، عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «لقد رأيتني يوم الشّجرة، والنّبيّ ﷺ يبايع النّاس وأنا رافعٌ غصنًا من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائةً، قال لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفرّ»[١].

وقال البخاري: حدثنا المكي بن إبراهيم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال يزيد: قلت: يا أبا مسلمة! على أي شيء كنتم تبايعون».

---

(١) أخرجه مسلم من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه في كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة برقم (١٨٥٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ومعنى عدم الفرار: الموت، لكن مقصود الصحابة أن العبارة: ألا نفر، بايعوه على ألا يفروا؛ يعني: وإن قُتِلوا، بايعوه على أنهم يقاتلون ولا يفرون حتى يقضي الله بينهم وبين عدوهم، ومعلوم أن الذي يقاتل ولا يفر قد ينتهي به الأمر إلى الموت، فلا منافاة بين هذا وهذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال البخاري أيضًا: حدثنا أبو عاصم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بايعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية ثمّ تنحّيت، ثمّ بايع النّاس رسول الله ﷺ فقال لي: «**أَلَا تُبَايِعُ**؟ قلت: قد بايعت، قال: «**وَزِيَادَةً**»، قلت له: على أيّ شيءٍ بايعتم؟ قال: على الموت»[(١)].

وأخرجه مسلم من وجه آخر عن يزيد بن أبي عبيد، وكذا روى البخاري عن عباد بن تميم أنهم بايعوه على الموت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا منافاة بين ألا نفر وبين الموت، المعنى واحد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

انظر «التقريب» يزيد بن أبي عبيد، أظنه مولى لسلمة... والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو الفضل بن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا برقم (٢٩٦٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة برقم (١٩٦٠).

إبراهيم، حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي عن إياس بن سلمة عن أبيه سلمة بن الأكوع ﵁ قال: «قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها، وقعد رسول الله ﷺ على جَباها؛ يعني: الركي، فإما دعا وإما بصق فيها، فجاشت، فسُقِينا واستقينا، قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعا إلى البيعة في أصل الشجرة، فبايعته أول الناس، ثم بايع وبايع حتى إذا كان في وسط الناس قال ﷺ: **بايعني يا سلمة!** قال: قلت: يا رسول الله! قد بايعتك في أول الناس، قال ﷺ: **وأيضًا**، قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلًا فأعطاني جَحَفة أو درقة، ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس، قال ﷺ: **ألا تبايع يا سلمة؟** قال: قلت: يا رسول الله! قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم، قال ﷺ: **وأيضًا**، فبايعته الثالثة، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ الَّتِي أَعطَيتُكَ؟**» قال: قلت: يا رسول الله! لقيني عمّي عامرٌ عزلًا فأعطيته إيّاها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «**إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الأَوَّلُ: اللَّهُمَّ أَبْغني حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي**[(١)]»، قال: ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض، فاصطلحنا، قال: وكنت خادمًا لطلحة بن عبيد الله ﵁ أسقي فرسه وأجنبه، وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي مهاجرًا إلى الله ورسوله، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة اختلط بعضنا في بعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها، ثم اضجعت في أصلها..».

---

(١) أخرجه مسلم من حديث إياس بن سلمة عن أبيه ﵄ في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها برقم (١٨٠٧).

في ظلها، فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، وتحولت إلى شجرة أخرى، فعلّقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي: يا للمهاجرين! قتل ابن زنيم».

«فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثًا في يدي، ثم قلت: والذي كرَّم وجه محمد ﷺ لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ، قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له: مكرز».

«من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله ﷺ في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ وقال: **«دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الفُجُورِ وثناه»**[(١)]، فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [الفتح: ٢٤].

وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه بسنده نحوه أو قريبًا منه.

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن المسيب قال: كان أبي ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فانطلقنا من قابل حاجين. فخفي علينا مكانها فإن كانت تبيّنت لكم فأنتم أعلم[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أياس بن سلمة عن أبيه في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها برقم (١٨٠٧).

(٢) متفق عليه من حديث سعيد بن المسيب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية برقم (٤١٦٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب =

وقال أبو بكر الحميدي: حدثنا سفيان، حدثنا أبو الزبير، حدثنا جابر رضي الله عنه قال: «لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، وجدنا رجلًا منا يقال له: الجد بن قيس مختبئًا تحت إبط بعيره» رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

عن أبي الزبير، عن أبي، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الحميدي أيضًا: حدثنا سفيان عن عمرو أنه سمع جابرًا رضي الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: **أنتم خير أهل الأرض اليوم**، قال جابر رضي الله عنه: لو كنت أبصرت لأريتكم موضع الشجرة»، قال سفيان: إنهم اختلفوا في موضعها. أخرجاه من حديث سفيان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قطعها عمر رضي الله عنه لما خشي الفتنة صار الناس يقصدونها، قطعها عمر سدًّا للفتنة، خوفًا من الفتنة، الله المستعان.

مداخلة: ألا تكون أخفيت عليهم الشجرة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يمكن أخفيت عليهم قبل أن يقطعها عمر.. قطعها عمر رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا الليث عن أبي الزبير عن

= استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة برقم (١٨٥٩).

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن جريج من كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام.... برقم (١٨٥٦).

جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن هارون الفلاس المحرمي، حدثنا سعيد بن عمرو الأشعثي.

حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خداش بن عياش عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «**لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِلَّا صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرَ**»(٢)، قال: فانطلقنا نبتدره، فإذا رجل قد أضل بعيره، فقلنا: تعالَ فبايع، قال: أصيب بعيري أحب إلي من أن أبايع».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وكان متهمًا بالنفاق اسمه الجد بن قيس... الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**»(٣).

وكان أول من صعد خيل بني الخزرج، ثم تبادر الناس بعد، وقال النبي ﷺ: «**وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ**». فأتيناه فقلنا له

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب السُّنَّة، باب من الخلفاء برقم (٤٦٥٢)، والترمذي في كتاب المناقب، باب فضل من بايع تحت الشجرة برقم (٣٨٦٠)، والإمام أحمد (٣/ ٣٥٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، برقم (٢٧٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه، في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ، برقم (٣٥٦٣).

تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله لأن أجد ضالتي أحبّ إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم. قال: وكان رجلٌ ينشد ضالةً له[(١)]. رواه مسلم عن عبيد الله به.

وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا رضي الله عنه يقول: «أخبرتني أم مبشر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها: **لَا يَدْخُلُ النَّارَ إن شَاءَ الله مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ من الذِينَ بَايَعُوا تَحْتَها**، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة رضي الله عنها: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي ﷺ: **قد قال الله تعالى**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]» رواه مسلم[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أن أهل الشجرة.. أن الذين بايعوا تحت الشجرة من أهل الجنة، مشهود لهم بالجنة رضي الله عنهم وأرضاهم مثل ما قال في أهل بدر: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(٣)]، اللَّهُمَّ ارض عنهم.

مداخلة: قولها: إن شاء الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم.

مداخلة: ... إن شاء الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما أدري والله، يراجع مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب برقم (٣٧٨٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أم مبشر رضي الله عنها في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان برقم (٢٤٩٦).

(٣) سبق تخريجه في (ص١٨٣).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفيه أيضًا عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن عبدًا لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبًا فقال: يا رسول الله! ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «**كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**»(١). ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

- **س: مبايعة الرسول ﷺ لسلمة ثلاث مرات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والله أعلم للتأكيد عليه بأن يلزم الحق ويجاهد ويبايع؛ لأنه قد يخشى عليهم من تساهل، ولعل لأجل أنه قد يكون هناك صلة بالأعراب، المقصود: أن هذا لحكمة بالغة رآها النبي ﷺ لأسباب اقتضت ذلك، ولما أعطاه الله من الشجاعة والقوة؛ لأن البيعة مرات تعينه على الإقدام والقوة واستعمال شجاعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما قال ﷻ في الآية الأخرى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ برقم (٣٨٦٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الحمد لله، رضي الله عنهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما اسمه؟

مداخلة: ابن زنيم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أدري ما أتذكره، ما أذكره. الله أعلم.

❊

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑧﴾ [الفتح: ٨][1].

حدّثنا عبد الله، حدّثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن هلال بن أبي هلالٍ، عن عطاء بن يسارٍ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّ هذه الآية الّتي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ㊺﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قال في التّوراة: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي، وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو، وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

معنى «العوجاء» يعني الحنفيّة المائلة عن الأديان كلّها، هي قيّمةٌ في نفسها. «دين القيّمة»، «دينًا قِيَمًا» لكنّها عوجاء بالنّسبة إلى الحنف،

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑧﴾ برقم (٤٨٣٨).

وهو ميلها على الأديان، الأديان كلّها باطلةٌ ما عدا الحنيفيّة السّمحة، وهي عبادة الله وحده، توحيد الله والإخلاص له.

يعني: هذه صفته في التّوراة، المعنى هذه صفة محمّدٍ ﷺ في التّوراة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم على «الملّة العوجاء»؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٨٦)]: «قوله: «**ولن يقبضه**»؛ أي: يميته.

قوله: حتّى يقيم به؛ أي: حتّى ينفي الشّرك ويثبت التّوحيد، والملّة العوجاء ملّة الكفر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني حتّى يصلح به الملّة العوجاء؛ فيدخل النّاس في التّوحيد، ويقيموا شرائع الله، فينتقلوا من العوجاء إلى القيّمة، ولهذا قال: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]، ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] في الآية الأخرى.

وسمّاه الله ﴿دِينًا قِيَمًا﴾، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾؛ يعني: الملّة القيّمة.

فإقامة الملّة العوجاء إصلاحها بالتّوحيد ونفي الشّرك.

وقال بعضهم: إنّ تفسير العوجاء أنّها الحنيفيّة، وأنّها سمّيت عوجاء؛ لأنّها صارت في جهةٍ وجانبٍ والكفر كلّه في جانبٍ آخر.

فالعوجاء حنيفيّة بمعنى أنّها متّحدةٌ مستقلّةٌ عن بقيّة الأديان الكثيرة الباطلة، بمعنى العوج؛ يعني: عاجت عنهم، مالت عنهم، وصارت في جهةٍ، والأديان الأخرى في جهةٍ؛ فلهذا قيل لها: الحنيفيّة. وقيل لها: العوجاء الّتي - يعني - مالت عن بقيّة الأديان، وصارت مستقلّةً قيّمةً في نفسها، ومنحرفةً عن تلك الأديان خارجةً عنها، فالأديان الأخرى باطلةٌ

وفاسدةٌ، وهذه الملّة الّتي هي الحنيفيّة العوجاء هي الّتي مالت عن الأديان الباطلة واستقلت بنفسها، وصارت في نفسها دينًا قيّمًا.

وهذا له وجهٌ، ولهذا سمّيت الحنيفيّة. والحَنَف: الميل، فهي مالت عن الأديان الأخرى واستقلّت بنفسها، وصارت قيمةً في نفسها، لكن صاحبها حنيفٌ وهي حنيفيّةٌ.

والحنيف هو المقبل على الله، المُعرِض عمّا سواه، المائل عن الشّرك، المنتقل عنه إلى التّوحيد.

• **س: على هذا المعنى إقامتها... مستقيمٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم يعني في نفسها مستقيمةٌ في نفسها، عوجاء بالنّسبة إلى غيرها من الأديان الباطلة؛ يعني: ولكن تفسير العوجاء بأنّها الأديان الكافرة لبطلانها، والحنيفيّة هي القيّمة، ويكون الحنف غير العوج، الحنف هو الميل عن الباطل، والثّبات على الحقّ؛ لأنّ الحنفاء هم أهل التّوحيد. لا بأس به؛ ولهذا اقتصر الشّارح على هذا القول.

• **س: تفسير عبد الله بن عمرو بن العاص يعني اطّلع على التّوراة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: اطّلع على التّوراة نعم، عنده منها الشّيء الكثير.

• **س: شيخ، سلّمك الله لو تخلّف إمام الحيّ وصلّى، ولم يجدوا إلّا واحدًا رجله توجعه أو مريضًا أو مكسورة وهو أفضلهم..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يصلي غيره، يصلّي غيره ولو أفضلهم، المقصود فيه علّة تمنعه.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ [الفتح: ١٠][(١)].

أن ما نعتقده في إثبات صفة اليد لله تبارك وتعالى وغيرها في الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه بها رسوله محمد ﷺ في سُنَّته المطهرة هو: إثباتها لله تبارك وتعالى إثباتًا حقيقيًّا على ما يليق بجلال الله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونؤمن بأن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سَمِيَّ له، ولا كفؤ له، ولا ندَّ له، ولا يُقاس بخلقه ﷻ.

فكما أن له سبحانه ذاتًا حقيقية لا تشبه ذوات خلقه، فكذلك له صفات حقيقية لا تشبه صفات خلقه، ولا يلزم من إثبات الصفة للخالق سبحانه مشابهتها لصفة المخلوق، وهذا هو مذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم في القرون الثلاثة المفضلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف إلى يومنا هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «حكى غير واحد إجماع السلف: أن صفات الباري ﷻ تجري على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنه، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذى حذوه، ويتبع فيه مثاله؛ فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فنقول: إن لله سبحانه يدًا وسمعًا، ولا نقول: إن معنى اليد: القدرة، ومعنى السمع: العلم».

---

(١) صدرت من مكتب سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٢/٢٨٢٣)، في ١٧ ـ ٩ ـ ١٤٠٨هـ.

ثم استدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إثبات صفة اليد لله سبحانه من القرآن بقول الله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمفهوم من هذا الكلام: أن لله تعالى يدين مختصتين به، ذاتيتين له كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السماوات بيده اليمنى، وأن يديه مبسوطتان، ومعنى بسطهما: بذل الجود وسعة العطاء؛ لأن الإعطاء والجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدّها، وتركه يكون ضمًّا لليد على العنق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وصار من الحقائق العرفية أنه إذا قيل: هو مبسوط اليد فهم منه يد حقيقية».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأن استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد لا أصل له في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبّر بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية».

ثم استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على إثبات صفة اليد لله سبحانه من السُّنَّة بقوله ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ**

الرَّحْمَنِ ﷻ **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»**[١] رواه مسلم.

وقوله ﷺ: **«إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْفَيْضُ - أَوِ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»** رواه مسلم[٢].

وفي الصحيح أيضًا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ»**[٣].

وفي الصحيح أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما يحكي رسول الله ﷺ قال: **«يَأْخُذُ اللهُ** ﷻ **سَمَوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ»** حتّى نظرت إلى المنبر يتحرّك من أسفل شيءٍ منه حتّى إنّي لأقول أساقطٌ هو برسول الله ﷺ[٤].

وفي رواية: قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر... برقم (١٨٢٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء برقم (٧٤١٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق برقم (٩٩٣).

(٣) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض برقم (٦٥٢٠)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة برقم (٢٧٩٢).

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٨).

يا محمّد، إنّا نجد أنّ الله يجعل السّموات على إصبعٍ، والأرضين على إصبعٍ، والشّجر على إصبعٍ، والماء والثّرى على إصبعٍ، وسائر الخلائق على إصبعٍ، فيقول: أنا الملك. فضحك النّبيّ ﷺ حتّى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧][(١)]، وذكره.

وفي «الصحيح» أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟»**[(٢)].

وفي حديث صحيح: **«لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ، فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِهِ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَلإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ اللهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ. ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ»**[(٣)].

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٨١١)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة برقم (٦٥١٩)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب تفسير، القرآن، باب ومن سورة المعوذتين برقم (٣٣٦٨).

وفي الصحيح: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ـ هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهْوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ ـ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»[(١)].

وفي الصحيح: أنه لما تحاجَّ آدم وموسى، قال آدم: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**»[(٢)].

وفي حديث آخر: أنه قال سبحانه: «**وعزتي وجلالي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي، كمن قلت له كن فكان**»[(٣)].

وفي حديث آخر في السنن: «**إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ**». فقال رجلٌ: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (٧٤٠٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى برقم (٢٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله برقم (٦٦١٤)، ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم (٢٦٥٢).

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة من حديث عطاء بن يسار (٦/ ٢٥٥)، راجع: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢).

أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: فهذه الأحاديث وغيرها نصوص قاطعة لا تقبل التأويل، وقد تلقتها الأمة بالقبول والتصديق.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: «فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسُّنَّة من ذكر اليد، وأن الله تعالى خلق بيده، وأن يديه مبسوطتان، وأن المُلك بيده، وفي الحديث ما لا يُحصى، ثم إن رسول الله ﷺ وأولي الأمر لا يبيِّنون للناس أن هذا الكلام لا يُراد به حقيقته ولا ظاهره، حتى ينشأ جهم بن صفوان ـ بعد انقراض عهد الصحابة ـ فيبيِّن للناس ما نزل إليهم على نبيِّهم، ويتبعه عليه بشر بن غياث، ومن سلكوا سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق؟ وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا ﷺ كل شيء حتى الخراءة(٢)؟! ويقول: **«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ»**(٣).

ثم يترك الكتاب المنزل عليه وسُنَّته الغرّاء مملوءة مما يزعم الخصم

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب السُّنَّة، باب في القدر برقم (٤٧٠٣)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف برقم (٣٠٧٥)، وأحمد (١/ ٤٤).

(٢) يشير بذلك للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمان في كتاب الطهارة، باب الاستطابة برقم (٢٦٢) وهذا لفظه: «قد علمكم نبيّكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة. قال: فقال: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم».

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين برقم (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦).

أن ظاهره تشبيه وتجسيم، وأن اعتقاده ظاهره ضلال، وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه؟

وكيف يجوز للسلف أن يقولوا: أمرّوها كما جاءت، مع أن معناها المجازي هو المراد، وهو شيء لا يفهمه العرب، حتى يكون أبناء الفرس والروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار؟!». اهـ. باختصار من مجموع الفتاوى، ج٦، ص: ٣٥١ إلى ٣٧٣.

وبما ذكرنا، يتضح للجميع أن ما ذكره الشاب هو الصواب.

ونسأل الله أن يهدي الجميع لإصابة الحق في القول والعمل؛ إنه سميع مجيب.

* * *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح: ١١ ـ ١٤][(١)].

يقول تعالى مخبرًا رسوله ﷺ بما تعذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم، وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ، فاعتذروا بشغلهم بذلك، وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد؛ بل على وجه التقية والمصانعة، ولهذا قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾؛ أي: لا يقدر أحد أن يرد ما أراده الله فيكم تعالى وتقدس، وهو العليم بسرائركم وضمائركم، وإن صانعتمونا ونافقتمونا، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾؛ أي: لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاصٍ؛ بل تخلف نفاق ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾؛ أي: اعتقدتم أنهم يقتلون وتستأصل شأفتهم، وتستباد خضراؤهم، ولا يرجع منهم مخبر، ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾؛ أي: هلكى، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد، وقال قتادة: فاسدين، وقيل: هي لغة عمان.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: من لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله فإن الله تعالى سيعذبه في السعير، وإن أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الأمر.

ثم بيَّن تعالى أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السمٰوات والأرض ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ أي: لمن تاب إليه وأناب وخضع لديه.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ **الآية [الفتح: ١٥]**(١).

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

يقول تعالى مخبرًا عن الأعراب الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية، إذ ذهب النبي ﷺ وأصحابه ﭫ إلى خيبر يفتحونها أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم وقد تخلفوا وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ ألا يأذن لهم في ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم، فإن الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعًا ولا قدرًا، ولهذا قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾، قال مجاهد وقتادة وجويبر: وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية، واختاره ابن جرير، وقال ابن زيد: هو قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣]، وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر...

لأن هذه الآية التي في براءة نزلت في غزوة تبوك وهي متأخرة عن عمرة الحديبية.

وقال ابن جريج: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾؛ يعني: بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد.

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾؛ أي: وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ﴾؛ أي: أن نشرككم في المغانم.

﴿بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾؛ أي: ليس الأمر كما زعموا، ولكن لا فهم لهم].

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٦، ١٧][(١)].

اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم الذين هم أولو بأس شديد **على أقوال**:

أحدها: أنهم هوازن؛ رواه شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعًا، ورواه هشيم عن أبي بشر عنهما، وبه يقول قتادة في رواية عنه.

الثاني: ثقيف؛ قاله الضحاك.

الثالث: بنو حنيفة؛ قاله جويبر، ورواه محمد بن إسحاق عن الزهري، وروي مثله عن سعيد وعكرمة.

الرابع: هم أهل فارس؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه يقول عطاء ومجاهد وعكرمة في إحدى الروايات عنه.

وقال كعب الأحبار: هم الروم.

وعن ابن أبي ليلى وعطاء والحسن وقتادة: هم فارس والروم.

وعن مجاهد: هم أهل الأوثان، وعنه أيضًا: هم رجال أولو بأس شديد، ولم يعيِّن فرقة، وبه يقول ابن جريج، وهو اختيار ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الأشج، حدثنا عبد الرحمٰن بن إسحاق القواريري عن معمر.

حدثنا الأشج، حدثنا عبد الرحمٰن بن إسحاق القواريري عن معمر

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

عن الزهري في قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: لم يأت أولئك بعد.

وحدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن أبي خالد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال: هم البارزون.

قال: وحدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلوا قَوْمًا صِغَارَ ذُلْفَ الآنُفِ»**[1]، قال سفيان: هم التُّرك، قال ابن أبي عمر: وجدت في مكان آخر: حدثنا ابن أبي خالد عن أبيه قال: نزل علينا أبو هريرة رضي الله عنه ففسّر قول رسول الله ﷺ: **«تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر»** قال: هم البارزون، يعني: الأكراد، وقوله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾؛ يعني: شرع لكم جهادهم وقتالهم، فلا يزال ذلك مستمرًّا عليهم، ولكم النصرة عليهم، أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال؛ بل باختيار.

ثم قال ﷻ: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾؛ أي: تستجيبوا وتنفروا في الجهاد، وتؤدوا الذي عليكم فيه، ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾؛ يعني: زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم، ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ثم ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد فمنها لازم: كالعمى والعرج المستمر، وعارض كالمرض الذي يطرأ أيامًا ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بذوي الأعذار اللازمة حتى يبرأ.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قتال الترك برقم (٢٩٢٨)، وانظر رقم (٢٩٢٩)، ومسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء برقم (٢٩١٢).

ثم قال تبارك وتعالى مرغبًا في الجهاد وطاعة الله ورسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ﴾؛ أي: ينكل عن الجهاد، ويقبل على المعاش، ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الدنيا بالمذلة، وفي الآخرة بالنار، والله تعالى أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ **[الفتح: ١٨، ١٩]**(١).

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة، وأن الشجرة كانت سمُرة بأرض الحديبية.

قال البخاري: حدثنا محمود، حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن طارق أن عبد الرحمٰن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «انطلقت حاجًّا فمررت بقوم يصلون، فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها، فلم نقدر عليها، فقال سعيد: إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم، فأنتم أعلم!».

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الشجرة قطعها عمر لما رأى الناس يأتون إليها قطعها، خشي من الغلو، قطعها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأزالها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قول المؤلف: ألف وأربعمائة، في رواية أخرى: كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وفي رواية: كانوا ألفًا وخمسمائة، لكن.

مداخلة: سعيد عفا الله عنك...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

مداخلة: يقول: فأنتم أعلم على سبيل التهكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، يعني: لستم بأعلم، على سبيل الإنكار.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: من الصدق والوفاء والسمع والطاعة.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ وهي الطمأنينة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، وهو ما أجرى الله عَزَّوَجَلَّ على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كل هذا من فضل الله، وكان الصحابة قد اشتد عليهم هذا الصلح؛ لما فيه من بعض الغضاضة، ولكن الله جعله فتحًا، وصبر عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما فيه من الخير العظيم، أمن الناس، وتنقلوا في البلاد، وهاجروا إلى المدينة، ثم فتح الله عليه خيبر، واستعان بأموالها المسلمون، ثم جاء

الفتح العظيم فتح مكة صار هذا الفتح فتحًا أمام فتح، وإن كان المسلمون قد شق عليهم ذلك من أجل رجوعهم ولم يؤدوا عمرتهم، ومن أجل شروط الكفار شرطوا على النبي ﷺ ألا يقول: محمد رسول الله، ويقول: محمد بن عبد الله، وأن يقول: باسمك اللَّهُمَّ، ولا يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم.. من أجل هذا شق على المسلمين، شرطوا أن من جاءهم مسلمًا يرد إليهم، ومن جاءهم من المسلمين ما يرد، ومع هذا صبر النبي ﷺ على هذه الشروط وجعله الله فتحًا.. فتحًا عظيمًا نعم، وفي هذا دلالة على أن ولاة الأمور ينظرون في المصالح وإن خفي على بعض الناس حكمتها، ينظرون في مصالح المسلمين وإن كان فيها بعض الغضاضة على المسلمين إذا كان وراءها ما هو أصلح وأنفع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ قال ابن أبي حاتم...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذا منقبة للصحابة أن الله رضي عنهم، للردِّ على الشيعة والإمامية المبغضة لأصحاب النبي ﷺ، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. هذا وصف الصحابة من الأنصار والمهاجرين ومن سلك سبيلهم، ويقول ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**[١]: مُدَّ أحد الصحابة ولا نصيفه.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب السُّنَّة، باب في النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ برقم (٤٦٥٨).

لما أوصى به أصحابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم**». اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عبيد الله بن موسى؛ يعني: ابن عبيدة، حدثني إياس بن سلمة عن أبيه].

أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عبيد الله بن موسى؛ يعني: ابن عبيدة.

حدثني إياس بن سلمة عن أبيه قال: «بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس! البيعة البيعة، نزل روح القدس، قال: فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمُرة فبايعناه، فذلك قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، قال: فبايع رسول الله ﷺ لعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بإحدى يديه على الأخرى، فقال الناس: هنيئًا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن هاهنا، فقال رسول الله ﷺ: **لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه، أعد سنده: حدثنا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الصواب، مثل ما عندكم، عبيد الله بن موسى أخبرنا

---

(١) أخرجه الطبراني (١/١٩ برقم ١٤٤). قال الهيثمي (٩/٨٤): فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. وفي الحديث أن النبي ﷺ لما بعث عثمان إلى أهل مكة؛ فبايع أصحابه بيعة الرضوان، وبايع لعثمان بإحدى يديه على الأخرى. فقال الناس: هنيئًا لأبي عبد الله يطوف بالبيت آمنًا، فذكره.

موسى بن عبيدة، عندك ساقط؟ موسى أول، ثم أخبرنا، أو أنبأنا عندكم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فعلًا قالوا له: طف، قال: لا، ما أطوف حتى يأتي النبي ﷺ فيطوف، لم يطف حتى رجع إلى النبي ﷺ، وهذه الزيادة: «**لو مكث كذا وكذا**» فيها نظر؛ لأن موسى بن عبيدة هذا ضعيف.

● **س: من قال بتكفير الصحابة...**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه شك من كفَّر الصحابة فهو كافر، هم حملة الشرع؛ كالإمامية وأشباههم نسأل الله العافية.

مداخلة: . . . بالنسبة للحديبية لها اسم آخر أم. . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: معروفة إلى الآن وتسمَّى الشميسي.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨][(١)].

حدّثنا قتيبة بن سعيدٍ، حدّثنا سفيان، عن عمروٍ عن جابرٍ قال: «كنّا يوم الحديبية ألفًا وأربعمئةٍ»[(٢)].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا شبابة، حدّثنا شعبة، عن قتادة قال: سمعت عقبة بن صهبان، عن عبد الله بن مغفّلٍ المزنيّ «ممّن شهد

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ برقم (٤٨٤٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة برقم (١٨٥٦).

الشّجرة، نهى النّبيّ ﷺ، عن الخذف»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: النّهي عن البول.

* *

وعن عقبة بن صهبان قال: «سمعت عبد الله بن المغفّل المزنيّ في البول في المغتسل».

حدّثنا محمّد بن الوليد، حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، حدّثنا شعبة، عن خالدٍ، عن أبي قلابة، عن ثابت بن الضّحّاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان من أصحاب الشّجرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: قوله جَلَّ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أراد بهذا بيان بعض من حضرها يعني يوم بيعة الرّضوان، وكانوا أكثر من ألفٍ وأربعمائةٍ، وربّما حذفوا الكسر وقالوا: ألفًا وأربعمائةٍ، وربّما أكملوا وقالوا: ألفًا وخمسمائةٍ، وهم على التّحقيق أكثر من ألفٍ وأربعمائةٍ، لم يبلغوا الخمس، ولم ينقصوا على الأربع، بل فوق الأربع، ألفٌ وأربعمائةٍ وزيادة.

وقول عبد الله بن المغفّل: إنّ الرّسول ﷺ نهى عن الخذف ـ الخذف بالأصابع ـ يخذف بالأصابع بعض أصحابه بالنّوى، أو بالحجر؛ لأنّه قد يضرّه، مثل ما قال ﷺ: «**إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا، وَلَا تَنْكَأُ عَدُوًّا، وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ**»[٢].

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ برقم (٤٨٤١)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يُستعان على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف برقم (١٩٥٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الحذف برقم (١٩٥٤).

فلا ينبغي التّلاعب بالخذف، الخذف بأطراف الأصابع بالحصى والنّوى ونحو ذلك.

● **س: النّهي للتّحريم؟**

○ **الجواب:** نعم هذا هو الأصل.

حدّثنا أحمد بن إسحاق السّلميّ، حدّثنا يعلى، حدّثنا عبد العزيز بن سياهٍ عن حبيب بن أبي ثابتٍ، قال: أتيت أبا وائلٍ أسأله، فقال: «كنّا بصفّين، فقال رجلٌ: ألم تر إلى الّذين يدعون إلى كتاب الله، فقال عليٌّ: نعم، فقال سهل بن حنيفٍ: اتّهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية؛ يعني: الصّلح الّذي كان بين النّبيّ ﷺ والمشركين، ولو نرى قتالًا لقاتلنا، فجاء عمر فقال: ألسنا على الحقّ، وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنّة، وقتلاهم في النّار؟ قال: «**بَلَى**»، قال: ففيم أعطي الدّنيّة في ديننا، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا؟ فقال: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا**»، فرجع متغيّظًا، فلم يصبر حتّى جاء أبا بكرٍ، فقال: يا أبا بكرٍ، ألسنا على الحقّ، وهم على الباطل؟ قال: يا ابن الخطّاب، إنّه رسول الله ﷺ، ولن يضيّعه الله أبدًا، فنزلت سورة الفتح»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

(**من الطّالب**): أحسن الله إليك، في بعض النّسخ حبيب بن ثابتٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: لا، خطأ، ابن أبي ثابتٍ، ابن أبي ثابتٍ.

شرح الحديث: وما ذاك إلّا لأنّ بيعة الحديبية حصل فيها ابتلاءٌ وامتحانٌ، لا يتحمّلها كثيرٌ من النّاس، ولهذا أشكل على عمر، وأحبّ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي وائل رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ برقم (٤٨٤٤)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية برقم (١٧٨٥).

أن يقاتلوا؛ لأنّ الرّسول ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظِّمون فِيْهَا حرمات الله إِلَّا أجبتهم إليها**»، «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيْهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**»(١). فسألوه الصّلح على أنّه يرجع عامه هذا، ولا يأخذ العمرة، قد جاؤوا لعمرةٍ، وعلى أنّه يكتب: محمّد بن عبد الله، ولا يكتب: محمّدٌ رسول الله، وعلى أنّه يكتب: باسمك اللّهمّ، ولا يكتب: بسم الله الرّحمٰن الرّحيم هذه ثلاثةٌ، والرّابعة على أنّ من جاءه من المسلمين مسلمًا يردّ إلى الكفّار، ومن جاء من المسلمين إلى الكفّار لا يردّ.

فهذه المسائل الأربعة عظمت عليهم على المسلمين جدًّا، كيف نجيبهم إليها، ومن ذلك عمر رضي الله عنه اشتدّ الأمر على عمر رضي الله عنه قال: (إنّا جئنا للعمرة، ونحن على الحقّ، وهم على الباطل؛ لماذا نعطي الدّنيّة في ديننا يا رسول الله؟! أفلا نقاتلهم؟ فقال له الرّسول ﷺ: «**إنّي رسول الله ولن يضيّعني الله أبدًا**») هو الّذي أمره بالصّلح معهم؛ فذهب عمر رضي الله عنه بما في نفسه إلى الصّدّيق رضي الله عنه وقال: يا أبا بكرٍ، أليس برسول الله؟ قال: بلى. ألسنا على الحقّ؟ قال: بلى. قال: لماذا نعطي الدّنيّة؟! قال: يابن الخطّاب، إنّه رسول الله، ولن يضيّعه الله، فاستمسك بغرسه. فأجابه بمثل ما أجابه به النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

والمقصود: أن هذا الصّلح الّذي فيه بعض الغضاضة هو بأمر الله، الله أمر الرّسول ﷺ أن يجيب إلى ذلك، أمر الله رسوله ﷺ أن يجيب إلى هذا الصّلح على ما فيه من الغضاضة لما وراءه من الخير العظيم، لما وراء الصّلح من المصلحة العظيمة من الأمن للبلاد والطّرق، وتمكّن المسلمين من الهجرة، وتمكّن البعيدين أن يأتوا ليسمعوا من النّبيّ ﷺ، وينظروا في أمرهم؛ فصارت فتحًا، صارت هذه البيعة فتحًا،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط برقم (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢).

وهي فيما يظهر فيها مذلّةٌ، فيها غضاضةٌ على المسلمين، لكنّها غضاضةٌ يعقبها خيرٌ عظيمٌ، وعزٌّ عظيمٌ ونصرٌ عظيمٌ، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] سمّاه الله فتحًا، وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وهذا يدلّ على أنّ الواجب على أئمّة المسلمين وعلمائهم النّظر في المصالح، والحرص على ما فيه صلاح المسلمين، وأمنهم وسعادتهم وقوّتهم، ولو ظهر فيه بعض الغضاضة؛ إذا كانت المصلحة ظاهرةً؛ كما فعل النّبيّ ﷺ يوم الحديبية، فلمّا نقضوا العهد قاتلهم النّبيّ ﷺ؛ ونصره الله عليهم، وفتح الله عليه مكّة قبل تمام سنتين من الصّلح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: (حبيب بن أبي ثابت[1]) من عندكم (أبي)؟

(من الطلاب): لا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

سقط عندكم «ابن أبي ثابتٍ». ما نعلم غيره، ما نعلم حبيب بن ثابتٍ. نبّه الشّارح؟ راجع «التّقريب».

(من الطّالب): هذا «التّقريب» (حبيب بن أبي ثابتٍ).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: فيه غيره أحد؟

(من الطّالب): لا، ما فيه غيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: اقرأه.

قال الحافظ رحمه الله في «التّقريب» (١٠٨٤): «حبيب بن أبي ثابتٍ، قيس ويقال: هند ابن دينارٍ الأسديّ مولاهم أبو يحيى الكوفيّ، ثقةٌ فقيهٌ جليلٌ، وكان كثير الإرسال والتدليس، من الثّالثة، مات سنة تسع عشرة ومائة ع».

(١) قرأه الطالب من نسخته (حبيب بن ثابت) بدون أبي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه غيره أحد؟

(من الطّالب): ما فيه غيره.

(من طالب): عندنا يا شيخ (ابن أبي)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هو المعروف، صلّحوا (ابن أبي).

• **س: عفا الله عنك، هل حفظ أنّ أحدًا من المسلمين ذهب إلى الكفّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أتذكّر شيئًا، ما أتذكّر الآن شيئًا، ربما فيه عبد الله بن سعد بن أبي السّرح... لكن لا أذكر الآن القصّة على التّمام.

• **س: أحسن الله إليكم، المعتمر هل يحمل هديًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الهدي إذا أهدى المعتمر أو الحاجّ فهو سنّةٌ، سنّة النّبيّ ﷺ.

• **س: أحسن الله إليك، حكم تحكيم العاطفة دون النّظر إلى الأدلّة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما يجوز، الواجب النظر في الأدلّة والمصالح.

• **س: أحسن الله إليك، يا شيخ ذكرتم في درسٍ سابقٍ أنّه يجوز لأميرٍ من أمراء المسلمين يصطلح مع الكفّار، والآخر لا يصطلح؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل الدّول الآن، الدّول المتعدّدة كلّ دولةٍ لها حكمها، كلّ دولةٍ لها حكمها فيما تراه مصلحةً، الدّولة كلّ دولةٍ لها حكمها، دولة السّعوديّة، المصريّة، الأردنيّة، الشّاميّة، العراقيّة، إلى غير هذا.

إذا كانت دولة إسلاميّة ورأت المصلحة في صلحٍ مع قومٍ فلا

بأس؛ لأنّها تعدّدت الدّول، من أوّل كانت الدّولة واحدة دولة النّبيّ ﷺ، ثمّ الصّدّيق رضي الله عنه، ثمّ عمر رضي الله عنه، دولة واحدة، ثمّ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه حصل ما حصل من التّفرّق، ثمّ بعد مقتل آخر بني أميّة تولّى بنو العبّاس؛ صارت دولتين: دولة بني العبّاس، ودولة الأمويين في المغرب. ثمّ تعدّدت الدّول بعد ذلك؛ لكن ينبغي أنّه يكون مؤقتًا على سنتين، ثلاثٍ، عشرةٍ، أقلّ.

وبعض أهل العلم أجازه أبديًا، إذا رأى المصلحة أجازه مطلقًا؛ يعني: إطلاق ما فيه تحديدٌ يراه للمصلحة.

• س: حديث: «ذمّة المسلمين واحدةٌ، يسعى بها أدناهم»(١)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم هذا يعني إذا أعطيت ذمة زيدٍ أو عمرٍو لا تخفر حتّى يرد المؤمّن إلى بلده ـ ولو امرأةً ـ حتّى المرأة إذا أمّنت ما تخفر؛ «**ذِمَّةُ الْمُسْلِمِيْن وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ**» . ولما أمّنت أمّ هانئٍ بنت أبي طالبٍ رضي الله عنها بعض أحمائها قال لها النّبيّ ﷺ: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**»(٢) حتّى يردّ إلى مأمنه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التّوبة: ٦]، فإذا أجار بعض المسلمين زيدًا أو عمرًا حتّى دخل ليقابل المؤمنين، ليقابل وليّ الأمر؛ فإنّه ينفّذ جواره حتّى يردّ إلى مأمنه، لا يخلع.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث إبراهيم التيمي عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب ما يُكره من التعمُّق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع برقم (٧٣٠٠).

(٢) متفق عليه من حديث أم هانئ رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا برقم (٣٥٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان برقم (٣٣٦) ساقه بعد الحديث رقم (٧١٩).

• **س: أحسن الله إليك، في الوقت الحاضر إذا مثلًا أحدٌ من الكفّار استجار بالمسلمين قد لا يؤمّن؛ لأنّه مثلًا وليّ الأمر قد لا يوافق على ذلك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولو، يردّه إلى مأمنه، يجب أن يوافق، يلزم وليّ الأمر أن يوافق؛ لأنّ هذا المسلم أمّنه؛ فيقول: ارجع إلى بلدك. لا يقتل ولا يتعرّض له، يرجع إلى بلده.

• **س: رضي الله عنك، هل الصّلح في دولةٍ يلزم المسلمين في دولةٍ أخرى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، الصّلح لأهل الدّولة نفسها.

• **(من السّائل): ولو كان حربيًّا ـ أحسن الله إليك ـ هذا الّذي أمنه المسلم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، يردّ إلى بلده. هذا معنى: «الذّمّة واحدةٌ» هذا معناه، لا يخدع.

• **س: يشترط أن يكون المؤمّن من المسلمين عاقلًا ـ عفا الله عنك ـ يشترط أن يكون عاقلًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

على كلّ حالٍ عاقل، لا بدّ أنّه يكون عاقلًا رجلٌ أو امرأةٌ.

(من السّائل): والصّبيّ ما له..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصّبيّ ما له أمانٌ، الصّبيّ والمجنون ما لهم شيءٌ.

• **س: أحسن الله إليك، «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم في المعاصي، إذا أمر زيدًا أن يزني أو يسرق لا يطيعه، أو يشرب الخمر؛ لا يطيعه.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٠ ـ ٢٤][1].

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: هي جميع المغانم إلى اليوم، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾؛ يعني: فتح خيبر.

وروى العوفي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾؛ يعني: صلح الحديبية».

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾؛ أي: لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال، وكذلك كفّ أيدي الناس عنكم الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريمكم، ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يعتبرون بذلك، فإن الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الأعداء مع قلة عددهم، وليعلموا بصنيع الله هذا بهم إنه العالم بعواقب الأمور، وأن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين وإن كرهوه في الظاهر، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ أي: بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته، وموافقتكم رسوله ﷺ.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾؛ أي: وغنيمة أخرى وفتحًا آخر معينًا لم تكونوا تقدرون عليها.

قد يسّرها الله عليكم وأحاط بها لكم، فإنه تعالى يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون، وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة، ما المراد بها؟ فقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «هي خيبر»، وهذا على قوله في قوله عز وجل: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾: إنها صلح الحديبية، وقاله الضحاك وابن إسحاق وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

وقال قتادة: هي مكة، واختاره ابن جرير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كله واقع، كله واقع، بعد هذا الصلح يسّر الله لهم فتح خيبر وغنائم خيبر ثم فتح مكة، كلها تيسّرت بحمد الله، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال ابن أبي ليلى والحسن البصري: هي فارس والروم. وقال مجاهد: هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة عن سماك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾ قال: هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، يقول عز وجل مبشرًا لعباده المؤمنين؛ بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولانهزم جيش الكفار فارًّا مدبرًا، ﴿يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾؛ أي: هذه سُنَّة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين؛ نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم، وكثرة المشركين وعددهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم فتح مكة كل هذا من نصره وتأييده ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢] نسأل الله العافية، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣]. وإن ابتلاهم في بعض الأحيان، قد يبتليهم بعض... كما جرى يوم أُحد بسبب إخلال أهل الموقف.

قد يبتليهم بالضراء، ولكن العاقبة للمتقين،.. جعل العاقبة لهم، ويسَّر لهم أمورهم، ونصرهم عليهم يوم الأحزاب ويوم فتح مكة، وصارت العاقبة للمتقين ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾، هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كفَّ أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام؛ بل صان كلًّا من الفريقين، وأوجد بينهم صلحًا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة.

وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا سمَّاه الله فتحًا، صلح الحديبية كان المسلمون ألفًا وأربعمائة أو ألفًا وخمسمائة، والمشركون كثيرون، الله أوقع بينهم الصلح حتى يأمن الناس، ويتقوى المؤمنون، ويتسنَّى لهم الهجرة، ويأمن.. تأمن الطرق، فكان رحمة من الله وفتحًا من الله ﷻ، فكفَّ أيدي هؤلاء وأيدي هؤلاء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جاءوا بأولئك السبعين الأسارى، فأوثقوهم بين يدي رسول الله ﷺ فنظر إليهم فقال: «**دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الفُجُورِ وَثِنَاؤُهُ**»[1].

قال: وفي ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآية.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلًا من أهل مكة بالسلاح من قِبَل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا، قال عفان: فعفا عنهم، ونزلت هـذه الآيـة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾»، ورواه مسلم وأبو داود في «سننه» والترمذي والنسائي في «التفسير» من سننيهما من طرق عن حماد بن سلمة به[2].

وقال أحمد أيضًا: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا الحسين بن واقد، حدثنا ثابت البناني، عن عبد الله بن مغفل المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها برقم (١٨٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤] برقم (١٨٠٨).

مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسهيل بن عمرو بين يديه، وقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: **اكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم**، فأخذ سهيل بيده وقال: ما نعرف الرحمٰن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال: اكتب باسمك اللَّهُمَّ، وكتب: **هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ أَهْلَ مَكَّةَ**، فأمسك سهيل بن عمرو بيده، وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله، اكتب في قضيتنا ما نعرف، وقال: «**اكْتُبْ يَا عَلِيّ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**». قالوا لو نعلم أنّك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله ﷺ: «**امْحُ يَا عَلِيُّ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُكَ امْحُ يَا عَلِيُّ وَأَكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**»[(١)]، فبينا نحن كذلك، إذ خرج علينا ثلاثون شابًّا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله تعالى بأسماعهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، وقال رسول الله ﷺ: **هل جئتم في عهد أحد؟** أو هل جعل لكم أحد أمانًا، فقالوا: لا، فخلّى سبيلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية»، رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، حدثنا جعفر عن ابن أبزى قال: «لما خرج النبي ﷺ بالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر رضي الله عنه: يا نبي الله! تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع! قال: فبعث ﷺ إلى المدينة فلم يدع فيها كراعًا ولا سلاحًا إلا حمله، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل بمنى فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل..»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (١/ ٣٤٢ و٤/ ٨٦ و٣٢٣).

(٢) أخرجه الطبري، قال الحافظ: في متنه غرابة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كراع، كراعًا بالضم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلم يدع فيها كراعًا ولا سلاحًا إلا حمله، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل بمنى فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة، فقال لخالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **يا خالد! هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل**، فقال خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنا سيف الله وسيف رسوله، فيومئذ سُمِّي سيف الله، فقال: يا رسول **الله!** ابعثني أين شئت، فبعثه على خيل فلقي عكرمة الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾، قال: فكفَّ الله عَزَّ وَجَلَّ النبي ﷺ عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبقوا فيها كراهية أن تطأهم الخيل»، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبزى بنحوه.

وهذا السياق فيه نظر؛ فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية؛ لأن خالدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يكن أسلم، بل قد كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت في «الصحيح»، ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء؛ لأنهم قاضوه على أن يأتي في العام القابل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام، ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه، فإن قيل. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المقصود: أن هذا الخبر ضعيف، ابن حميد ضعيف، شيخ المؤلف شيخ ابن جرير خبر ضعيف من وجوه كثيرة: من جهة خالد ما أسلم إلا بعد ذلك، ومن جهة قوله: نزل بمنى، وإنما نزل في الحديبية ما نزل في منى.

المقصود: إنه خبر ضعيف، وسياقه غريب وليس بشيء، وإنما الصواب: أنه ﷺ جاء للعمرة فقط، ما جاء لقتال، ولا جلب الخيل والسلاح، إنما جاء للعمرة، فلما صدوه جلس في الحديبية لما خلأت ناقته قال: **ما ذلك لها بخُلُق،** ثم قال: ... **إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم إليها،** فقاضاهم في الحديبية، على وضع الحرب عشر سنين، وكان خالد مع الكفار ذاك الوقت، وكان النزول في الحديبية لا في منى، ولم يجلب الخيل والكراع من المدينة، إنما جاء للعمرة ما جاء للقتال.

المقصود: أن السياق هذا غلط من ابن حميد أو غيره.

مداخلة: هل الحديبية الآن تعتبر من مكة بنص الآية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

تحتمل من أجل قربها، أقول: من أجل القرب والله أعلم...، ويحتمل أن هذه قضية أخرى.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[فإن قيل: فيكون يوم الفتح؟ فالجواب: ولا يجوز أن يكون يوم الفتح؛ لأنه لم يَسُقِ عام الفتح هديًا، وإنما جاء محاربًا مقاتلًا في جيش عرمرم.

فهذا السياق فيه خلل، وقد وقع فيه شيء، فليتأمل، والله أعلم.

وقال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال: إن قريشًا بعثوا أربعين رجلًا منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بمعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا من أصحابه أحدًا، وأخذوا أخذًا فأتي بهم...

فأخذوا أخذًا فأتي بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا إلى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل، قال ابن إسحاق: وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآية.

وقال قتادة: ذكر لنا «أن رجلًا يقال له: ابن زنيم، اطلع على الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله ﷺ خيلًا فأتوا باثني عشر من الكفار فقال لهم: **هل لكم عليَّ عهد، هل لكم علي ذمة؟** قالوا: لا، فأرسلهم، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآية».

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٥، ٢٦][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله ﷺ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: هم الكفار دون غيرهم، ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: وأنتم أحق به، وأنتم أهله في نفس الأمر، ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾؛ أي:

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وصدوا الهدي أن يصل إلى محله، وهذا من بغيهم وعنادهم، وكان الهدي سبعين بدنة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقوله ﷻ: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٌ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَٰتٌ﴾؛ أي: بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكنا سلطانكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم، ولكن بين إفنائهم.

من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ﴾؛ أي: إثم وغرامة بغير علم.

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾؛ أي: يؤخر عقوبتهم، ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾؛ أي: لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم، ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: لسلطناكم عليهم، فقتلتموهم قتلًا ذريعًا.

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، حدثنا عبد الرحمٰن بن أبي عباد المكي، حدثنا عبد الرحمٰن بن عبد الله بن سعد مولى بني هاشم، حدثنا حجر بن خلف قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت جنيد بن سبيع يقول: قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافرًا، وقاتلت معه آخر النهار مسلمًا، وفينا نزلت: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٌ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَٰتٌ﴾ قال: كنا تسعة نفر، سبعة رجال وامرأتين، ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكي به، وقال فيه: عن أبي جمعة جنيد بن سبيع فذكرهم.

والصواب: أبو جعفر حبيب بن سباع.

ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر بن خلف به، وقال: كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة، وفينا نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة.

عن أبي حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابًا أليمًا بقتلهم إياهم».

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]**(١).

وقوله عز وجل: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

مداخلة: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: هم الكفار دون غيرهم، أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ... في محلها، في مكة يعني...، ... نعم.

مداخلة: تسمية خالد ـ رضي الله تعالى عنه ـ سيف الله المسلول؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الظاهر أنه سُمِّي: يوم غزوة مؤتة. نعم.

مداخلة: سيف الله، وإلا سيف رسول الله؟

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سيف الله، نَصَرَ الله به المسلمين يوم مؤتة لما قتل زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة، تولاها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تصالح الناس عليه ونفع الله به المسلمين، ونصرهم به، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمٰن الرحيم، وأبوا أن يكتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهي قول: لا إلٰه إلا الله، كما قال ابن جرير وعبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن قزعة أبو علي البصري، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا شعبة عن ثور عن أبيه عن الطفيل - يعني: ابن أُبي بن كعب -، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: **لا إلٰه إلا الله**». وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة، وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديثه، وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن ثوير، رافضي خبيث. نعم. ثوير على اسمه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عبد الرحمٰن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله، ومن قال: لا إلٰه إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله** عَزَّوَجَلَّ[(١)]، **وأنزل الله** عَزَّوَجَلَّ **في كتابه، وذكر قومًا**، وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]».

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٤٧).

وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، وهي: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، فاستكبروا عنها، واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية، فكاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدة، وكذا رواه بهذه الزيادات: ابن جرير من حديث الزهري، والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري، والله أعلم.

وقال مجاهد: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الإخلاص.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود أن الله وفَّق عباده المؤمنين لكلمة التقوى: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وكل كلمة أتى بها حق، بخلاف أهل الجاهلية الذين لما قال لهم: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، اكتب محمد بن عبد الله، ولما قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمٰن، اكتب باسمك اللَّهُمَّ، هذا من جهلهم، والمسلمون ألزمهم الله كلمة التقوى، واستقاموا عليها وقالوها واطمأنوا إليها، وهداهم الله بها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه تعم، كلمة التقوى تعم، كلمة جامعة، تعم: لا إلٰه إلا الله، وتعم: بسم الله الرحمٰن الرحيم، وتعم: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، كل كلمة حق تدخل في كلمة التقوى نعم، فكان المسلمون أولى بها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقاله يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور: «﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له».

وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي رضي الله عنه: «﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إلٰه إلا الله، والله أكبر». وكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: يقولوا شهادة أن لا إلٰه إلا الله وهي رأس كل تقوى».

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إلٰه إلا الله والجهاد في سبيله.

وقال عطاء الخراساني: هي لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله.

وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم.

وقال قتادة: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إلٰه إلا الله.

﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾؛ أي: هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر، وقد قال النسائي: حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا شبابة بن سوار.

عن أبي رزين، عن عبد الله بن العلاء بن نوير، عن بشر بن عبد الله...

مداخلة: ابن زبر، بارك الله فيك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: المعروف: عبد الله بن العلاء بن زبر بالزاء والباء والراء زبر، عبد الله بن العلاء بن زبر.

مداخلة: عندنا كذلك زبر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم.

مداخلة: زبر عندنا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الصواب: عبد الله بن العلاء بن زبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن بشر بن عبد الله، عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا عندك بشر أم بسر؟

مداخلة: بسر عندي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بسر بن عبيد الله بالتصغير؟

مداخلة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم هذا الصواب، بسر بن عبيد الله، ماذا عندكم؟

مداخلة: نعم، هو بسرٌ، بارك الله فيك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بسر بن عبيد الله نعم، عن بسر بن عبيد الله.. ماذا بعده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن بسر بن عبيد الله عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه كان يقرأ...

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام، فبلغ ذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأغلظ له فقال: إنك لتعلم أني كنت أدخل على رسول الله ﷺ فيعلمني مما علمه الله تعالى، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بل أنت رجل عندك علم وقرآن، واقرأ وعلم مما علمك الله تعالى ورسوله.

﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾؛ أي: هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر.

الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصلح:

ذكر الأحاديث الورادة في قصة الحديبية وقصة الصلح:

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري، عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا: «خرج رسول الله ﷺ يريد زيارة البيت لا يريد قتالًا، وساق معه الهدي سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة، وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله! هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل، قد لبست جلود النمور، يعاهدون الله تعالى ألا تدخلها عليهم عنوة أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموه إلى كراع الغميم، وقال رسول الله ﷺ: **يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله ﷻ أو تنفرد هذه السالفة**[١].

ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة، قال: فسلك بالجيش تلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم، راكضوا راجعين إلى قريش، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك ثنية المرار بركت ناقته، وقال الناس: خلأت، فقال رسول الله ﷺ: **ما خلأت، وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، والله لا**

(١) رواه الإمام أحمد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم (٤/ ٣٢٣).

تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها.

ثم قال ﷺ للناس: **انزلوا**، قالوا: يا رسول الله! ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس، فأخرج رسول الله ﷺ سهمًا من كنانته فأعطاه رجلًا من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه فيه، فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن، فلما اطمأن رسول الله ﷺ إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة، فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش! إنكم تعجلون على محمد ﷺ، إن محمدًا لم يأتِ لقتال، إنما جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا لحقه، فاتهموهم، قال محمد بن إسحاق: قال الزهري: وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ. .».

«نصح رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ مشركها ومسلمها لا يخفون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئًا كان بمكة، فقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك؛ فوالله لا يدخلها أبدًا علينا عنوة، ولا يتحدث بذلك العرب، ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هذا رجل غادر، فلما انتهى إلى رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ كلَّمه رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ بنحو مما تكلم به مع أصحابه، ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ فَابْعَثُوا الهَدْيَ فِي وَجْهِهِ**»(١)، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٣).

أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع ولم يَصِلْ إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأى، وقال: يا معشر قريش! لقد رأيت ما لا يحل صد الهدي في قلائده».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ما لا يحل صده، الهدي في قلائده، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، قالوا: اجلس، إنما أنت أعرابي لا علم لك.

فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي، فقال: يا معشر قريش! إني قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثون إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ».

«وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئت حتى آسيتكم بنفسي، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه فقال: يا محمد! جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لنقضها».

«لتفضها، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل».

«العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله تعالى ألا تدخلها عليهم عنوة أبدًا، وايم الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا، قال وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاعد خلف رسول الله ﷺ فقال: امصص بظر اللات»، أنحن ننكشف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال ﷺ: **هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ**[(١)]، قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها.

ثم تناول لحية رسول الله ﷺ، والمغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واقف على

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٣).

رأس رسول الله ﷺ بالحديد، قال: فقرع يده، ثم قال: أمسك يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل والله ألا تصل إليك، قال: ويحك، ما أفظك وأغلظك، فتبسَّم رسول الله ﷺ، قال: من هذا يا محمد؟ قال ﷺ: «**هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ**»[١]، قال: أغُدَر؟».

«وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس؟! قال: فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حربًا، قال: فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه: لا يتوضأ وضوءًا إلا ابتدروه، ولا يبصق بصاقًا إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه.

فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش! إني جئت كسرى في ملكه، وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما، والله ما رأيت ملكًا قط مثل محمد ﷺ في أصحابه، ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا فروا رأيكم، قال: وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وفي هذه القصة جواز اتخاذ الحرس، فإنه جعل المغيرة على رأسه حارسًا عليه الصلاة والسلام، وفيه منع من أساء الأدب ولهذا قرعه المغيرة بالسيف بنصل السيف ليكف يده عن لحية رسول الله، ففي هذا أن مثل هذا لا بأس به ولا حرج فيه، أن يقف الحارس على رأس السلطان أو الأمير لحمايته من الأعداء حارسًا، ولا ينافي التوكل، توكل مع الأخذ بالأسباب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

[«وحمله على جمل له يقال له: الثعلب، فلما دخل مكة عقرت به

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٣).

قريش، وأرادوا قتل خراش، فمنعتهم الأحابيش، حتى أتى رسول الله ﷺ فدعا عمر رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة فقال: يا رسول الله! إني أخاف قريشًا على نفسي وليس بها من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز مني بها: عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه يخبرهم أنهم لم يأتِ لحرب أحد، وإنما جاء زائرًا لهذا البيت، معظمًا لحرمته.

فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته وحمله بين يديه وأردفه خلفه، وأجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ، وانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان رضي الله عنه: أنت شئت أن تطوف..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: إن شئت.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، قال: واحتبسته قريش عندها، قال: وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان رضي الله عنه قد قتل.

قال محمد: فحدثني الزهري: أن قريشًا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا: ائتِ محمدًا فصالحه ولا تلن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدًا، فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ قال: **قَدْ أَرَادَ القَومُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلُ**[1]، فلما انتهوا إلى رسول الله ﷺ تكلما وأطالا الكلام..»].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٣).

«فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلما وأطالا الكلام، وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح، فلما التأم الأمر ولم يبقَ إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر! أوليس برسول الله؟! أولسنا بالمسلمين؟! أوليسوا بالمشركين؟! قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: الزم غرزه حيث كان، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا أشهد، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أولسنا بالمسلمين؟! أوليسوا بالمشركين؟! قال رسول الله ﷺ: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال ﷺ: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني.

ثم قال عمر رضي الله عنه..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

عمر رضي الله عنه ما تحمل هذا الأمر، شق عليه كونه قالوا: اكتب محمد بن عبد الله ولا تكتب محمد رسول الله، واكتب باسمك اللَّهُمَّ، ولا تكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم، عظم عليه هذا الأمر، وكذلك من جاءك منا مسلمًا ترده إلينا، ومن جاءنا منكم لا نرده إليك، عظم الأمر من أجل هذا التساهل الذي وقع والغضاضة التي على المسلمين لم يتحملها عمر رضي الله عنه، بيَّن له الصديق، ثم بيَّن له النبي ﷺ أن هذا أمر الله، لما أراد الله من الصلح والخير العظيم في هذا الصلح.

وهذا يدل على أنه يجوز الصلح ولو فيه غضاضة على المسلمين إذا كان في مصالح يرى ولي الأمر في مصالح فلا بأس ولو كان في غضاضة، فكان صلحًا فيه غضاضة ولكنه صار فتحًا؛ أمن الناس، ودخلوا في دين الله أفواجًا، وتراجع الناس، وأمنت الطرق، ثم جاءهم بحمد الله بعد سنتين فاتحًا منصورًا مؤيدًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثم قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: اللَّهُمَّ ارض عنه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«حتى رجوت أن يكون خيرًا. قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: **اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم**، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللَّهُمَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، هَذَا مَا صَالَح عليه مُحَمَّد بْنُ عَبْدِ اللهِ قُرَيْشًا**»[(١)]، فقال له سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه، ومن أتى قريشًا ممن مع رسول الله ﷺ لم يرده عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا أغلال».

وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب: أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن في عقد رسول الله ﷺ وعهده، وثوابت بنو بكر..».

«وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنك ترجع عنا عامنا هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٨٦).

خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقمت فيها ثلاثًا معك سلاح الراكب، لا تدخلها بغير السيوف في القِرب، فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ قال: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل رسول الله ﷺ على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا أن يهلكوا، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وقال: يا محمد! قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: **صدقت**، فقام إليه فأخذ بتلابيبه. قال: وصرخ أبو جندل بأعلى صوته: يا معشر المسلمين! أتردونني إلى أهل الشرك..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا من الابتلاء والامتحان، أقول: هذا من الابتلاء والله أكبر، في هذا الوقت العظيم العصيب، جاء أبو جندل يريد الخلاص من قريش، والنبي ﷺ بموجب الصلح يجب أن يرده إليهم، الله المستعان، الله أكبر، وهذا من البلاء العظيم والفتنة، ولكن الله صبَّر المسلمين، الله أكبر.

مداخلة: بارك الله فيكم! ما الفرق بين باسمك اللَّهُمَّ، وبسم الله الرحمٰن الرحيم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التصريح، باسمك اللَّهُمَّ صحيحة، لكن بسم الله الرحمٰن أصرح في أسماء الله وتعظيمه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يا معشر المسلمين: أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني، قال: فزاد الناس شرًّا إلى ما بهم، وقال رسول الله ﷺ: **يا أبا جندل!**

اصبر واحتسب فإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدًا، وإنا لن نغدر بهم، قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل يمشي مع جندل إلى جنبه ويقول..».

«فجعل يمشي مع..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أبي جندل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، قال: ويُدني قائم السيف منه، قال يقول: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فضن الرجل بأبيه، قال: ونفذت القضية، فلما فرغا من الكتاب وكان رسول الله ﷺ يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل، قال: فقام رسول الله ﷺ فقال: **يا أيها الناس! انحروا واحلقوا**[1]، قال: فما قام أحد، قال: ثم دعا رسول الله ﷺ بمثلها، فما قام رجل، ثم عاد ﷺ بمثلها، فما قام رجل.

ورجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال: **يا أم سلمة! ما شأن الناس؟!** قالت: يا رسول الله! قد دخلهم ما رأيت، فلا تكلمن منهم إنسانًا، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

رأي عظيم رضي الله عنها، الله أكبر، يعني: ابدأ بنفسك وسوف يفعلون، تأخروا يرجون الصلح، يرجون أن يحصل صلح، وأن يدخلوا مكة، وأن يؤذن لهم بدخول مكة، فلما رأوه ﷺ بادر بالنحر نحروا، الله أكبر،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٣).

نعم، اللَّهُمَّ ارضَ عنهم، وهذا معنى قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]؛ يعني: فاذبحوا، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدًا حتى إذا أتى هديه فنحره، ثم جلس فحلق، قال: فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق، نزلت سورة الفتح» هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سورة الفتح، سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ سمَّاه الله فتحًا، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه، وهكذا رواه يونس بن بكير، وزياد البكَّائي، عن إسحاق بنحوه وفيه إغراب.

وقد رواه أيضًا عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به نحوه، وخالفه في أشياء وفيه إغراب.

مداخلة: .. وإنما هو دم كلب أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: الكافر الحربي.

مداخلة: ... الحربي، والكتابي له دية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة، وقال في كتاب الشروط من صحيحه:

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، أخبرني الزهري، أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة

ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: «خرج رسول الله ﷺ ومن الحديبية في بعض عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينًا من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشًا قد جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك، فقال ﷺ: **أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أترَوْن أن أَمِيل على عِيالهم وَذَراريِّ هؤلاء الذين يُريدونَ أن يَصُدُّونَا عن البيْتِ** ـ وفي لفظ ـ **ترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم، فإن يأتونا كان الله قد قطع عنقًا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين** ـ وفي لفظ ـ **فإن قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين، وإن نجوا يكن عنقًا قطعها الله** ﷻ، **أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه**، وقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربًا، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه ـ وفي لفظ ـ وقال أبو بكر رضي الله عنه: الله ورسوله أعلم إنما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: **فروحوا إذًا** ـ وفي لفظ ـ **فامضوا على اسم الله تعالى**، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ: **إن خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين**، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان في الثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حل، حل»[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

فألحَّت، وقالوا: خلأت القصواء خلأت القصواء، وقال النبي ﷺ: **مَا خَلأَتِ الْقَصْواءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**، ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية برقم (٤١٧٩).

قَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**»[١].

ومعنى خلأت يعني: حرنت، يسمونها العامة حرنت، حرنت: ما قامت يعني، لأمر الله، إن الله حبسها حتى يتم الصلح الذي أراده الله، كما حبس الفيل... في مكة، الله أكبر..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها**، ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضًا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يتبرضه، الباء قبل الضاد.

مداخلة: عندنا يتبرضه، الراء قبل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يخالف يتبرضه طيب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فلم يلبث الناس حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع ﷺ من كنانته سهمًا ثم أمرهم أن يجعلوه فيه؛ فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من علامات النبوة، كون الله ﷻ ردَّ إليها الماء لما وضع فيها السهم، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه

---

(١) أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، وقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، أعداد، العدود يسمونها عدودًا، المياه الموجودة؛ يعني: الآبار الموجودة.

مداخلة: العد بالكسر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، جمعها أعداد.

(القارئ): «نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: مثل البئر والآبار.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت، وقال النبي ﷺ: **إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ، فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أَوْ لَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جموا.. يعني: جموا من الحرب، رجعت إليهم قوتهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال بديل: سأبلغهم ما تقول، وانطلق حتى أتى قريشًا فقال: إنا قد

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٤/ ٣٩٤)، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٣/ ٣٨٣).

جئنا من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولًا، فإن شئت أن نعرضه عليكم فعلنا. . ».

فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول: كذا وكذا، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ، وقام عروة بن مسعود فقال: أي قومي ألستم بالوالد، أي قوم ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استغفرت أهل عكاظ».

«أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلَّحوا عليَّ. . ».

جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، ودعوني آته، قالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلم. . ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عروة هذا من كبار أهل الطائف من ثقيف، من رؤساء ثقيف، عروة بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ له نحوًا من قوله لبديل بن ورقاء، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت قومك؟ هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟! وإن تكُ الأخرى فإني والله لأرى وجوهًا، وإني لأرى أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: امصص بظر اللات».

«أنحن نفر وندعه؟! قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك.

قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما كلمه أخذ بلحيته ﷺ والمغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه

المغفر، وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه وقال: من هذا؟! قال: المغيرة بن شعبة، قال: أي غدر! ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: **أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء**، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه..».

«ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيمًا له ﷺ..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

اللَّهُمَّ صل عليه رضي الله عنهم، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«ورجع عروة إلى أصحابه، وقال: أي قوم: والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إن رأيت يعني: ما رأيت، إن نافية، يعني: ما رأيت أحدًا من الرعايا تعظِّم ملوكها كما يعظِّم أصحاب محمد محمدًا، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه، نعم؛ لأنهم يعظمونه عن إيمان، عن إيمان وتقرب إلى الله وعبادة، الله أكبر.

مداخلة: عفا الله عنك! ردّ النبي ﷺ للمال مع أنهم محاربون، الذين قتلهم المغيرة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ما للنبي ﷺ فيه من نظر، إنما قبل إسلامه فقط، أما هو... قتلهم لهم شأن آخر.

مداخلة: والمال يكون للمغيرة...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لهم شأن آخر، ما تعرض له النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل منهم من بني كنانة: دعوني آتِه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال النبي ﷺ: «**هَذَا فُلَانٌ وَهْوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظِّمُونَ الْبُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ**»[(١)]، فبعثت له واستقبله الناس يلبون، فلماً رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص، وقال: دعوني آتِه، فقالوا: ائتِه، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: **هذا مكرز وهو رجل فاجر**، فجعل يكلّم النبي ﷺ، فبينما هو يكلم إذ جاء سهيل بن عمرو.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة برقم (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢).

وقال معمر: أخبرني أيوب عن عكرمة أنه قال: لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: **قد سهل لكم من أمركم**»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تفاؤل باسم سهيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو وقال: هات اكتب بيننا وبينك كتابًا، فدعا النبي ﷺ بعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال: **اكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم**، فقال سهيل بن عمرو: أما الرحمٰن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللَّهُمَّ كما كنت تكتب، وقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقال النبي ﷺ: **اكتب باسمك اللَّهُمَّ، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله** ﷺ، وقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، وقال النبي ﷺ: **والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله**.

قال الزهري: وذلك لقوله: **والله لا يسألوني خطة يعظِّمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها**، فقال له النبي ﷺ: **على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به**، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لك ذلك أم ما فيها لك ذلك؟...

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فكتب فقال سهيل: وعلى ألا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٢٠).

إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا..».

«فبينما هم كذلك، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من الابتلاء والامتحان، من الابتلاء والامتحان، الله أكبر! نعم، الله أكبر!

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«هذا - يا محمد - أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي، وقال النبي ﷺ: **إنا لم نقضِ الكتاب بعد**، قال: فوالله إذًا لا أصالحك على شيء أبدًا، فقال النبي ﷺ: **فأجِزه لي**، قال: ما أنا بمجيز ذلك لك، قال: **بلى فافعل**، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين! أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا! ألا ترون ما قد لقيت؟! وكان قد عذب عذابًا شديدًا في الله عَزَّوَجَلَّ.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقًّا؟ قال ﷺ: **بلى**، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال ﷺ: **بلى**، قلت: فلمَ نُعطَ الدنية في ديننا إذًا؟ قال ﷺ: **إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري**، قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال ﷺ: **بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟** قلت: لا، قال ﷺ: **فإنك آتيه ومطوِّف به..**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط من الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط برقم (٢٧٣١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه من المحن العظيمة التي حيَّرت الناس، كون أبو جندل جاء معذَّبًا مؤذًى في قيوده ويرد عليهم، اشتد الأمر على المسلمين حتى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكذلك من جاء مسلمًا يرد، ولا يكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم، ولا يكتب محمد رسول الله، كل هذه الأشياء فيها غضاضة على المسلمين، ومع هذا صبر عليها النبي ﷺ؛ لأن الله أمر بها، أمره الله بهذه الأشياء، وصارت العاقبة حميدة، صار فتحًا للمسلمين، وأنزل الله فيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وهاجر المسلمون إلى المدينة، وعظم المسلمون وكثر المسلمون في المدينة، ثم فتح الله عليهم، وجاء فاتحًا منصورًا مؤيدًا، مثل ما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] كرهوا هذا الصلح لما فيه من الغضاضة، ولكن جعل الله فيه الخير الكثير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلمَ نعطِ الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، ووالله إنه على الحق، قلت: أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، قال: أفأخبرك أنك تأتيه العام، قلت: لا، قال: فإنك تأتيه وتطوف به».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا يبيِّن لنا فضل الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتقدم علمه وإيمانه، أجاب بما أجاب به النبي ﷺ، وهذا يدل على الفضل العظيم والإيمان العظيم، وأن الله جَلَّ وَعَلَا له الحكمة البالغة في كون هذا الرجل خير الناس، وأفضل

الناس بعد رسول الله ﷺ، لما أعطاه الله من الإيمان العظيم والصبر والثبات عند وجود الفتن، الله المستعان.

مداخلة: هو أجاب هكذا، ولم يسمع هذا من النبي ﷺ؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قال الزهري: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فعملت لذلك أعمالًا، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: عمل أعمالًا طيبة لهذا التردد الذي فعله مع النبي ﷺ ومع الصديق، عمل أعمالًا صالحة لعلها تكفر ما حصل له من التردد والشك، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **قوموا فانحروا ثم احلقوا**، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال النبي ﷺ ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل ﷺ على أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فذكر لها ما لقي من الناس، قالت له أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا نبي الله! أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج رسول الله ﷺ فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا، ثم جاءه..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه: أن المشورة ما تختص بالرجال، وأن بعض النساء قد يوفقن للرأي السديد والمشورة الحسنة، ولهذا لما أخبر أم سلمة قالت له هذا الكلام العظيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ابدأ بنفسك، اخرج يا رسول الله ولا

تكلم أحدًا، وانحر هديك أنت، واحلق رأسك، فإذا رأوك بادروا، ففعل وصار الأمر كما قالت، لما رأوه.. كانوا يرجون أن يحصل لهم فرصة يدخلون مكة، ولم يعجلوا في النحر والحلق رجاء أن يتيسر لهم...، فلما رأوه صمَّم وبادر ونحر هديه، وأمر الحلاق يحلق، بادروا ﵃ وسارعوا، عرفوا أن الأمر جد وأن ما في حيلة، لا بد من هذا، الله المستعان.

مداخلة: قوله: كاد يقتل بعضهم بعضًا غمًّا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

من الحرص، من الحرص على الامتثال، غمًّا لما تأخروا، عن تأخرهم، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير ﵀:

«ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله ﷿: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ﴾ [الممتحنة: ١٠] حتى بلغ: ﴿بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] فطلق عمر ﵁ يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية..».

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

يعني: أن النساء ما دخلن في الصلح، أمره الله أن يقبلهن ولا يردهن إلى الكفار؛ لأنهم لو ردوا عُذِّبوا، فمن رحمة الله أن أمر نبيّه أن يقبلهم، وأنهم غير داخلين في الصلح، نعم؛ لأنه كان الصلح مع الرجال.

قال الحافظ ابن كثير ﵀:

«ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه اثنين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر

لهم، وقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستلَّه الآخر وقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت منه، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «**لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا**»[1]، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي، وإني لمقتول».

فجاء أبو بصير فقال: يا رسول الله! قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم نجاني الله تعالى منهم، فقال النبي ﷺ: «**وَيْلُ أُمِّه مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سِيف البحر، قال: وتفلَّت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، وأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم وأنزل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ وكانت حميتهم: أنهم لم يقروا أنه رسول الله ﷺ، ولم يقروا ببسم الله الرحمٰن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وردَّ الله أبا جندل، وفرَّج الله كربة أبا جندل وأبا بصير، واضطر المشركون إلى أن يطلبوا من الرسول ﷺ أن يردهم إليه، حتى يسلموا من

---

(١) أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، برقم (٢٧٣١).

أذاهم في الطرق، وهذا من رحمة الله للجميع، الله أكبر! ومن تمهيد الفتح في المستقبل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

هكذا ساقه البخاري هاهنا.

وقد أخرجه في التفسير وفي عمرة الحديبية وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهري به، ووقع في بعض الأماكن عن الزهري عن عروة بن مروان والمسور...

ووقع في بعض الأماكن عن الزهري عن عروة عن ابن مروان.. عن مروان والمسور...

عن رجال من أصحاب النبي ﷺ بذلك.

وهذا أشبه والله أعلم، ولم يسقه أبسط من هاهنا.

وبينه وبين سياق ابن إسحاق تباين في مواضع.

وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلى ما هنا، ولذلك سقنا تلك الرواية...

وهذه، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

مداخلة: ... النبي ﷺ قد أجزناه لك؛ يعني: أبا جندل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما طاعه ما طاع سهيل ما طاع أبوه، أبوه حي، أبوه هو الموكل هو الوكيل عن قريش، مكرز ما عنده...

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال البخاري في التفسير: حدثنا أحمد بن إسحاق السلمي، حدثنا يعلى، حدثنا عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت

قال: «أتيت أبا وائل أسأله: وقال: كنا بصفين، فقال رجل: ألم ترَ إلى الذين يدعون إلى كتاب الله؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم، فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم، ولقد رأيتنا يوم الحديبية؛ يعني: الصلح، الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين، ولو نرى قتالًا لقاتلناك.

فجاء عمر رضي الله عنه وقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ فقال: **بلى**، فقال: ففيمَ نُعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يابن الخطاب إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا، ورجع متغيظًا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: **يابْنَ الخَطَّاب إِنَّه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، ولن يُضَيِّعُهُ اللهُ أبدًا**، فنزلت سورة الفتح».

وقد رواه البخاري أيضًا في مواضع أخر، ومسلم والنسائي من طرق أخر عن أبي وائل سفيان بن أبي سلمة عن سهل بن حنيف به، وفي بعض ألفاظه: «يا أيها الناس! قدموا الرأي..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

شقيق بن سلمة، شقيق، عن أبي وائل شقيق بن سلمة بقافين، عن سهل بن حنيف نعم، وهذا هو الواجب على المؤمنين: اتهام الرأي، والتبصر وعدم العجلة؛ لأن الله حكيم عليم جل جلاله له الحكمة البالغة، فلهذا أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية بالصلح، ولو كان فيه غضاضة على المسلمين؛ لما في ذلك من العاقبة الحميدة والخير الكثير بعد ذلك، والعباد لا يدرون ما يعلمون، الله هو الذي يعلم المغيبات، وله الحكمة البالغة، فالواجب هو اتباع الشرع والأخذ بالشرع، وإن رأى

الإنسان فيه بعض الغضاضة؛ لأن العاقبة الحميدة للمؤمنين، فإذا اقتضت المصلحة الشرعية شيئًا يفعله ولي الأمر وفيه غضاضة على المسلمين، لكن يرى فيه المصلحة العظيمة للمسلمين والنصر على الأعداء فلا بأس، كما فعله سيد الخلق وأفضلهم وإمامهم يوم الحديبية. اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

مداخلة: عبد العزيز بن سياه بالياء، عفا الله عنك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: . . . نعم.

مداخلة: بالياء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بالياء. نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي بعض ألفاظه: «يا أيها الناس! اتهموا الرأي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: لا تثقوا بآرائكم، معناه: اتهموا آراءكم، ما هو بكل واحد يقول: لا أنا رأيي هو الصواب، لا، يتأنى، قد تكون مخطي وغيرك مصيب، لا تعجل، كل واحد يتهم رأيه ويتثبت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر على أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددته»، وفي رواية: «فنزلت سورة الفتح، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقرأها عليه».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليطمئن، ليطمئن ويعلم أنه فتح، سماه الله فتحًا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما تحمل هذا الأمر، كونهم يقولون: ما لك.. لا تكتب رسول الله، قل: محمد بن عبد الله، ولا تكتب بسم الله

الرحمٰن، قل باسمك اللَّهُمَّ، ومن جاءنا منكم لا نرده عليكم، ومن جاءكم منا ردوه علينا، ثلاث خصال عظيمة ما تحملها عمر، فلهذا قال: فلماذا نعطي الدنية في ديننا؟! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟! ألست رسول الله؟!

فأقنعه النبي ﷺ قال: «**أنا رسول الله ولن يضيعني الله**»، وأقنعه الصديق، قال عمر: فعملت لهذا أعمالًا بعد ذلك... من هذا... عمل له أعمالًا من الأعمال الصالحة، والذي حمله على هذا رضي الله عنه: شدة غيرته، وشدة بغضه للكفار.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: «إن قريشًا صالحوا النبي ﷺ وفيهم سهيل بن عمرو، وقال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: **اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم**، وقال سهيل: لا ندري ما بسم الله الرحمٰن الرحيم، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال ﷺ: **اكتب من محمد رسول الله**، قال: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك..».

مداخلة: لا، عندنا بغير من.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما فيه من، اكتب محمد؛ يعني: هذا ما قاضى عليه محمد، هذا ما صالح عليه محمد، نعم، من ما فيه من.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«فقال النبي ﷺ: «**اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ**». فاشترطوا على النّبيّ ﷺ: أنّ من جاء منكم لم نردّه عليكم، ومن جاءكم منّا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله، أنكتب هذا؟ قال: «**نَعَمْ إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ**

مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ماذا.

(**القارئ**): «واشترطوا على النبي ﷺ: أن من جاء منكم نرده عليكم. .».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لم نردّه أو لا نرده لم نرده، لم ما يخالف، طيب لم نرده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، وقال: يا رسول الله! أنكتب هذا؟ قال ﷺ: **نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله**». رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

«قال: **ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجًا ومخرجًا**»، هذه النقاط الثلاث هي التي أوجبت لعمر الشدة والحيرة:

الحالة الأولى: قوله: اكتب محمد بن عبد الله، لا تكتب محمد رسول الله.

والثانية: قوله: اكتب باسمك اللَّهُمَّ، لا تكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم.

والثالثة: أن من جاءنا منكم لا نردّه إليكم، ومن جاءكم منا تردونه إلينا.

هذه ثلاث عظيمة، لكن صبر عليها النبي ﷺ بأمر الله، الله أمره أن يصبر عليها، وأمره سبحانه أن يوافق عليها، لما فيها من الخير العظيم بعد ذلك، والفتح، والأمن، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وتسابقهم إلى الهجرة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية برقم (١٧٨٤).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أحمد أيضًا: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال: حدثني سماك، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقلت لهم: إن رسول الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: **امحُ يا علي، اللَّهُمَّ إنك تعلم أني رسولك، امحُ يا علي واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله**، والله لرسول الله خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة أخرجت من هذه..».

قالوا: نعم». ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار اليمامي بنحوه.

وروى الإمام أحمد عن يحيى بن آدم عن زهير بن حرب عن محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نحر رسول الله ﷺ يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل، فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها».

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٧، ٢٨][1].

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح، ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: **بلى، فأخبرتك أنك تأتيه في عامك هذا**..

قال: لا، قال النبي ﷺ: **فإنك آتيه ومطوف به.**

وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضًا حذو القذة بالقذة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: اللَّهُمَّ ارضَ عنه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قد دخلوه عام.. عام القضاء، دخلوا في السنة السابعة، صدوا يوم.. في السنة السادسة، ثم دخلوا في السنة السابعة وطافوا وحقَّق الله ما أخبر به نبيّه ﷺ، الله أكبر!

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء.

وقوله ﷻ: ﴿ءَامِنِينَ﴾؛ أي: في حال دخولكم.

وقوله: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: حال مقدرة؛ لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين، وإنما كان هذا في ثاني الحال، كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره.

وثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله المحلقين**، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال ﷺ: **رحم الله**

المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال ﷺ: **رحم الله المحلقين**، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال ﷺ: **والمقصرين**، في الثالثة أو الرابعة»[1].

وقوله تَعَالَى: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ حال مؤكدة في المعنى، فأثبت لهم الأمن حال الدخول، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد، لا يخافون من أحد.

وهذا كان في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع، فإن النبي ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي القعدة، رجع إلى المدينة، فأقام بها ذا الحجة، والمحرم، وخرج في صفر إلى خيبر، ففتح الله عليه بعضها عنوة، وبعضها صلحًا، وهي إقليم عظيم كثير النخل والزرع، فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر، وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم، ولم يشهدها أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة: جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وأبو موسى الأشعري وأصحابه رضي الله عنهم، ولم يغب منهم أحد.

قال ابن زيد: إلا أبا دجانة سماك بن خرشة، كما هو مقرر في موضعه، ثم رجع إلى المدينة، فلما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمرًا هو وأهل الحديبية، فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي، قيل: كان ستين بدنة، فلبى وسار أصحابه يلبون، فلما كان ﷺ قريبًا من مر الظهران بعث محمد بن سلمة بالخيل والسلاح أمامه، فلما رآه المشركون رعبوا رعبًا شديدًا، وظنوا أن رسول الله ﷺ يغزوهم، وأنه قد نكث العهد الذي بينهم وبينه من وضع القتال عشر

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب من لبد رأسه عند الإحرام برقم (١٧٢٧)، ومسلم في كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير برقم (١٣٠١).

سنين، فذهبوا فأخبروا أهل مكة، فلما جاء رسول الله ﷺ فنزل بمر الظهران حيث ينظر إلى أنصاب الحرم، بعث السلاح من القسي والنبل والرماح إلى بطن يأجج، وسار إلى مكة بالسيوف مغمدة في قِرَبها، كما شارطهم عليه، فلما كان في أثناء الطريق، بعثت قريش مكرز بن حفص وقال: يا محمد! ما عرفناك تنقض العهد، فقال ﷺ: **وما ذاك؟!** قال: دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح، فقال ﷺ: **لم يكن ذلك، وقد بعثنا به إلى يأجج**، فقال: بهذا عرفناك في البر والوفاء.

وخرجت رؤوس الكفار من مكة؛ لئلا ينظروا إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه ﷺ، غيظًا وحنقًا، وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فدخلها ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين يديه أصحابه يلبون، والهدي قد بعثه إلى ذي طوى، وهو راكب ناقته القصواء التي كان راكبها يوم الحديبية، وعبد الله بن رواحة الأنصاري آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ يقودها وهو يقول:

باسم الذي لا دين إلا دينه باسم الذي محمد رسولِهِ
خلو بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويلِهِ
كما ضربناكم على تنزيله ضربًا يزيل الهام عن مقيلِهِ
ويُذهل الخليلُ عن خليله قد أنزل الرحمٰنُ في تنزيلِهِ
في صحف تُتلَى على رسوله بأن خيرَ القتلِ في سبيلِهِ
يا ربِّ إني مؤمن بقيلِهِ

فهذا مجموع من روايات متفرقة.

قال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: «لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء دخلها وعبد الله بن رواحة ﷺ آخذ بخطام ناقته ﷺ وهو يقول:

خلوا بني الكفارِ عنْ سبيلِهِ إنـي شـهـيـدٌ أنـه رسـولُـهُ
خلوا فكلُّ الخير في رسولِهِ يـا ربِّ إنـي مـؤمـنٌ بـقـيـلِـهِ
نحن قتلناكم على تأويلِهِ كما قتلناكم على تنزيلِهِ
«ضربًا يزيل الهامَ عن مقيلِهِ ويذهلُ الخليلُ عنْ خليلِهِ».

وقال عبد الرزاق: حدثنا معمر عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يديه ـ وفي رواية ـ وابن رواحة آخذ بغرزه، وهو رضي الله عنه يقول:

خلُّوا بني الكفار عن سبيلِهِ قد نزل الرحمٰن في تنزيلِهِ
بأن خير القتل في سبيلِهِ يـا رب إنـي مـؤمـنٌ بـقـيـلِـهِ
نحن قتلناكم على تأويلِهِ كما قتلناكم على تنزيلِهِ
ضربًا يزيل الهامَ عنْ مقيلِهِ ويذهل الخليل عن خليلِهِ».

مداخلة: ما قصده الله يرضى عليك بقوله: . . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

تفسير المعنى من كلام الله وكلام رسوله، فالتفسير أوعى من المعنى.

مداخلة: عفا الله عنك، الجزم: اليوم نضربكم، سبب الجزم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لضرورة ضرورة الشعر، أقول: . . . .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا إسماعيل ـ يعني: ابن زكريا ـ عن عبد الله ـ يعني: ابن عثمان ـ عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما . . .

عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ لما نزل مر الظهران في عمرته، بلغ أصحابَ رسول الله ﷺ أن قريشًا تقول: ما يتباعثون من العجف».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يعني: من الضعف والعجز.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«وقال أصحابه: لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدًا حين ندخل على القوم وبنا جمامة، قال ﷺ: «**لَا تَفْعَلُوا، وَلَكِنِ اجْمَعُوا لِي من أَزْوَادِكُمَ**»[(١)]، فجمعوا له وبسطوا الأنطاع، فأكلوا حتى تركوا وحثا كل واحد منهم في جرابه، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، وقعدت قريش نحو الحجر، فاضطبع رسول الله ﷺ بردائه ثم قال: **لا يَرَى الْقَوْم فِيكُمْ غَمِيزَةً**، فاستلم الركن ثم رمل، حتى إذا تغيب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود، فقالت قريش: ما ترضون بالمشي، أما إنكم لتنقرون نقر الظباء..».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: تنقزون.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«إنكم لتنقزون نقز الظباء! ففعل ذلك ثلاثة أشواط، فكانت سُنَّة.

قال أبو الطفيل: فأخبرني ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ليرى المشركون نشاطهم وقوتهم رمل ثلاثًا ومشى أربعًا، ومشى بين الركنين، لكن في حجة الوداع: أمرهم أن يرملوا الأشواط كلها من الحجر إلى الحجر، واستقرت سُنَّة، طواف القدوم: الرمل في الثلاثة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٠٥).

الأولى من الحجر إلى الحجر، أما في عمرة القضاء: فكانوا يمشون بين الركنين؛ لأنهم يختفون عن قريش، فكانت قريش من جهة الحجر.

مداخلة: أحسن الله إليكم، عندنا ما يتباعثون من العجف، صحيح؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، من الضعف، من العجف.

مداخلة: من العجف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، المرض والضعف.

• **س: عفا الله عنك، قول القائل: باسمك لغير الله يكون بمنزلة الحلف أو بمنزلة...؟**

○ **الجواب**: يختلف؛ إن كان يستعين به.. لا ما يجوز، أما يخبر أنا دخلنا باسمه وبأمره أو بتوجيهه، فهذا لا بأس به.

• **س: شيخ أحسن الله إليك، من بدأ الطواف من الركن اليماني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

مداخلة: من بدأ الطواف من الركن اليماني؟

○ **الجواب**: لا، البدء بالحجر الأسود، الطواف بالحجر الأسود.

مداخلة: طاف جاهلًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، الزائد لاغٍ، بدؤه من اليماني لاغٍ، إنما يحسب له من الحجر الأسود.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أحمد أيضًا: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب، ولقوا منها سوءًا، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها

شرًّا، وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر، فأطلع الله تعالى نبيّه ﷺ على ما قالوا، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة؛ ليرى المشركون جَلَدهم.

قال: فرملوا ثلاثة أشواط، وأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون، ولم يمنع النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاءً عليهم، فقال المشركون: أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟! هؤلاء أجلد من كذا وكذا». أخرجاه في «الصحيحين» من حديث حماد بن زيد به.

وفي لفظ: «قدم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم صبيحة رابعة؛ يعني: من ذي القعدة، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمّى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

قال البخاري: وزاد ابن سلمة؛ يعني: حماد بن سلمة: عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما قدم النبي ﷺ لعامه الذي استأمن قال: ارملوا ليرى المشركون قوتهم، والمشركون من قبل قعيقعان».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يعني: شمال من جهة الحجر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وحدثنا محمد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبالصفا والمروة؛ ليرى المشركون قوته».

ورواه في مواضع أخر، ومسلم والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة به.

وقال أيضًا: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد أنه سمع ابن أبي أوفى يقول: لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين، ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ. انفرد به البخاري دون مسلم.

وقال البخاري أيضًا: حدثنا محمد بن رافع، حدثنا شريح بن النعمان حدثنا فليح، وحدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم، حدثنا أبي، حدثنا فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ خرج معتمرًا فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحًا عليهم، إلا سيوفًا، ولا يقيموا بها إلا ما أحبوا، فاعتمر ﷺ من العام المقبل، فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثًا أمروه أن يخرج، فخرج ﷺ». وهو في «صحيح مسلم» أيضًا.

وقال البخاري أيضًا: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: «اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا، كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر بهذا، ولو نعلم أنك رسول الله، ما منعناك..».

ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، قال ﷺ: **أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله**، ثم قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: **امحُ رسول الله**، قال رضي الله عنه: لا والله لا أمحوك أبدًا، وأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ألا يدخل مكة بالسلاح إلا بالسيف في القراب، وألا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه».

وألا يمنع من أصحابه أحدًا إن أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليًّا فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ وتبعته ابنة حمزة رضي الله عنه تنادي: يا عم، يا عم، فتناولها علي رضي الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك، فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم، فقال علي رضي الله عنه: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر رضي الله عنه: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد رضي الله عنه: ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**»، وقال لعليٍّ رضي الله عنه: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**»، وقال لجعفرٍ رضي الله عنه: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**»، وقال لزيدٍ رضي الله عنه: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا**»[(١)]، قال علي رضي الله عنه: ألا تتزوج ابنة حمزة رضي الله عنه؟ قال ﷺ: «**إنها ابنة أخي من الرضاعة**» تفرد به من هذا الوجه.

وقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾؛ أي: فعلم الله ﷻ من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إياها عامكم هذا ما لم تعلموا أنتم، ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾؛ أي: قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي ﷺ ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين.

ثم قال تبارك وتعالى مبشرًا للمؤمنين بنصرة الرسول ﷺ على عدوه وعلى سائر أهل الأرض: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالعلم النافع والعمل الصالح، فإن الشريعة تشتمل على شيئين:

علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهو المراد بقوله: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: هذا العلم، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: هذا

---

(١) أخرجه البخاري من حديث البراء رضي الله عنه في كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان برقم (٢٦٩٩).

الشرع؛ يعني: بالعلم النافع والعمل الصالح، بعثه الله بالعلم النافع والعمل الصالح، الله أكبر.

مداخلة: عفا الله عنك!... النبي ﷺ آية من آيات الله؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم، هذا من تعليم الله له، من معجزاته.

مداخلة: في ذلك المقام فقط؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

فإخباراتها حق، وإنشاءاتها عدل، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ أي: على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم، ومليين ومشركين.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾؛ أي: أنه رسوله وهو ناصره. والله سبحانه وتعالى أعلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] **إلى آخر السورة**(١).

هذه الآيات الكريمات فيها الحثُّ على الحب في الله، الحب في الله من أهم واجبات الإسلام، ومن أعظم أسباب الألفة والتعاون على الخير والتواصي بالحق، وضده من أسباب الفرقة والاختلاف، والواجب على المؤمنين أن يتحابوا في الله، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتواصوا بالحق والصبر عليه، هذا واجبهم، قال جل وعلا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. هذه

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٨٦).

الرحمة تقتضي المحبة فيما بينهم التواصي والتعاون على البر والتقوى، قال ﷻ في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، والله يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤] ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ يترتب عليه الحب في الله والبغض في الله.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١)، ويقول الله يوم القيامة: «**أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(٢). فيجب على المؤمن أن يحب في الله، ويبغض في الله، ويعادي في الله، ويوالي في الله، يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه، هكذا المؤمن أين ما كان؛ فالحب في الله من أهم واجبات الإيمان، ومن أوثق عرى الإيمان، والله ﷻ أوجب على المؤمنين أن يتحابوا فيه، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وثبت عنه ﷺ يقول الله ﷻ: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»(٣)، وهذا رواه مالك بإسناد صحيح عن النبي ﷺ.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان برقم (١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان برقم (٤٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله برقم (٢٥٦٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه (٥/ ٢٣٣ و٢٤٧).

التزاور يكون في الله، التجالس يكون في الله، المحبة تكون في الله، العطاء يكون لله هكذا المؤمن، هذه المحبة تثمر التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التساهل؛ لأن موجب المحبة أن تأمره بالخير، وأن تنهاه عن الشر، وأن تنصح له شهد أو غاب هذا موجب المحبة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: ٢٩][(١)].

يخبر تعالى عن محمد ﷺ أنه رسوله حقًّا بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنّى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ كما قال ﷻ: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وهذه صفة المؤمنين: أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار، رحيمًا برًّا بالأخيار، غضوبًا عبوسًا في وجه الكفار، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ**

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وَالْحُمَّى»[١]، وقال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ»[٢]. كلا الحديثين في «الصحيح».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الواجب على المؤمنين: أن يكونوا متحابين، متعاونين على البر والتقوى، متناصحين، بينهم الرقة والكلام الطيب، والأسلوب الحسن، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، أما مع الكفار فهم أهل شدة وغلظة حتى يسلموا، وإذا دعت الحاجة إلى عدم الغلظة لرجاء إسلام فلا بأس، يعمل ما هو الأصلح، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالمؤمن يعمل ما هو الأصلح.

مداخلة: إذا بدأ...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأقرب والله أعلم إنه لا بأس، مثل لو بدأهم بالسلام، لكن لا يبدؤهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: وصفهم بكثرة العمل، وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عَزَّ وَجَلَّ، والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٤٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، برقم (٤٨١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٥).

على فضل الله ﷻ، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول، كما قال ﷻ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقوله ﷻ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾؛ يعني: السمت الحسن».

وقال مجاهد وغير واحد: يعني: الخشوع والتواضع.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: الخشوع.

قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه، فقال: ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبًا من فرعون.

وقال السدي: الصلاة تحسن وجوههم.

وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

وقد أسنده ابن ماجه في «سننه» عن إسماعيل بن محمد الصالحي، عن ثابت بن موسى، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»**(١)، والصحيح أنه موقوف.

وقال بعضهم: إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس.

وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: «ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه».

والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى، أصلح الله ﷻ ظاهره

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل برقم (١٣٣٣).

للناس، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى: أن الله جل جلاله يُظهر عليهم البهاء والنور على أعمالهم الصالحة وتقواهم لله عز وجل: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: الانبساط والانشراح، ونور الوجه، وطيب الكلام، كل ذلك من آثار أعمالهم الصالحة.

مداخلة: لكن عفا الله عنك ما يظهر فيهم، الوجه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قد يقع هذا عند بعض الناس، قد يقع هذا.. وقد يكون عنده أعمال أخرى تخالف ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

... نعم، صلِّحها الطلحي، الطلحي نسبة إلى طلحة بن عبيد الله، نعم.. صوابه الطلحي في الحاشية.

مداخلة: قوله ـ أحسن الله إليك ـ: ربما كان هذا بين عيني من هو أقسى قلبًا من فرعون؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: يكون أثر السجود قد يكون من إنسان ليس بمستقيم، قد يكون عنده عبادة ولكن عنده أعمالًا أخرى تخالف ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمود بن محمد المروزي، حدثنا حامد بن آدم المروزي، حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عبيد الله العرزمي عن سلمة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ما أسرَّ أحد سريرة إلا ألبسه الله تعالى رداءها إن**

خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر»[١]، العرزمي متروك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم؛ لأنه ضعيف جدًّا، مثلما قال المؤلف، وإنما هو محفوظ من كلام عثمان: من أسرَّ سريرة ألبسه الله رداءها، ويروى عن عمر أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مداخلة: . . . بتقديم الزاي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، العرزمي بالراء ثم الزاي، محمد بن عبيد الله العرزمي، ضعيف، مثلما قال المؤلف: متروك، أما عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ثقة، ومن رجال مسلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا كُوَّةٌ لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ**»[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زهير، حدثنا قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالِاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[٣]، ورواه أبو داود عن عبد الله بن محمد النفيلي عن زهير به.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٧١) وسنده ضعيف جدًّا، فإن العرزمي متروك، وحامد بن آدم كذاب (لسان الميزان ٤/ ١٦٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الأدب، باب في الوقار برقم (٤٧٧٦)، والإمام أحمد (١/ ٢٩٦).

فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم، وحسنت أعمالهم، وكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

اللَّهُمَّ ارض عنهم، اللَّهُمَّ ارض عنهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا.

وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وأفضلهم أصحاب النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد نوَّه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه وتعالى هاهنا: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾؛ أي: فراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾؛ أي: شده ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾؛ أي: شب وطال ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾؛ أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمة الله عليه - في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك.

والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرض لهم بمساويهم كثيرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يبغضهم إلا كافر، من أبغض الصحابة فلا شك أنه مريض القلب ميت القلب، نسأل الله العافية، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق كافر، نسأل الله العافية، هم حملة الشرع، وهم أولياء الله، وهم خير هذه الأمة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأحاديث في فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والنهي عن التعرض لهم بمساويهم كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ من هذه: لبيان الجنس، ﴿مَّغْفِرَةً﴾؛ أي: لذنوبهم، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ أي: ثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا، ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل.

قال مسلم في «صحيحه»: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»**(١).

آخر تفسير سورة الفتح، ولله الحمد والمنة، والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا برقم (٣٦٧٣)، ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة برقم (٢٥٤٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويقول ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(١)]، وفي اللفظ الآخر: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[(٢)] هذا فضل عظيم، رضي الله عنهم وأرضاهم، نسأل الله العافية.

*



---

(١) متفق عليه من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ برقم (٣٦٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٥).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم (٢٦٥٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٣).

تفسير آيات من سورة الحجرات

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ **[الحجرات: ١ ـ ١٠]**(١).

في هذه السورة العظيمة فوائد وأحكام جليلة، المسلمون في أشد

(١) انظر: كتاب «الفوائد العلمية من الدروس البازية»، فوائد من التفسير باعتناء الشيخ عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٣٩٠).

الحاجة إلى تفهمها وتعقلها والاستفادة منها، ففي أولها: التحذير من التقدم على الله ورسوله، وأن الواجب على أهل الإيمان أن يكونوا متَّبعين لا مبتدعين ولا متقدمين على الله ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، قال أهل العلم في ذلك: لا تقولوا حتى يأمر الله ورسوله، ولا تفعلوا حتى يفعل الرسول - عليه الصلاة والسلام - ويشرع؛ فلا تتقدموا عليه بقول ولا بفعل، وكونوا متَّبعين لما يرسمه لكم وما يوضحه لكم من التشريع، وهكذا يكون أهل الإيمان لا يخترعون من عند أنفسهم عبادات وأحكامًا لا أساس لها في شريعة الله، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم ﷻ لا تخفى عليه خافية، يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم؛ فيعلم ما قالوا بالحق وغيره، ويعلم ما فعلوا وقالوا بالحق وغيره، فالمعنى: راقبوه سبحانه واحذروه؛ فإنه لا تخفى عليه خافية، ويسمع ويعلم بأحوالكم؛ فيجب عليكم أن تكونوا متَّبعين لا مبتدعين في شريعة الله ﷻ.

ثم يبيِّن سبحانه وتعالى أن الواجب عليهم التأدب معه - عليه الصلاة والسلام - وألا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، ولا يجهروا كجهر بعضهم لبعض؛ بل يتأدبوا معه ويكونوا خافضي الصوت، يخاطبونه مخاطبة الإجلال والاحترام والتعظيم، لا مخاطبة النِّد بالند أو فوق ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ لئلا تحبط أعمالكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، فرفع الصوت والجهر له بالقول كجهر بعضنا لبعض، قد يترتب عليه ما لا تُحمد عقباه من حبوط العمل، والإنسان لا يشعر بذلك، وذلك يدل على وجوب التأدب معه - عليه الصلاة والسلام - على حضوره ووجوده ومخاطبته، ويؤخذ من ذلك: التأدب مع السُّنَّة بعد وفاته ﷺ وفي حياته أيضًا ويكون الإنسان تابعًا لها

لا متقدمًا عليها، ولا يجوز له أن يُحكم آراءه، ويُحكم اجتهاداته المخالفة لشرع الله اعتقادًا منه أن ذلك أولى وأحق مما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ فيحبط عملُه ويضل عن الدين، ويخرج عن دائرة الإسلام بأسباب ما أحدثه من الردة، ـ نسأل الله السلامة ـ.

ثم يبيِّن سوءَ أدب من نادى الرسول من وراء الحُجرات، وكان ذلك من بعض جُفاة الأعراب، كانوا ينادونه: يا محمد، يا محمد، فبيَّن الله لهم أن هذا خلاف الذي ينبغي منهم؛ بل ينبغي الصبر حتى يخرج إليهم ﷺ؛ ولهذا قال: ﴿...أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

بيَّن ﷻ أن الواجب على الرعية وعلى الأمة التأدب معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأن يصبروا، وألا يُخرجوه ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ بل ينبغي الصبر حتى يخرج إليهم؛ لأن خروجه معروف وعاداتهم معروفة في هذا، فعلى ذوي الحاجة الصبر من غير سوء أدب؛ بل يصبر ويحتسب ويبقى، أو يذهب ويرجع حتى يأخذ حاجته، أما أن يؤذيه بكلام فلا يجوز، والنبي ﷺ في حجرته، وقد يكون مشغولًا، وقد يكون مستريحًا، إلى غير ذلك، فلا يليق من المؤمن مثل هذا الفعل، ولهذا وصف أكثرهم بأنهم لا يعقلون؛ لأن الغالب على جفاة الأعراب وعلى سكان البادية عدم التبصر بهذه الأمور وعدم النظر لها، بل من عاداتهم التكلف وإلقاء الأمور على غير حكمه ونظر؛ بسبب قلة العلم وقلة البصيرة.

ثم يبيِّن ﷻ أن الواجب عدم أخذ أقوال الناس دون النظر ودون التثبت، ولا سيما إذا جاء خبر من طريق الفُساق؛ فإن الفاسق لا يُؤْمَن، فإذا كان فاسقًا فِسقًا أصغر لا يُؤمَن أنه سَلِم من أن يُفتن بفسق أكبر، والمقصود: أن من عُرف بفسقٍ فالواجب التثبت من خبره، والمجهول كذلك؛ لأنه قد يكون فاسقًا وأنت لا تشعر، ومن هذا أخذ أئمة الحديث

الجرح بالجهل، وأن المجهول من الرواة مجروح لا تقوم به الحجة؛ لأنه قد يكون فاسقًا، فهذا لا يُصدق خبره حتى تثبت عدالته، فقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾؛ يعني: فتثبتوا، فالتثبت النظر في الأمر والعناية حتى يظهر ما يدل على صدقه أو كذبه، ولا يقال: يُردُّ خبره؛ لأن الفاسق قد يصدق وقد يكون خبره صحيحًا، فلا تعجلوا في قبوله ولا في رده؛ بل تثبتوا حتى توجد دلائل تدل على صدق هذا الخبر أو على كذبه، فإن قامت الدلائل على صدقه أُخذ به، وإن قامت الدلائل على كذبه رُدَّ على قائله.

وكذلك خبر الكافر، فإن وُجدت دلائل تدل على صدقه أُخذ بخبره بالدلائل على صدقه، لا أنها من رواية الكافر والفاسق والمجهول.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ فلو أن الشريعة جاءت بأهواء الناس لأصابهم العَنَتُ والمشقة والبلاء ما لا يحصيه إلا الله ﷻ، ولكنه سبحانه هو أحكم وأعلم، فهو يشرَعُ لنبيِّه ﷺ ما هو خير للمسلمين وما هو خير للعباد والمصلحة، وإن خالف بعض أهوائهم، وكما قال ﷻ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧١]؛ فالحق ليس بأهواء الناس، فقد يوافق الحقُّ هوى زيدٍ، ولكنه يخالف هوى عمرو، والله أعلم بما فيه صلاح العباد، وأعلم ﷻ بما هو فيه نجاتهم؛ فلهذا جاءت الشريعة بأشياء قد تخالف هوى بعض الناس، فلا عبرة بأهواء الناس، وإنما العبرة بما شرعه الله ورسوله، والرسول مبلِّغ عن الله ﷻ وهو المعلِّم، ولو أن الرسول ﷺ تابع أهواءهم لعَنَتوا ووقعوا في الحرج والمشقة؛ لأنهم قد يقولون أشياء تضرهم ولا تنفعهم، ولكنهم لا يعقلونها؛ بل سارعوا إليها لأول وهلة، بسبب اتباع أهوائهم، فلو أن الشرع وافقهم في ذلك وجاء بأهوائهم لحرجوا ووقعوا في مضار كثيرة ومهالك لم يعقلوها ولم يفهموها أولًا.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ وهذا من فضله ﷻ على الصحابة وعلى كل من تابع الصحابة ودخل في دين الله؛ فالله تفضَّل عليه بأن حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، فهذا من فضله وجوده وكرمه ﷻ، فعلى من رُزق ذلك أن يحمد الله ويشكره ويستقيم على الأمر ويحافظ عليه، ويسأل ربه الثبات عليه، وقد حكم الله هؤلاء أنهم الراشدون، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ فمن رزق هذا الأمر حبب الله اليه الايمان وزينه في قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان، فهو الراشد بالمعنى الكامل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ حصريًا، كأنه قال: هم الراشدون لا غيرهم، والمقصود: أن هذا يدل على أن فضل الله على العبد بأن يحبِّب إليه الايمان ويزينّه في قلبه ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، فهذا من النعم العظيمة؛ ولهذا قال: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾.

فجدير بالعبد الموفق لهذا الخير أن يشكر الله كثيرًا، وأن يحمده كثيرًا بقلبه، وأن يلزم هذا الشيء ويحافظ عليه، ويسأل ربه الثبات عليه حتى يلقاه ﷻ.

ثم يبيِّن الله سبحانه وتعالى أنه عليم حكيم، وأن ما يرزقه لعباده ويمنُّ بها عليهم عن علم وعن حكمة، لا عن مصادفة أو عن جهل، فهو سبحانه العليم الحكيم بما شرعه لعباده، وبهدايته لبعض الناس وإضلاله لآخرين، ومن توفيقه لبعض الناس العلم وعدم توفيقه للآخر إلى غير ذلك، فهو الحفيظ العليم بأقواله وأفعاله وبشرعه وقدره سبحانه وتعالى.

ثم يبيِّن ﷻ ما قد يقع من بعض الطوائف من القتال والفتنة والانقسام والمشاقة، ويبيِّن الواجب على المؤمنين أن مثل هذه الفتنة متى وقعت فالواجب عليهم أن يكونوا في صف من بُغي عليه لا في صف الباغي، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ

بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾، وهذا يبيِّن لنا أن من الواجب الإصلاح أولًا بين المتقاتلين والمتنازعين؛ فإن لم يتيسر الصلح وأبت إحدى الطائفتين وبَغَتْ، وجب أن تقاتل الفئة الباغية، وأن يكون المؤمنون الآخرون في صف الذي بُغِيَ عليه؛ حتى تزول هذه الفتنة، وحتى يقضى عليها.

ثم يُبيِّن سبحانه أنهم مؤمنون مع هذا الإنقسام ومع هذا التقاتل، وفي هذا حجة ظاهرة لأهل السُّنَّة والجماعة؛ لأن المعصية لا يكفر بها المؤمن ولو كان قاتلًا، وهو معه أصل الإيمان، وإن كانت المعصية تضعف الإيمان وتلحقه بالفساق إن لم يكن له تأويل؛ لكنا لا نخرجه من دائرة الإسلام، وقد خاطبهم الله أنهم مؤمنون فقال: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ فدَّل ذلك على أن الإيمان موجود، والأُخُوَّة موجودة مع هذا القتال؛ لأن القتال متأوَّل، ولأنه قتال لا يخرج صاحبه عن دائرة الإسلام إذا لم يستحله، فهذا تأويل كما عُلم بذلك أن الإنسان قد يَقتل وقد يُقتل وهو في دائرة الإسلام وفي دائرة الإيمان، لا يخرج عنهما؛ لأن ذلك قتل الذي وقع منه ومقدماته لم يحصل الاستحلال فيما حرّم الله وعاقلته مبرّأة من أمر الله؛ ولكنه عن تأويل وعن نظر فيما دعاه إلى ذلك؛ فقد يخطئ وقد يصيب، فهما موصوفان بالإيمان والإسلام مع ما وقع منهما من الفتنة والقتال، ومع وجوب قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله ومع الأخوة أخوة الإيمان؛ فالمعاصي تضعف الإيمان وتنقصه إذا كانت عن غير تأويل، وصاحبها على خطر إن لم يغفِر له الله سبحانه وتعالى.

ثم إن القتال ونحوه إذا وقع عن جهاد وعن قصد للحق وعن تأويل؛ فصاحبه بين أمرين:

إما أن يكون مصيبًا فله أجران.

وإما يكون مخطئًا فله أجر؛ كما وقع بين أهل الشام وأهل العراق، وما أشبه ذلك بين علي وأصحابه وبين معاوية وأصحابه، فكلاهما مجتهد، وكلاهما طالب للحق؛ لكن أحدهما أقرب إلى الحق من الآخر وأصوب؛ فيكون له أجران والآخر له أجر واحد من أجل اجتهاده، وخطؤه مغفور، إن شاء الله.

وهكذا ما يقع من المؤمنين من هذا الجنس بالتأويل والاجتهاد؛ فإن صاحبهما بين أمرين:

إما مجتهد مصيب فله أجران.

وإما مجتهد مخطئ فله أجر واحد.

وفي هذا رَدٌّ على المعتزلة والقدَرية النُّفاة، وعلى الخوارج أيضًا القائلين بأن المعصية يكفر بها المؤمن أو يخرج بها من دائرة الإسلام، ويقولون بالمنزلة بين المنزلتين. كل هذا من أبطل الباطل عند أهل السُّنَّة والجماعة؛ بل صاحبها لا يخرج من دائرة الإسلام ما دام يؤمن بالله واليوم الآخر، وما دام لم يستحلَّ ما حرَّمه الله ﷻ، وإنما تأول بذلك أو فعل ذلك عن هوى ورغبة في حظه العاجل، مع علمه بأنه ما حرم ذلك الشيء، وهذا الحُكم جاءت به النصوص من الكتاب والسُّنَّة، وكما ترى في الأخبار عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أن الله يُخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، سواء كان زنى أو قتل أو سرق أو غير ذلك، فهذه المعاصي تُضعف إيمانه وتُنقصه، وتُعرضه لغضب الله وعذابه؛ ولكن لا تخرجه من الإسلام ما دام لم يستحلها وغلب عليه الهوى والشيطان ـ نسأل الله العافية والسلامة ـ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: ١ ـ ٣][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة الحجرات:

[بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذه هي آيات أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾؛ أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه ـ أي: قبله ـ بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي، حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «**بِمَ تحكم؟** قال: بكتاب الله تعالى. قال ﷺ: **فإن لم تجد؟** قال: بسُنَّة رسول الله ﷺ. قال ﷺ: **فإن لم تجد؟** قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أجتهد رأيي. فضرب في صدره وقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ»، وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه[(٢)]، فالغرض منه أنه أخّر رأيه ونظره واجتهاده

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في جامع الإمام تركي ابن عبد الله بالرياض، بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب القضاء، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم (٣٥٩٢)، والترمذي في كتاب الأحكام عن =

إلى ما بعد الكتاب والسُّنَّة، ولو قدَّمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو الواجب، الواجب أن تكون الآراء بعد الكتاب والسُّنَّة، إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، فإذا وجد النص من القرآن حكم به، وإذا ما وجد نص من القرآن حكم بالسُّنَّة وأفتى بها، فإن لم يجد اجتهد رأيه ونظر في الأدلة حتى يطمئن إلى الحكم الشرعي.

مداخلة: حديث معاذ الذين ضعفوا هذا الحديث متنًا وسندًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، هذا صحيح، ابن القيم رحمه الله بسط الكلام في سنده وبيَّن طرقه وصحته.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لا تقولوا خلاف الكتاب والسُّنَّة».

وقال عطية العوفي عنه: «نُهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه».

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه.

وقال الضحاك: لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله من شرائع دينكم.

وقال سفيان الثوري: لا تقدموا بين يدي الله ورسوله بقول ولا فعل.

وقال الحسن البصري: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال: لا تدعوا قبل الإمام.

وقال قتادة: ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا وكذا ـ لو صحَّ كذا ـ فكره الله تعالى ذلك، وتقدم فيه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

= رسول الله ﷺ، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، برقم (١٣٢٧)، والإمام أحمد (٥/ ٢٣٠ و٢٣٦ و٢٤٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والآية عامة، الواجب على الأمة اتباع الرسول ﷺ، وأن لا يتقدموا بين يديه؛ بل عليهم أن يلزموا الشرع ويستقيموا عليه، هذا هو الواجب على الأمة، فالله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ٢٠]؛ فالواجب اتباع الرسول ﷺ والاستقامة على دينه وعدم الافتيات، فإذا لم توجد سُنَّة ولا كتاب هذا محل الاجتهاد للعلماء، محل الاجتهاد والنظر حتى توجد الأدلة.

مداخلة: أحسن الله إليك! قال ابن القيم عن هذا الحديث: شهرته تغني عن سنده، فهل هذا الكلام يصح؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، ما يكفي، الشهرة ما تكفي.

مداخلة: ويقول عن حديث معاذ في «إعلام الموقعين»: شهرته تغني عن سنده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، لا ما يكفي الشهرة، لكنه بعد جمع طرقه يشد بعضها بعضًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾؛ أي: فيما أمركم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: لأقوالكم، عليم بنياتكم.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾: هذا أدب ثانٍ أدّب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين: أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال البخاري: حدثنا يسرة بن صفوان اللخمي، حدّثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - رفعا أصواتهما عند النّبيّ ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميمٍ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابسٍ أخي بني مجاشعٍ، وأشار الآخر برجلٍ آخر قال نافعٌ: لا أحفظ اسمه، فقال أبو

بكرٍ لعمر ما أردت إلّا خلافي. قال: ما أردت خلافك. فارتفعت أصواتهما فى ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. قال ابن الزبير رضي الله عنهما: «فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه». ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني: أبا بكر رضي الله عنه، انفرد به دون مسلم.

ثم قال البخاري: حدثنا حسن بن محمد، حدثنا حجاج عن ابن جريج، حدثني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أخبره: «أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر رضي الله عنه: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكرٍ: ما أردت إلّا خلافي. قال عمر: ما أردت خلافك. فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك، فنزلت في ذلك: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حتّى انقضت الآية»[1].

مداخلة: . . . سلَّمك الله يا شيخ من تكلم عند قراءة حديث النبي ﷺ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم ينبغي تعظيم السُّنَّة عند سماع الأحاديث أن تخفض الأصوات، هذا من تعظيم السُّنَّة.

مداخلة: ولكن يدخل في ذلك إذا تكلم. . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا ينبغي. . لا ينبغي رفع الأصوات بالكلام عند السُّنَّة؛ بل ينبغي الاستماع والإنصات.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في كتاب المغازي، باب برقم (٤٣٦٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية [الحجرات: ٥]. وهكذا رواه هاهنا منفردًا به أيضًا، وقال الحافظ أبو بكر البزار، في مسنده: حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا حصين بن عمر، عن مخارق، عن طارق بن شهاب عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ قلت: يا رسول الله! والله لا أكلمك ألا كأخي السرار»[(١)]. حصين بن عمر هذا وإن كان ضعيفًا لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمٰن بن عوف وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحو ذلك، والله أعلم.

وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا أزهر بن سعد، أخبرنا ابن عون، أنبأني موسى بن أنس عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيسٍ، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكّسًا رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النّبيّ ﷺ فقد حبط عمله، وهو من أهل النّار. فأتى الرّجل فأخبره أنّه قال كذا وكذا. فقال موسى بن أنسٍ فرجع المرّة الآخرة ببشارةٍ عظيمةٍ، فقال: «**اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» تفرَّد به البخاري من هذا الوجه[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة (٨/ ١٤٥)، والحاكم في المستدرك في تفسير سورة الحجرات ج٥ برقم (٣٧٦٢) ط دار الميمات.

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم (١١٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان يخطب بين يدي النبي ﷺ وينافح ويرد على من تكلم بما لا يناسب من الشعراء... وكان خطيب النبي ﷺ، بيَّن له النبي ﷺ أنه لا يدخل في هذا، وأنه من أهل الجنة، وهذا ممن شهد له الرسول ﷺ بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ، أنا من أهل النار حبط عملي، وجلس في أهله حزينًا، ففقده رسول الله ﷺ فانطلق بعض القوم إليه، فقالوا له: تفقدك رسول الله ﷺ ما لك؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال، فقال النبي ﷺ: «**لَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان خطيب النبي ﷺ ينافح عنه ويرد عنه، اللَّهُمَّ صلِّ عليه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعودون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، وقال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة،

حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى آخر الآية، جلس ثابت رضي الله عنه في بيته، قال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ لسعد بن معاذ: **يا أبا عمرو! ما شأن ثابت اشتكى؟** فقال سعد رضي الله عنه: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد رضي الله عنه فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت رضي الله عنه: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد رضي الله عنه للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«لَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»** ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمي عن حيان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به، قال: ولم يذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه، وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه بنحوه، وقال: ليس فيه ذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه، حدثني هدبة بن عبد الأعلى الأسدي، حدثنا المعتمر بن سليمان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: بالموحدة حبان بن هلال.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

كذا عندكم هدبة عندكم بالباء أو بالياء؟

(الشيخ): كذا عندكم؟

مداخلة: عندنا هريم بن عبد الأعلى.

مداخلة: . . . هيثم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم هذا في مسلم، يراجع مسلم، حط عليه إشارة حط على هدبة في نسخة هيثم، هيثم أم ماذا عندكم؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا المعتمر بن سليمان، سمعت أبي يذكر عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية.

فاقتص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزاد: فكنّا نراه يمشي بين أظهرنا رجلٌ من أهل الجنّة». فهذه الطرق الثلاث معلّلة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والصحيح: أن حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موجودًا؛ لأنه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل.

سنة خمس وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم، والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة، والله أعلم

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يوم الأحزاب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قف على: وقال ابن جرير؛ اللَّهُمَّ صلِّ على محمد.

● **س: فعله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يؤخذ منه اتهام النفس واحتقارها وجواز ذلك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينبغي للمؤمن أن يتهم نفسه ويحتقرها حتى يشمر عن ساعد الجد، حتى يعمل لا يرفع نفسه ويزكيها؛ بل ينبغي له أن يحتقرها، حتى يشمر، حتى يجتهد في الخير.

مداخلة: يعني: فعله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يؤخذ منه هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: خاف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس، حدثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما نزلت هذه

الآية: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ قال: قعد ثابت بن قيس رضي الله عنه في الطريق يبكي، قال: فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيَّ وأنا صيِّت رفيع الصوت. قال: فمضى عاصم بن عدي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، قال: وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أُبي بن سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرشي فشدي علي الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه، وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى أو يرضى عني رسول الله ﷺ، قال: وأتى عاصم رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأخبره خبره، فقال: **اذهب فادعه لي**. فجاء عاصم رضي الله عنه إلى المكان فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرش، فقال له: إن رسول ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضبة، قال: فخرجا فأتيا النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: **ما يبكيك يا ثابت؟** فقال رضي الله عنه: أنا صيِّت وأتخوَّف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾، فقال له النبي ﷺ: **أما ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة؟**[1] فقال: رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا أرفع صوتي أبدًا على صوت رسول الله ﷺ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: رضي الله عنه، قُتِل شهيدًا يوم اليمامة رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ الآية، وقد ذكر هذه القصة غير

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٣/ ٤٤٥) رواية محمد بن الحسن برقم (٩٤٥) وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٣٩).

واحد من التابعين، كذلك فقد نهى الله ﷻ عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ.

وقد رُوينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا». وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لأنه محترم حيًّا وفي قبره ﷺ دائمًا، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة ممن عداه؛ بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ [النور: ٦٣].

وقوله ﷻ: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: إنما نهيناكم عند رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في «الصحيح»: **«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»**(١)، ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ﴾؛ أي: أخلصها لها وجعلها أهلًا ومحلًّا، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٨)، وأخرجه مسلم مختصرًا قي كتاب الزهد والرقاق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، برقم (٢٩٨٨).

وقد قال الإمام أحمد في كتاب الزهد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: كُتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر رضي الله عنه: «إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾.

* *

□ تفسير قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢][1].

الآية واضحة، الله سبحانه ينهى الصحابة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، وينهاهم أن يجهروا له بالقول كمثل بعضهم لبعض، يأمرهم أن يتأدبوا بالآداب الشرعية، ويخفضوا أصواتهم عند صوته، إذا خاطبوه لا يرفعون أصواتهم، بل يخفضونها، وهكذا لا يجهرون عنده بالقول في حديثهم، بل يُسِّرون ويخافتون تأدبًا معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكان عمر رضي الله عنه إذا كلَّمه، فكأنه يسارّه.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [الحجرات: ٢][2].

﴿تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [٢]: تعلمون ومنه الشّاعر.

*

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٩٣).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

حدّثنا يسرة بن صفوان بن جميلٍ اللّخميّ، حدّثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيّران أن يهلكا: أبا بكرٍ، وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النّبيّ ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميمٍ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابسٍ أخي بني مجاشعٍ، وأشار الآخر برجلٍ آخر، قال نافعٌ: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكرٍ لعمر: ما أردت إلّا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ الآية، قال ابن الزّبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتّى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه؛ يعني: أبا بكرٍ[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا فيه الأدب العظيم؛ فإنّهم ما أرادوا إلّا خيرًا فيما حصل، فإن الصّدّيق رضي الله عنه أراد شخصًا، وأراد عمر رضي الله عنه شخصًا، من باب الاجتهاد والمشورة على النّبيّ ﷺ في تأميره، فعند ترادّ الكلام ارتفع الصّوت؛ فأنزل الله الآية؛ ليتأدّب المؤمنون، وليعرفوا مقام من يخاطبون.

واستنبط بعض أهل العلم من هذا: التّأدّب عند السّنّة، وعدم رفع الأصوات عندها؛ لأنّ التّأدّب عندها تأدبٌ عند صاحبها، ولأنّ رفع الأصوات عندها قد يضيّع المعنى، وقد يمنع بعض النّاس من الفهم.

فالتّأدّب عندها، والإصغاء، وإحضار القلوب للفهم هو من هذا المعنى الّذي أشار إليه تبارك وتعالى بقوله: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ [الحجرات: ٢]. الله المستعان.

ظاهر هذا أنّه اجتهادٌ منهم رضي الله عنهم، الصّدّيق وعمر رضي الله عنهما كلّهم تكلّموا،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ برقم (٤٨٤٥).

ما فيه ذكرٌ أنّه استشارهم، ظاهره أنّهم تقدّموا، ولهذا نزل: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾، ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟﴾؛ لأنّهم تقدّموا بهذا الشّيء، ولم يصبروا حتى يستشيرهم، من حرصهم على الخير والنّصح لله ولعباده رضي الله عنهم.

● **س: الحديث الأول ـ عفا الله عنك ـ محفوظٌ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أورده هنا عنه ابن أبي مليكة؟.**

(**الشّيخ**): أيّ خبرٍ؟

(**الطالب**): **كاد الخيّران أن يهلكا؟**

هذا مرسلٌ يعني، فيه انقطاعٌ.

(**قارئ العينيّ**): أحسن الله إليك: نافع بن عمر أحسن الله إليك.

(**الشّيخ**): لا، خطأ، عن نافعٍ عن ابن عمر، نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما.

(**الطالب**): قال هنا: نافع بن عمر الجمحيّ ـ أحسن الله إليك ـ عن ابن أبي مليكة.

(**الشيخ**): هذا، يمكن، ماذا عندك، السّند الّذي قبله؟

(**القارئ**): حدّثنا يسرة بن صفوان بن جميلٍ اللخميّ، قال: حدّثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة.

(**الشّيخ**): هذا نافع بن عمر الجمحي، هذا الجمحي ماذا بعده؟ أين نافع عن ابن عمر؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٥٩٠)]: «قوله: **فأشار أحدهما**: هو عمر بيّنه ابن جريجٍ في الرّواية الّتي في الباب بعده، ووقع عند التّرمذيّ من رواية مؤمّل بن إسماعيل عن نافع بن عمر». [انتهى كلامه].

(**الشّيخ**): نافع بن عمر يعني الجمحي هذا، المتقدّم نعم، نافع بن عمر الجمحيّ مستقيمٌ، الّذي عنده ابن عمر مستقيمٌ.

• **س: أحسن الله إليك: وقد أخرج أحمد عن وكيع عن نافعٍ عن ابن عمر لفظ: «أن يهلكا»[(١)]، ورواية ابن عمر رضي الله عنهما عند أحمد؟**

(الشّيخ): هذا في الشّرح؟

(الطالب): نعم.

محلّ نظرٍ، يحتمل إن كان وكيعٌ سمع من نافعٍ مولى ابن عمر رضي الله عنهما، وإلّا يكون نافع بن عمر الجمحيّ يعني.

(الطّالب): يقول: وكيعٌ عن نافعٍ عن ابن عمر رضي الله عنهما؟

لا، الظّاهر أنّه نافع بن عمر يعني الجمحيّ؛ لأنّ وكيعًا ما أظنّه سمع من نافعٍ مولى ابن عمر رضي الله عنهما. الّذي في الرّواية نافع بن عمر الجمحيّ. راجع نافعًا مولى ابن عمر رضي الله عنهما وفاته من «التّقريب».

[قال الحافظ رحمه الله في «التّقريب» (٧٠٨٠)]: «نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحي المكي ثقة ثبت من كبار السابعة مات سنة تسع وستين ع». [انتهى كلامه].

(الشّيخ): راجع نافعًا مولى ابن عمر، الظّاهر بعده.

[قال الحافظ رحمه الله في «التّقريب» (٧٠٨٦)]: «نافع أبو عبد الله المدني مولى ابن عمر، ثقة ثبت فقيه مشهور من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك، ع». [انتهى كلامه].

[قال الحافظ رحمه الله في «الخلاصة» (١/ ٤٠٠)]: «(ع) نافع العدوي مولاهم، أبو عبد الله المدني أحد الأعلام، عن: مولاه ابن عمر، وأبي لبابة، وأبي هريرة، وعائشة، وخلق. وعنه: ابناه أبو بكر وعمرو، وأيوب، وابن جريج، ومالك، وخلائق. قال البخاريّ: أصحّ الأسانيد: مالكٌ عن نافع عن ابن عمر. قال حمّاد بن زيد: مات سنة عشرين ومائة». [انتهى كلامه].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية برقم (٤٨٤٥).

(**الشّيخ**): راجع وكيع بن الجرّاح.

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٧٤١٤)]: «وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ـ بضم الراء وهمزة، ثم مهملة ـ أبو سفيان الكوفيّ، ثقةٌ حافظٌ عابدٌ من كبار التّاسعة، مات في آخر سنة ستٍّ، وأول سنة سبعٍ وتسعين، وله سبعون سنة ع». [انتهى كلامه].

(**الشّيخ**): المقصود أنّه ما أدرك نافعًا مولى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يصير وكيعًا عن نافعٍ يعني: ابن عمر الجمحيّ، الّذي عندك نافع بن عمر، ما هو عن ابن عمر، وكيعٌ عن نافع بن عمر.

(**الطّالب**): في الشرح نبّه ابن حجرٍ العسقلاني (٨/ ٥٩٠)، قال: «ونافع بن عمر هو الجمحي المكي وليس هو نافع مولى ابن عمر».

(**الشّيخ**): إيه هذا هو، طيب، رَحِمَهُ اللَّهُ.

*

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا أزهر بن سعدٍ، أخبرنا ابن عونٍ قال: أنبأني موسى بن أنسٍ، عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنّ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افتقد ثابت بن قيسٍ، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته، منكّسًا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد حبط عمله، وهو من أهل النّار، فأتى الرّجل النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره أنّه قال كذا وكذا، فقال موسى، فرجع إليه المرّة الآخرة ببشارةٍ عظيمةٍ، فقال: «**اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[1].

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ برقم (٤٨٤٦)، مسلم في كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله برقم (١١٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما ذاك إلّا أنّ ثابتًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يخطب بين يديّ النّبيّ ﷺ؛ لتذكير الحاضرين، والتّنبيه على ما قد يجب؛ فخاف أن يكون داخلًا في قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]، وحزن على هذا، حتّى بشّره النّبيّ ﷺ بأنّه ليس داخلًا في هذا.

والمقصود: أن الواجب على المسلمين عنده ﷺ أن يغضّوا أصواتهم ولا يرفعوها فوق صوته؛ تأدّبًا واحترامًا، وألا يتقدّموا عليه في تحليلٍ أو تحريمٍ، فما أحلّ الله ورسوله هو الحلال، وما حرّم الله ورسوله فهو الحرام.

ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النّساء: ٥٩]، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١٠].

هذا هو الواجب على المسلمين، أن يردّوا ما تنازعوا فيه وما اختلفوا فيه إلى حكم الله ورسوله ﷺ.

قوله ﷺ: «**إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّار، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْل الجَنَّة**»: اللهمّ ارض عنه، وهذا من الجماعة الّذين شهد لهم النّبيّ ﷺ بالجنّة، وهو ثابت بن قيسٍ رضي الله عنه وأرضاه، كالعشرة، وكعبد الله بن سلامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعةٍ. اللهمّ ارض عنه.

وكان خطيب النّبيّ ﷺ، ومعلومٌ أنّ الخطيب يرفع صوته حتّى يفهّم النّاس، وحتى يسمع النّاس مراده؛ فخاف أن يكون دخل في هذه الآية. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **س: ما كان يفعل إلّا في الخطبة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الظّاهر، أنّه يعني حين يخطب بحضرة الوفود. الله أكبر.

• س: الحديث الأول ـ عفا الله عنك ـ محفوظٌ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أورده هنا عنه ابن أبي مليكة؟.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أيّ خبرٍ؟

(من الطالب): «**كاد الخيّران أن يهلكا**»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا مرسلٌ يعني، فيه انقطاعٌ.

• س: هل الحكم هذا باقٍ عند قبر النّبيّ ﷺ، لا ترفع الأصوات عند قبره عليه الصّلاة والسّلام؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا ليس بأصواتٍ، عند قبره تأدّبًا، مثل ما أمر عمر رضي الله عنه وحذّر النّاس، تأدّبًا.

• س: أحسن الله إليك، هل يقول الإنسان إذا نزلت به مصيبةٌ سئل عن حاله قال: في شرٍّ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ينبغي ألا يقول هذا الكلام، ينبغي أن يقول: نحن في خيرٍ وعافيةٍ، ونرجو من الله خيرًا، مثل ما في قصّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، لما جاء إبراهيم عليه السلام إلى زوجة إسماعيل وسألها عن حالها قالت: نحن في شرٍّ وضيقٍ، قال: إذا جاء إسماعيل، فأخبريه يغيّر عتبة بابه؛ فلمّا جاء في الرّحلة الثّانية وقد تزوّج وسألها قالت: نحن في خيرٍ ونعمةٍ؛ قال: قولي لإسماعيل: يثبت عتبة بابه.

المقصود: أنّه ينبغي للإنسان أن يتفاءل بالخير، وأن يقول الخير، وإذا كان هناك حاجةٌ يفصّل. إذا كان هناك حاجةٌ لوليّ الأمر، لإنسانٍ يعطيه الزّكاة، إنسان يساعده، يفصّل تفصيلًا هو فيه صادقٌ.

• س: أحسن الله إليك، وهل يستدلّ من هذا على الإمساك وعدم المقاطعة عند سماع حديث النّبيّ ﷺ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذلك؛ تأدّبًا مع حديث الرّسول ﷺ حقّ، مع حديث الرّسول ﷺ.

(من السّائل): ثابتٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سئل قال: شر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا عندك؟

(مِنَ السَّائِلِ): نعم: (فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ؛ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)[١]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني اتّهم نفسه ظنًّا منه أنّ هذا هو الواقع، على حسب ظنّه؛ لشدّة الخوف والوجل.

● **س: أو لأنّ هذا يتعلّق بالدين يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هو ظنّ هذا بنفسه، وخاف أنّه حبط عمله؛ لشدّة خوفه قال هذا الكلام.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [**الحجرات: ٤ ـ ٥**][٢].

ثم إنه تبارك وتعالى ذمَّ الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه، كما يصنع أجلاف الأعراب فقال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن برقم (١١٩).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

يَعۡقِلُونَ﴾، ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك، فقال ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾؛ أي: لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة، ثم قال جلَّ ثناؤه داعيًا لهم إلى التوبة والإنابة: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وقد ذُكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه: «أنه نادى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد يا محمد - وفي رواية: يا رسول الله - فلم يجبه، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا حَدَّثَ أَبُو سَلَمَةَ: «**ذَاكَ اللهُ** ﷻ»[(1)]. وقال ابن جرير: حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي، حدثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ، فقال ﷺ: «**ذَاكَ اللهُ** ﷻ»، وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلًا، وقال سفيان الثوري: عن حبيب بن أبي عمرة، قال: كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان، فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد: نزلت في قومك بني تميم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾، قال: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، فقال: أما إنه لو علم بآخر الآية أجابه ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ﴾ [الحجرات: ١٧]، قالوا: أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الحجرات، برقم (٣٢٦٧)، وقال: حديث حسن غريب، والإمام أحمد (٣/ ٤٨٨ و٦/ ٣٩٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي الباهلي، حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت داود الطائي يحدث عن أبي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «اجتمعوا أناس من العرب فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يك نبيًّا فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكًا نعش بجناحه، قال: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا، فجاءوا إلى حجرة النبي ﷺ فجعلوا ينادونه وهو في حجرته: يا محمد.. يا محمد! فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾، قال: فأخذ رسول الله ﷺ بأذني فمدها، فجعل يقول: **لقد صدَّق الله تعالى قولك يا زيد، لقد صدَّق الله قولك يا زيد**»، ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بركة، اللَّهُمَّ صلِّ عليه، وهذا من طبع الأعراب من صفاتهم الجهر وسوء الأدب إلا من تعلَّم وتبصَّر ـ نعم، ولهذا بيَّن الله ﷻ قال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾؛ لقلة العلم والبصيرة.

مداخلة: أحسن الله إليكم، قول عمر بارك الله فيكم: «لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

اجتهادًا منه رضي الله عنه؛ لأن أهل المدينة قد تعلَّموا وتبصَّروا وهؤلاء جهَّال، جاءوا من الطائف جهال، وهكذا عند السُّنَّة عند سماع الأحاديث ينبغي خفض الصوت والاستماع والإنصات.

مداخلة: رواية الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه في تفسير قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾. صحيح هذه الرواية يا شيخ؟

مداخلة: وقال الإمام أحمد في كتاب الزهد: حدثنا عبد الرحمٰن،

---

(١) أخرجه الطبراني، وقال الهيثمي: وفيه داود بن راشد الطناوي وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله ثقات.

حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال: كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهي المعصية، ولا يعمل بها؟ فكتب عمر رضي الله عنه: «إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، منقطع؛ لأن مجاهدًا ما أدرك عمر، لكن المعنى صحيح، يشتهي ويجاهد نفسه ويستقيم، هذا هو الممتحن، أما الذي ما يشتهيها، أما ما له شهوة أو مجبوب فأمره سهل، لكن الذي يشتهيها وعنده قوة ويريدها لكن يمنعه خوف الله ومراقبة الله، فهذا هو الذي امتحنه الله، وله الأجر العظيم.

حكم تسمية الله تعالى بما لم يرد في الكتاب والسُّنَّة:

• س: أحسن الله إليك يا شيخ، بعض صفات الله جل جلاله التي لم ترد ولكنها حقة، مثل: الرفيق أو ما شابه ذلك، فهل يقال بها؟

مداخلة: لكن غيرها أحسن الله إليكم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا يُسمى إلا بما سمى نفسه، لكن باب الخبر أوسع، باب الخبر أوسع من التسمية أخبر بأنه سبحانه عظيم وجليل الخبر أوسع باب الخبر أوسع.

الحكم على حديث: «لا تصوموا يوم السبت»:

• س: أحسن الله إليكم، حديث: «لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتُرِضَ عَلَيْكُمْ»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن بسر عن أخته رضي الله عنهما في كتاب الصيام، باب النهي أن يخص يوم السبت بصوم، برقم (٢٤٢١)، والترمذي في كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب كراهية صوم يوم السبت، برقم (٧٤٤) وقال: هذا حديث حسن. =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الصواب أنه ضعيف مضطرب منكر المتن فصوم يوم السبت لا حرج فيه مع الأحد أو مع الجمعة أو وحده؛ لكنه مع الجمعة أو الأحد أفضل، وقد صامه النبي ﷺ وصام الأحد أيضًا، وقال إنهما يوما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم، والصواب فيه ضعف ومضطرب كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ وجماعة فلا حرج من صومه.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ **[الحجرات: ٤]**[١].

حدّثنا الحسن بن محمّدٍ، حدّثنا حجّاجٌ، عن ابن جريجٍ، قال: أخبرني ابن أبي مليكة أنّ عبد الله بن الزّبير أخبرهم «أنّه قدم ركبٌ من بني تميم على النّبيّ ﷺ، فقال أبو بكرٍ: أمّر القعقاع بن معبدٍ، وقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابسٍ، فقال أبو بكرٍ: ما أردت إلى، أو إلّا، خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا، حتّى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حَتَّى انْقَضَتِ الآيَةُ [١][٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم عليه الشّارح على كلام الصّدّيق وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

= **وقال سماحته** رَحِمَهُ اللَّهُ: والحديث الذي فيه النهي عن صوم يوم السبت حديث **ضعيف مضطرب مخالف للأحاديث الصحيحة**، فلا بأس أن يصوم المسلم يوم السبت، سواءٌ كان عن فرض أو عن نفل، ولو ما صام معه غيره.

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ برقم (٤٨٤٧).

(من الطّالب): نعم تكلّم عليه في الحديث الأول.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا يقول؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٩٠)]: «قوله: (رفعا أصواتهما حين قدم عليه ركب بني تميم): في رواية أحمد: «وفد بني تميمٍ». وكان قدومهم سنة تسعٍ، بعد أن أوقع عيينة بن حصنٍ ببني العنبرٍ، وهم بطنٌ من بني تميمٍ، ذكر ذلك أبو الحسن المدائنيّ.

قوله: «**فأشار أحدهما**»: هو عمر بيّنه ابن جريجٍ في الرّواية الّتي في الباب بعده، ووقع عند التّرمذيّ من رواية مؤمّل بن إسماعيل عن نافع بن عمر بلفظ: إنّ الأقرع بن حابسٍ قدم على النّبيّ ﷺ؛ فقال أبو بكرٍ: يا رسول الله، استعمله على قومه؛ فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله... الحديث.

وهذا يخالف رواية ابن جريجٍ، وروايته أثبت من مؤمّل بن إسماعيل، والله أعلم». [انتهى كلامه].

(من القارئ): عن نافع بن عمر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(قارئ العينيّ): أحسن الله إليك، نافع بن عمر أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، غلطٌ، عن نافعٍ عن ابن عمر، نافع مولى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(قال الطالب): قال هنا: نافع بن عمر الجمحيّ ـ أحسن الله إليك ـ عن ابن أبي مليكة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا، يمكن، هذا سندٌ آخر، هذا نافعٌ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول. ماذا عندك، السّند الّذي قبله؟

(قال الطالب): أحسن الله إليك، نافعٌ عن ابن عمر، وكيعٌ الّذي رواها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي قبله؟ السّند؟

(من القارئ): حدّثنا يسرة بن صفوان بن جميلٍ اللخميّ، قال: حدّثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا نافع بن عمر الجمحي، هذا الجمحي ماذا بعده؟ أين نافع عن ابن عمر؟

(من الطلاب): هذا في الشرح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الشّارح ماذا يقول؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٩٠)]: «قوله: «**فأشار أحدهما**»: هو عمر بيّنه ابن جريجٍ في الرّواية الّتي في الباب بعده، ووقع عند التّرمذيّ من رواية مؤمّل بن إسماعيل عن نافع بن عمر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نافع بن عمر يعني الجمحي هذا، المتقدّم نعم، نافع بن عمر الجمحيّ مستقيمٌ، الّذي عنده ابن عمر مستقيمٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر هذا أنّهم اجتهادٌ منهم، رضي الله عنهم، الصّدّيق وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلّهم تكلّموا، ما فيه ذكرٌ أنّه استشارهم، ظاهره أنّهم تقدّموا، ولهذا نزل: ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾، ﴿لَا تَرْفَعُوا﴾؛ لأنّهم تقدّموا بهذا الشّيء، ولم يصبروا حتى يستشيرهم، من حرصهم على الخير والنّصح لله ولعباده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

• **س: أحسن الله إليك، وقد أخرج أحمد عن وكيعٍ عن نافعٍ عن ابن عمر لفظ: «أن يهلكا»، ورواية ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **عند أحمد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا في الشّرح؟

(من الطالب) نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محلّ نظرٍ، يحتمل إن كان وكيعٌ سمع من نافعٍ مولى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإلّا يكون نافع بن عمر الجمحيّ يعني.

(من الطّالب): يقول: وكيعٌ عن نافعٍ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، الظّاهر أنّه نافع بن عمر يعني الجمحيّ؛ لأنّ وكيعًا ما أظنّه سمع من نافعٍ مولى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. الّذي في الرّواية نافع بن عمر الجمحيّ. راجع نافع مولى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفاته من «التّقريب».

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٧٠٨٠)]: «نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحي المكي ثقة ثبت من كبار السابعة مات سنة تسع وستين ع». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

راجع نافع مولى ابن عمر، مولى ابن عمر، نافع، الظّاهر بعده.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٧٠٨٦): «نافع أبو عبد الله المدني مولى بن عمر، ثقة ثبت فقيه مشهور من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك، ع». [انتهى كلامه].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الخلاصة» (١/ ٤٠٠): «(ع) نافع العدوي مولاهم، أبو عبد الله المدني أحد الأعلام، عن: مولاه ابن عمر، وأبي لبابة، وأبي هريرة، وعائشة، وخلق. وعنه: ابناه أبو بكر وعمرو، وأيوب، وابن جريج، ومالك، وخلائق. قال البخاريّ أصحّ الأسانيد: مالكٌ عن نافع عن ابن عمر. قال حمّاد بن زيد: مات سنة عشرين ومائة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع وكيع بن الجرّاح.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٧٤١٤): «وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ـ بضم الراء وهمزة، ثم مهملة ـ أبو سفيان الكوفيّ، ثقةٌ

حافظٌ عابدٌ من كبار التّاسعة، مات في آخر سنة ستٍّ، وأول سنة سبعٍ وتسعين، وله سبعون سنة ع». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود أنّه ما أدرك نافعًا مولى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يصير وكيعًا عن نافعٍ يعني: ابن عمر الجمحيّ، الّذي عندك نافع بن عمر، ما هو عن ابن عمرٍ، وكيعٌ عن نافع بن عمر.

(**من الطّالب**): في الشرح نبّه ابن حجرٍ العسقلاني (٨/ ٥٩٠)، قال: «ونافع بن عمر هو الجمحي المكي، وليس هو نافع مولى ابن عمر».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم هذا هو، طيب، رَحِمَهُ اللَّهُ.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [**الحجرات: ٥**][(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا عندك التّرجمة؟ ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٩٢)]: «قوله: باب قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾: هكذا في جميع الرّوايات التّرجمة بغير حديثٍ، وقد أخرج الطّبريّ والبغويّ وابن أبي عاصمٍ في كتبهم في الصّحابة من طريق موسى بن عقبة، عن أبي سلمة قال: حدّثني الأقرع بن حابسٍ التّميميّ أنّه أتى النّبيّ ﷺ فقال: يا محمّد: اخرج إلينا؛ فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ...﴾ [الحجرات: ٤] الحديث وسياقه لابن جرير قال ابن منده: الصّحيح عن أبي سلمة أنّ الأقرع... مرسل.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

وكذا أخرجه أحمد على الوجهين، وقد ساق محمّد بن إسحاق قصّة وفد بني تميمٍ في ذلك مطوّلة بانقطاعٍ، وأخرجها ابن منده في ترجمة ثابت بن قيسٍ في المعرفة من طريق أخرى موصولة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَهُ اللَّهُ، الله المستعان.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات: ٦ - ٨][1].

يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له؛ لئلا يحكم بقوله، فيكون في نفس الأمر كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله ﷻ عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال؛ لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبِلها آخرون؛ لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق، وهذا ليس بمحقق الفسق؛ لأنه مجهول الحال، وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري، ولله تعالى الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصواب: أنه لا يقبل المجهول؛ يعني: قد يكون فاسقًا، مجهول الحال قد يكون فاسقًا فنعمل بروايته، فلا يجوز قبول إلا الثقات، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، أمر بإشهاد أصحاب

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

العدالة، وقال هاهنا: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، المجهول كذلك قد يكون فاسقًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» من رواية ملك بني المصطلق وهو الحارث بن ضرار.

والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا عيسى بن دينار، حدثني أبي أنه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله! أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، وترسل إلي يا رسول الله رسولًا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول ولم يأته، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقّت لي وقتًا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلِقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث؛ ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرَق ـ أي: خاف ـ فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسول الله ﷺ، وبعث البعث إلى

الحارث رضي الله عنه، وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولـمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله، قال رضي الله عنه: لا، والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ما رأيته بتة، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: **منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟** قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول الله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم، رسول رسول الله ﷺ.

(القارئ): عندي واحدة فقط.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: احتبس علي رسول رسول الله، ماذا عندك؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

خشيت أن يكون كانت سخطة الله تعالى ورسوله، قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾.

ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به، ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار، والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم، وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «بعث رسول الله ﷺ رجلًا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة، فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ، قالت: فحدَّثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت: فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم،

فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون، قالت: فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ فصفوا له حين صلى الظهر، فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلًا مصدقًا فسررنا بذلك، وقرت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق، فخشينا أن يكون ذلك غضبًا من الله تعالى ومن رسوله ﷺ، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضي الله عنه فأذن بصلاة العصر، قال: ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾».

وروى ابن جرير أيضًا من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: «كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسولَ رسولِ الله ﷺ، وإنه لما حُدِّث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضبًا شديدًا، فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله! إنا حُدِّثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن ما ردَّه كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، وإن النبي ﷺ استغشهم وهمّ بهم، فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ إلى آخر الآية».

وقال مجاهد وقتادة: «أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة، فرجع فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك ـ زاد قتادة: وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام ـ فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلًا، فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالدًا رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم

خالد ﵁ فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية، قال قتادة: فكان رسول الله ﷺ يقول: «**الأَنَاةُ مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**»(١).

وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم: ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية: أنها أنزلت في الوليد بن عقبة، والله أعلم.

مداخلة: التثبُّت في الأخبار كلها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: نعم، حتى لا يؤخذ أحد إلا بحق، نعم، في الروايات والشهادات وسائر الأخبار التي لها أهمية، أما التي ما لها أهمية...

مداخلة: عفا الله عنك! مجمل هذه الأخبار يدل على أنها نزلت في الوليد.

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: ... مشكل؛ لأن فيها ضعفًا.. محل نظر.

مداخلة: بالنسبة لقول العلماء... الوليد بن عقبة كيف يمكن الجمع بينهما؟

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: الأصل أنه عدل إلا أن تثبت الرواية لو صحَّت قد يكون تاب منها، وفي صحتها نظر.

قال الحافظ ابن كثير ﵀:

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٧]؛ أي:

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه، عن جده في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في التأني والعجلة، برقم (٢٠١٢)، قال الترمذي: هذا حديث غريب، ورواه البيهقي من حديث أنس بن مالك ﵁ بلفظ: «**التَّأَنِّي مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**» ٢/ ٣٤٣.

اعلموا أن بين أظهركم رسول الله ﷺ فعظِّموه ووقِّروه وتأدَّبوا معه وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ثم بيَّن أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم، فقال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧]؛ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: حبَّبه إلى نفوسكم وحسَّنه في قلوبكم.

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز، حدثنا علي بن مسعدة، حدثنا قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقول: **الإسلام علانية، والإيمان في القلب**، قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات، ثم يقول: **التقوى هاهنا التقوى هاهنا**»(١)، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾؛ أي: وبغَّض إليكم الكفر، والفسوق وهي الذنوب الكبار، والعصيان وهي جميع المعاصي، وهذا تدريج لكمال النعمة، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾؛ أي: المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي، عن أبي رفاعة الزرقي، عن أبيه، قال: «لما كان يوم أُحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي**»(٢) ﷻ. فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَكَ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٣٤).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٢٤).

الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَٰهَ الْحَقِّ». ورواه النسائي في اليوم والليلة[١] عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به، وفي الحديث المرفوع.

قال: لما كان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عندك عبد الواحد بن أيمن المكي انظر «الخلاصة».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: زياد بن أيوب كذا عندك انظر زياد بن أيوب؟ زياد بن أيوب.

مداخلة: عن زياد بن أيوب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الحديث المرفوع: **«مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»**[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد ٣/ ٤٢٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات: ٨].**

قال: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾؛ أي: هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي: عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا إله إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مداخلة: زياد بن أيوب الطوسي أبو هاشم دَلُّويه بفتح الدال وضم اللام المشددة الحافظ لقبه أحمد: شعبة الصغير عن... وعباد بن العوام و... وعنه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي ووثَّقه. قال ابن قانع: تُوفِّي سنة اثنتين وخمسين ومائتين ومولده سنة ست وستين.

مداخلة: يقول: الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبان بن أبي عمر ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن مناف الأموي أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب، يُكنّى أبا وهب، قتل أبوه بعد الفراغ من غزوة بدر صبرًا، وكان شديدًا على المسلمين، كثير الأذى لرسول الله ﷺ، فكان ممن أسر ببدر، فأمر النبي ﷺ بقتله، فقال: يا محمد! من للصبية؟ قال: «**النار**». وأسلم الوليد وأخوه عمارة يوم الفتح، ويقال: إنه نزل فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ الآية [الحجرات: ٦].

قال ابن عبد البر: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أنها نزلت فيه، وذلك أن رسول الله ﷺ بعثه مصدقًا إلى بني المصطلق فعاد فأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة، وكانوا خرجوا يتلقونه وعليهم

السلاح، فظن أنهم خرجوا يقاتلونه فرجع، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فأخبره بأنهم على الإسلام؛ فنزلت هذه الآية.

قلت: هذه القصة أخرجها عبد الرزاق في تفسيره عن معمر... وأنه بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق فتلقوه فعرفهم فرجع، فقال: ارتدوا؛ فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه، فلما دنا منهم بعث عيونًا ليلًا، فإذا هم يقيمون الصلاة ويصلون، فأتاهم خالد فلم يرَ منهم إلا طاعة وخيرًا، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فنزلت هذه الآية.

وأخرجه عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيبان بن عبد الرحمٰن عن قتادة نحوه.

ومن طريق الحكم بن أبان عن عكرمة نحوه، ومن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد كذلك، وأخرجها الطبراني موصولة عن الحارث بن أبي ضرار المصطلقي مطولة، وفي السند من لا يعرف.

ويعارض ذلك ما أخرجه أبو داود في «السنن» من طريق ثابت بن الحجاج عن أبي موسى بن عبد الله الهمداني عن الوليد بن عقبة قال: فتح نبيّ الله ﷺ مكّة جعل أهل مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح رؤوسهم، قال: فجيء بي إليه وأنا مخلّقٌ فلم يمسّني من أجل الخلوق[1]. قال ابن عبد البر: أبو موسى مجهول، ومن يكون صبيًّا يوم الفتح لا يبعثه النبي ﷺ مصدقًا بعد الفتح بقليل.

وقد ذكر الزبير وغيره من أهل العلم بالسير أن أم كلثوم بنت عقبة لما خرجت إلى النبي ﷺ مهاجرة في الهدنة سنة سبع خرج أخواها الوليد وعمارة ليرداها، فمن يكون صبيًّا يوم الفتح كيف يكون ممن خرج ليرد أخته قبل الفتح.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الترجل، باب في الخلوق للرجال برقم (٤١٨١)، والإمام أحمد (٤/ ٢٢).

قلت: ومما يؤيد أنه كان في الفتح رجلًا أنه كان قدم في فداء ابن عم أبيه الحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية، وكان أسر يوم بدر فافتداه بأربعة آلاف. حكاه أصحاب المغازي.

ونشأ الوليد بعد ذلك في كنف عثمان إلى أن استُخلف فولّاه الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص، واستعظم الناس ذلك.

وكان الوليد شجاعًا شاعرًا جوادًا.

قال مصعب الزبيري: وكان من رجال قريش وسَراتهم.

وقصة صلاته للناس الصبح أربعًا وهو سكران مشهورة مخرَّجة، وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضًا مخرجة في «الصحيحين»، وعزله عثمان بعد جلده عن الكوفة، وولاها سعيد بن العاص.

ويقال: إن بعض أهل الكوفة تعصَّبوا عليه فشهدوا عليه بغير الحق، وحكاه الطبري واستنكره ابن عبد البر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، الله يعفو عنا وعنه وعن كل مسلم، عفا الله عنه وعن كل مسلم.

مداخلة: لكن القول بفسقه يا شيخ كيف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول ابن عبد البر: لا خلاف أن الآية نزلت فيه، والله أعلم.

مداخلة: لكن أليس لطالب العلم أن يتورع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، على أن الإسلام هذا الأصل، والإيمان محله القلوب، ثم الكمال: . . . أداء الفرائض وترك المحارم، هذا الكمال.

مداخلة: حديث. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محل نظر، يحتاج إلى تأمل في سنده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

معناه صحيح الإسلام هو العلانية، والإيمان محله القلوب، ثم إذا قوي الإيمان ظهر على الجوارح واكتمل الإيمان، لكن أصل الإيمان في القلب.

(الشيخ): عن ابن مسعدة كذا؟

مداخلة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم. فيه بعض... ، لكن معناه صحيح المعنى صحيح، الإسلام هو العلانية، والإيمان محله القلوب، وإذا كمل الإيمان استقامت الجوارح.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ **[الحجرات: ٩، ١٠]**(١).

يقول تعالى آمرًا بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾، فسمَّاهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عند أهل السُّنَّة والجماعة العاصي لا يخرج من الإيمان بالمعصية، ولهذا قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾: سمَّاهما مؤمنتين مع القتال، وإنما يخرج بالكفر، ولكن المعصية تنقص الإيمان.. تضعف الإيمان، يكون إيمانه ناقصًا، كما قال النبي ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ**»(١)؛ يعني: كامل الإيمان، لا بل إيمانه ناقص.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رسول الله ﷺ خطب يومًا ومعه على المنبر الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، فكان كما قال ﷺ، أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما جرى يوم الجمل ويوم صفين ثم أصلح الله بالحسن، تنازل

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، برقم (٢٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، برقم (٥٧).

لـمعاوية واستقرت الأمور وطفأت الفتن رضي الله عنه وأرضاه. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله، وتسمع للحق وتطيعه، كما ثبت في الصحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم، حدثنا معتمر، قال: سمعت أبي يحدث أن أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة، فلما انطلق النبي ﷺ إليه قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني ريح حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك. قال: فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾.

ورواه البخاري في الصلح عن مسدد، ومسلم في المغازي وعن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه وذكر سعيد بن جبير: أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر بالصلح بينهما، وقال السدي:

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه، برقم (٦٩٥٢).

كان رجل من الأنصار يقال له: عمران، كانت له امرأة تدعى أم زيد، وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها، فحبسها زوجها وجعلها في عليَّة له لا يدخل عليها أحد من أهلها، وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها، وإن الرجل كان قد خرج فاستعان أهل الرجل، فجاء بنو عمه؛ ليحولوا بين المرأة وبين أهلها، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت فيهم هذه الآية، فبعث إليهم رسول الله ﷺ وأصلح بينهم، وفاءوا إلى أمر الله تعالى، وقوله ﷻ: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الواجب عند النزاع الإصلاح بين الطائفتين فيما يدفع الشر ويجمع القلوب ويزيل الفتنة، وهذا أمر لازم بين المسلمين «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**». قالوا: يا رسول الله هذا نصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**». نصر الظالم حجزه ومنعه، إذا تنازع الأولاد أو الإخوة أو الجيران فالواجب نصر المظلوم وردع الظالم بحسب الاستطاعة حتى تطفأ الفتن، فيتوسط أهل الخير بين الجميع بمنع الظالم عن ظلمه ونصيحته وكفه عن ظلمه حتى تطفأ الفتنة، وهكذا فعل الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مداخلة: هل يأثم القاتل على ما. . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بينهم نزاع. . . يحجزه عن الظلم، بينهم نزاع يتوسط بينهم حتى يكف الظالم عن ظلمه، حتى تهدأ الأمور.

مداخلة: لكن لو أحد الطائفتين أبت الصلح يا شيخ تقاتل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مثل ما قال: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي﴾، يقاتلها ولي الأمر.

مداخلة: والقاتل من الطائفة هذه يأثم على قتل رجل من الطائفة التي أبت؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المأمور ما يأثم، الذي يأثم العاصي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَابرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ بِمَا أَقْسَطُوا فِي الدُّنْيَا**»(١)، ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى به، وهذا إسناده جيد قوي، رجاله على شرط الصحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقسطون هم الذين... العدل، «**المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمٰن**»، وهم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا، هم المقسطون العدل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرحمٰن** عَزَّ وَجَلَّ، **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٥٩ و٢٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (٢/ ١٦٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، في الرواية الأخرى: «**عن يمين الرحمٰن**» الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾؛ أي: الجميع إخوة في الدين، كما قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ**»[١]، وفي «الصحيح»: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[٢]، وفي «الصحيح» أيضًا: «**مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[٣]، والأحاديث في هذا كثيرة، وفي «الصحيح»: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[٤]، وفي «الصحيح» أيضًا: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[٥] ﷺ.

وقال أحمد: حدثنا أحمد بن الحجاج، حدثنا عبد الله أخبرنا مصعب بن ثابت، حدثني أبو حازم، قال: سمعت سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «**إن المؤمنين من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم**

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه، برقم (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أم الدرداء عن سيدها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، برقم (٢٧٣٢).

(٤) سبق تخريجه في (٢/ ٤٦).

(٥) سبق تخريجه في (ص٢٩٦).

الجسد لما في الرأس»، تفرد به أحمد، ولا بأس بإسناده، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾؛ يعني: الفئتين المتقاتلتين.

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾؛ أي: في جميع أموركم ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠](١).

فهذه الآية الكريمة تتعلق بالتهاجر، وهذه كلها وما في معناها تدل على تحريم التهاجر بين المسلمين والتقاطع؛ لأن هذا يسبب شرًّا عظيمًا وفسادًا كبيرًا، وتعطيل حقوق الله وظهور المعاصي والشرور؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ فالمؤمنون إخوة يجب الإصلاح بينهم حتى لا يقع التهاجر والتشاحن، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. قال ﷻ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]؛ فالواجب على أهل الإيمان أن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يدعوا التعاون على الإثم والعدوان، ومن التعاون على الإثم والعدوان التهاجر والشحناء والتباغض؛ ولهذا قال ﷺ: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**». هذا الواجب على أهل الإسلام «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»، ويقول ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ**

---

(١) انظر: كتاب رياض الصالحين لسماحته رحمه الله (٤/ ٣٤٢).

ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» خيرهم الذي يبدأ بالسلام، في الحديث الأخير: «لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ».

والمسلم يسلم في الحديث الآخر يقول ﷺ: «تُرفع الأعمال على الله»، في لفظ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيس وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ ﷻ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» هذا يفيد أن الشحناء من أسباب حرمان المغفرة، ويقول ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ»؛ يعني: المؤمنون «فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(١)، لما رأى عدو الله إقبال المؤمنين ودخولهم في الإسلام يئس؛ ولكن بقي له النشاط في التحريش والشحناء ويأسه غير معصوم ييأس من نفسه يقع؛ ولهذا جاءت الأحاديث: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ»(٢)، «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ، اللهُ»(٣)، «لَا

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا برقم (٢٨١٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان برقم (٧١١٦)، ومسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة برقم (٢٩٠٦). وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.

(٣) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان برقم (١٤٨).

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ»[(١)] .....[(٢)] ينزع هذا الدين ولا يبقى إلا الأشرار فعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.

في آخر الزمان يرسل الله ريحًا طيبة بعد طلوع الشمس من مغربها فتقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، فلا يبقى إلا الأشرار فعليهم تقوم الساعة، في الحديث الآخر: أنه إذا هجر فوق ثلاث باء الذي لا يرجع بالإثم إلى النار، فهذا وعيد شديد يدل على أنها كبيرة من الكبائر، وإذا هجره سنة كان كسفك دمه، وهو يدل على عظم المصيبة وعظم الإثم، وما ذاك إلا لما يترتب على الهجر من الشحناء والعداوة والتباغض، قطيعة الرحم، ظهور المنكرات إلى غير ذلك؛ فالواجب على جميع المسلمين الحذر من هذا التهاجر إذا كان لخصومة دعوَى بينه وبينه في أرض أو في سيارة أو في غير ذلك؛ يعني: خصومات بينهم، فالتهاجر

لأن النفوس يعتريها ما يعتريها فسمح الله لها ثلاثة أيام بسبب شدة الخصومة فما زاد على الثلاثة يمنع من التهاجر في أمور الدنيا في الخصومات التي بين الناس.

أما ما يتعلق بالبدع والمعاصي فهذا ليس من هذا الباب، هذا يهجر حتى يتوب يستحق الهجر حتى يتوب، ولو مضى سنة أو سنوات حتى يتوب حتى يرجع إلى الله، إذا أظهر البدع أو المعاصي الظاهرة ينهى عن هذا، ويحذر ويهجر، قد هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه لما تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر، هُجروا خمسين ليلة حتى تاب الله عليهم، فمن أظهر المعاصي أو البدع يستحق الهجر حتى يتوب إلى الله أو يرجع، كما

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث ثوبان ؓ في كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها برقم (٤٢٥٢).

(٢) كلمة غير واضحة.

يستحق التأديب أيضًا من ولاة الأمور على بدعته حتى يرجع عنها، وعلى ما أظهر من المعاصي حتى يتوب، وإن كان فيها حد وجب إقامة الحد.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠][(١)].

هذه الآية فيها بيان التحذير من الشماتة بالإخوان، وأن ذلك خطر عظيم قد يفضي إلى أن يُبتلى الشامت بما أُصيب به غيره، والمؤمن أخو المؤمن يُسُّره ما يسُّره ويحزنه ما يحزنه، فلا يليق به أن يتشمَّت بأخيه، بأن يظهر الفرح بعيبه ونقصه، الشماتة بالأعداء، الشمات بالإخوان؛ يعني: إظهار عيوبهم ونقصهم فرحًا بذلك، وتلذذًا بذلك، ونوع انتقام وتبجح؛ فالحاصل أنه لا ينبغي على أي قصد إظهار الشماتة بأخيه؛ بل يسأل الله له العافية، سواء كانت الشماتة بنقص في دينه أو عيب في خلقه من عور أو عمى أو عرج أو غير ذلك، أو نقص في دينه من الفسق والمعاصي؛ بل ينصحه، ولا يجوز الشماتة به، من هذا الباب تحريم الغيبة، والنميمة، والسخرية، واللمز، كل هذا من هذا الباب، والله يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. الأخ يفرح لأخيه بالخير لا يُشمت به الأعداء ولا يظهر عيوبه، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]. وفي الحديث: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمُهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**»[(٢)]، في اللفظ الآخر: «**لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيُعَافِيَه اللهُ**

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين الجزء الرابع، كتاب الأمور المنهي عنها، باب النهي عن إظهار الشماتة بالمسلم (ص٣٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه في كتاب صفة القيامة والرقائق عن رسول الله ﷺ، باب (٥٤) برقم (٢٥٠٦).

وَيَبْتَلِيك»؛ ولكن يدعو له بالعافية، ويدعو له بالستر، إن كان مرض يدعو له بالعافية، إن كان نقص في دينه يدعو له بالتوفيق والهداية، وهكذا فلا يشمت به الأعداء، وهكذا الطعن في الأنساب تنقص أنساب الناس عيبهم ليضرهم ويؤذيهم ويسبب البغضاء والعداوة، كونه يقول: إنهم كذا وإنهم كذا يحط من نسبهم هذا لا كرامة إلا بالتقوى، كونه يقول: آل فلان قصَّابون نجَّارون حدَّادون كذا يلتمس العيوب، هذا غلط، الواجب الكف عن هذا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. الطعن في الأنساب إيذاء للمؤمنين، إيذاء لهم فلا يجوز تعاطيه، وهكذا الحديث الصحيح: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ**»(١). سمَّاها من خصال الكفر، أما إذا كان من باب البيان، من باب آل فلان من قحطان من جهينة، من كذا، يبين من باب البيان لا من باب التنقص والعيب؛ لكن يبين قبائلهم وجهادهم وأنسابهم على سبيل البيان حتى يعلموا ويعرفوا، فهذا لا بأس؛ لكن على سبيل الطعن والتنقص هذا هو الممنوع، من هذا قوله ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**»(٢).

فالواجب الحذر منها.

*

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت برقم (٦٧).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه في كتاب الجنائز، التشديد في النياحة برقم (٩٣٤).

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]**[١].

فهذه الآية الكريمة تدل على وجوب النصيحة لله ولعباده، وأن ذلك من أسباب صلاح المجتمع وسعادته وحسن عاقبته، وقد قام الرسل عليهم الصلاة والسلام بهذا الأمر العظيم أكمل قيام، وكانت الرسل عليهم الصلاة والسلام، أنصح الناس وأنفع الناس للناس وأقومهم بحق الله من أولهم إلى آخرهم محمد عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا قال الله عن نوح: إنه قال لقومه: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وقال عن هود: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ. وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**»[٢]. فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللهَ، آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي. فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين لسماحته رحمه الله (١/ ٣٨١)، باب في النصيحة.
(٢) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٤).

يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**»[١]. قد بيَّن الله في كتابه العظيم أن المؤمنين إخوة حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقوله ﷺ في حق المؤمنين: إنهم إخوة يقتضي التناصح بينهم، والتعاون على الخير، والتواصي به، هكذا شأن الأخ مع أخيه؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِهِ**»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ**». وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ**»؛ يعني: لا يخذله، «**مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**»[٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[٤]، هكذا ينبغي لأهل الإيمان التناصح والتعاون فيما بينهم في أمر الدين والدنيا جميعًا، وهكذا التناصح في ترك

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الأول فالأول برقم (١٨٤٤).
(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير برقم (٤٥).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٠).
(٤) سبق تخريجه في (ص٣٥١).

ما حرَّم الله والبعد عمَّا حرَّم الله كما تقدم في قوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» كررها ثلاثًا **(قلنا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**[1]. النصيحة الشيء الخالص يقال: ذهَبٌ ناصح؛ يعني: خالص، ويقال: عسل ناصح؛ يعني: خالص ما فيه خلط ولا شمع، فالنصيحة؛ يعني: الإخلاص في الأمور كلها، والصدق في الأمور كلها واجب متعين في كل شيء؛ ولهذا قال: «**الدين النصيحة**»؛ يعني: الدين كله النصيحة في جميع أعمالك في صلاتك في صومك، في حجِّك، في جهادك، في برك لوالديك، في صلة الرحم، في إكرام الضيف، في ترك المحارم في كل شيء يجب أن تنصح بأن تؤدي العمل كاملًا تامًّا خالصًا صادقًا فيه، ليس فيه شائبة من الرياء أو شائبة من النقص وعدم القيام بالواجب، فالنصيحة لله الإخلاص له والقيام بحقه سبحانه وتعالى والاستقامة على دينه من جميع الوجوه، ووصفه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وترك الإشراك به وترك معصيته، كل هذا من النصيحة في الله سبحانه وتعالى.

والإيمان بأنه ربك وإلٰهك الحق ومعبودك الحق، وأنه الخلَّاق الرزَّاق ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى سبحانه وتعالى، وأنه لا شبيه له ولا كفو له ولا ند له ﷻ، فهو الكامل في كل شيء سبحانه وتعالى، وهو المستحق لأن تعبده بصلاتك بصومك ودعائك وخوفك ورجائك وجهادك وحجك وغير ذلك. وهكذا النصيحة لكتاب الله القرآن؛ بالعمل بما فيه الإيمان بأنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، هو كلام الله، النصيحة له؛ أن تعمل به وأن تؤمن بأنه كلام الله، وأنه حق، وأن تعمل بأوامره وتنتهي عن نواهيه وأن تصدق أخباره، هذه النصيحة لكتاب الله عز وجل.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٥).

والنصيحة للرسول ﷺ بالإيمان بأنه رسول الله والتصديق بأنه رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس، والعمل بما جاء به من فعل الأوامر وترك النواهي وتصديق أخباره، عليه الصلاة والسلام، كل هذا من النصيحة للرسول ﷺ، والنصيحة لأئمة المسلمين وأُمرائهم بالدعاء لهم بظهر الغيب بالتوفيق والهداية وصلاح البطانة وإعانتهم على الخير والنصح للوظائف التي تعين فيها من قبلهم حتى تؤدي الأمانة وحتى تبتعد عن الخيانة مع الدعاء لهم بظهر الغيب مع مناصحتهم بالكلام الطيب والمكاتبة وغير هذا من وجوه الخير، هكذا يكون النصح لولاة الأمور من العلماء والأعيان ومن كل مسلم حسب طاقته بوظيفته وبعمله والدعاء لهم بظهر الغيب بالتوفيق والهداية وصلاح البطانة والإعانة على جمع الكلمة وعدم شق العصا والسمع والطاعة في المعروف، كل هذا من النصيحة لولاة الأمور، والنصيحة لعامة المسلمين؛ بالدعاء لهم أن الله يهديهم ويوفقهم، وعدم خيانتهم في المعاملة وعدم الغش في المعاملة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم ما ينفعهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم وتحذيرهم عما يضرهم، كل هذا من النصيحة لعامة المسلمين.

يقول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه **(بَايَعْتُ النبي ﷺ: عَلَى إِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)**[(١)]. بيعة عاهده على هذا، عليه الصلاة والسلام أخذ العهد عليه أن يَنصح لكل مسلم وما ذاك إلا لعظم الأمر؛ لأن الغش خطره عظيم وعاقبته وخيمة؛ فالواجب على كل مسلم أن ينصح لله ولعباده في كل معاملاته.

*

(١) متفق عليه من حديث عبد الله، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة برقم (١٤٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٦).

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]**[(١)].

هذه الآية الكريمة تدل على وجوب العناية بالأخوَّة الإيمانية والاستقامة عليها والتحاب في الله والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق، والحذر من ضد ذلك من البغضاء والعداوة والشحناء، أهل الإيمان يجب عليهم أن يكونوا متحابين في الله متناصحين متعاونين على البر والتقوى، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

هكذا المؤمنون رحماء يتواصلون ويتعاونون على البر والتقوى يتناصحون كل واحد يحب لأخيه الخير ويكره له الشر، ينصح له شهد أو غاب، يؤدي له الأمانة يلقاه بوجه منطلق كما في الحديث الصحيح، يقول ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[(٢)]؛ كونه يقابله بوجه منبسط هذا من المعروف، والحديث الآخر يقول ﷺ: «**لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهٍ، وَحُسْنُ خُلُقٍ**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ**»[(٤)]، ويقول ﷺ: «**إِنَّ مِنْ**

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين (٤/ ٣١١)، كتاب الأمور المنهي عنها، باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر.

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ٤٣).

(٣) أورده ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٩٠).

(٤) أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان الأنصاري ﷺ في كتاب البر =

أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»(١)، ويقول ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٢)؛ يعني: القلب متى استقام القلب انقادت الجوارح إلى الخير «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» والأحاديث في هذا كثيرة، ويقول ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»، ويقول ﷺ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَمِيسِ**»، في لفظ: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ**»، «**فَيَغْفِرُ اللهُ ﷻ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**»(٣).

هذا يدل على أن الشحناء من أسباب إيقاف المغفرة عن المتشاحنين، وهذه مصيبة كبيرة؛ فالواجب على كل مؤمن أن يحرص على المحبة لأخيه والصلح مع أخيه وعدم الشحناء، تحل المشاكل بالطرق الطيبة والتسامح لا بالشحناء ولا بالتهاجر يقول ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ**

= والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم برقم (٢٥٥٣).

(١) أخرجه الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معالي الأخلاق برقم (٢٠١٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتهاجر برقم (٢٥٦٥).

فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ»(١)، إذا كان ولا بد ثلاثة أيام، يومين، يوم كان شيء فيه خصومة، مضاربة، النفوس تتغير بعض الشيء؛ لا بأس هجر يوم أو يومين أو ثلاث من أجل حظ النفس، لا بأس، ولا يجوز الزيادة على ثلاث، من أجل حظ بينك وبينه مضاربة أو مشاتمة أو شبه ذلك، الواجب أن تحل المشكلة قبل الزيادة على ثلاثة أيام يعني في ظرف الثلاثة أيام حتى لا يبقى تهاجر، أما إذا كان التهاجر من أجل المعاصي والبدع هذا ليس له حد إلا التوبة، إذا هجر من أجل إظهار المعاصي والبدع، هذا لا حدٌّ له بثلاث ولا بغيرها، حده التوبة، كما هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه خمسين ليلة حتى تابوا وتاب الله عليهم لما تخلفوا عن غزوة تبوك مع أن الرسول أمرهم بذلك، تخلفوا من غير عذر هجرهم النبي ﷺ خمسين ليلة حتى تاب الله عليهم، وهكذا أشباههم ممن يتعاطى بعض المعاصي الظاهرة والبدع إذا لم يتب يهجر حتى يتوب، وهذا من باب التعزير، ومن باب التعاون على البر والتقوى لعله يراجع الحق، لعله يتدبر، لعله ينظر حتى يتوب إلى الله ﷻ.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ **[الحجرات: ١١]**(٢).

ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢/ ٣٩٢).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وَغَمْطُ النَّاسِ»(١)، ويروى: «**وغمص النَّاسِ**»، والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام؛ فإنه قد يكون المحتقَر أعظم قدرًا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له، ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾، فنصّ على نهي الرجال، وعطف بنهي النساء، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ أي: لا تلمزوا الناس، والهمَّاز اللمَّاز من الرجال مذموم ملعون، كما قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، والهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال ﷻ: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١١]؛ أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاغيًا عليهم ويمشي بينهم بالنميمة، وهي اللمز بالمقال، ولهذا قال هاهنا: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: لا يلمز بعضكم بعضًا، مثل ما قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩]؛ أي: لا يقتل بعضكم بعضًا.

مداخلة: عفا الله عنك ورد لعن الهماز واللماز، مذموم ملعون؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أدري، ما أذكر شيئًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩]؛ أي: لا يقتل بعضكم بعضًا، قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ أي: لا يطعن بعضكم على بعض، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾؛ أي: لا تداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها، قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا داود بن

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم (١٤٧).

أبي هند عن الشعبي قال: حدثني أبو جبيرة بن الضحاك قال: «فينا نزلت في بني سلمة: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحدًا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله! إنه يغضب من هذا، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾» ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهب عن داود به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الواجب على المسلمين الحذر من هذه الأشياء التي تسبِّب البغضاء والعداوة، السخرية واللمز من أسباب العداوة والبغضاء، ولهذا نهى الله عن هذا، لا يجوز للمسلم أن يلمز أخاه ولا أن يتنابز معه بالألقاب، ولا يسخر منه؛ لأن السخرية والاستهزاء من أسباب البغضاء والعداوة واللمز كذلك وهو أن يعيبه بالقول أو بالعمل، سواء بالإشارة بشفته أو بعينه أو بأصابعه أو بالكلام، وهكذا التنابز بالألقاب: يا حمار يا كلب يا دجاجة.. يا خبيث! كل هذا لا يجوز؛ لأنها كلها تسبب البغضاء والعداوة والشحناء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله جَلَّ: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾؛ أي: بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالألقاب، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ أي: من هذا، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، يعني: الواجب من كل ذنب التوبة والندم والإقلاع وعدم العودة، ومن لم يتب فهو ظالم نسأل الله العافية.

مداخلة: عفا الله عنك! إذا قال له: يا كلب أو نحوه يكون من التنابز بالألقاب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

نعم. . . التي يكرهها، إذا دعاه بالشيء الذي يكرهه كلب أو حمار أو عجل أو يا ثور أو يا بقرة أو. .

مداخلة: إذا اشتهر بين الناس بلقبه حتى صار اسمًا له؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

إذا كان لقبًا له فما يكرهه لا بأس، إذا كان لا يكرهه.

مداخلة: التنابز بالألقاب هو المعروف عندنا بالعيارة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : نعم، يعيِّره.

مداخلة: أقول: قوله: ﴿أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۢ﴾ ما معناها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

لأن هذا فسوق، التنابز بالألقاب فسوق.

❊

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ **[الحجرات: ١١]**(١).

في هذه الآية الكريمة يوجه الله عباده إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويحذِّرهم من الأخلاق الذميمة التي تسبِّب الشحناء والعداوة بين المسلمين والبغضاء والفتن؛ فإن السخرية والاستهزاء واللمز والتنابز بالألقاب، كل هذه صفات ذميمة كلها تجر إلى الشحناء والعداوة

---

(١) حديث المساء (ص١٤٦).

والبغضاء والاختلاف بين الناس وربما أفضت إلى القتال، ربما أفضت هذه الأفعال الذميمة إلى التقاتل بين المسلمين، ولهذا قال ﷻ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾.

خاطبهم بالإيمان قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ لأن الإيمان يحفزهم إلى الخير والهدى، يذكرهم بإيمانهم أن يمنعهم من معاصي الله ﷻ.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأرعها سمعك فإنه خير تُؤمر به أو شر تُنهَى عنه(١).

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾.

يعني: لا يسخر رجال من رجال.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾.

يعني: عسى أن يكون أولئك المسخور منهم خيرًا من الساخر وأفضل.

﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾.

يعني: عسى أن يكون أولئك المسخور بهن خير من أولئك الساخرات فقد يسخر المفضول من الفاضل؛ ليستر نقصه ويعمي نقصه على الناس وهو محرم من الفاضل والمفضول جميعًا ليس لأحد منهم أن يسخر بأخيه ويستهزئ بأخيه، إن كان الله أعطاه فضلًا فليحمد الله من غنى أو حُسن خَلق أو حسن خُلق أو نحو ذلك، فليحمد الله، أما أن يسخر بالناس لفقرٍ أو دمامة أو غير ذلك من الأسباب هذا لا يجوز له؛ بل الواجب حمد الله على ما أعطاه من الفضل، وحمد الله على ما عافاك به من الشر.

وهكذا اللمز: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾.

يعني: لا يلمز بعضكم بعضًا؛ لأن نفس الإنسان كنفس أخيه

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٩٨٥).

المؤمن شيء واحد، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ مثل قوله: ﴿...وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

يعني: لا يقتل بعضكم بعضًا، وهكذا لا يلمز بعضكم بعضًا فأنتم شيء واحد، واللمز العيب كونه يعيبه بشيء بعمى أو بعرج أو قلة سمع أو قلة فقه أو غير هذا من الأمور يلمزه بها ويعيبه بها، ومعلوم أن هذا يثير الشحناء، يسبب الاختلاف، فلا يليق بالمؤمن، والله يقول ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، اللمز والهمز بالفعل والقول كله ممنوع لا بعينه لا بإشارته ولا بكلامه يجب ترك ذلك كله.

وهكذا قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾.

التنابز: التداعي بالألقاب: يا حمار، يا فاجر، يا كلب، لا، بل يدعوه بأسمائه الحسنة: يا أبا زيد، يا محمد، يا فلان، يا أبا فلان يدعوه بأسمائه الحسنة بألقابه الحسنة، وبكنياه الحسنة. ولهذا قال بعده: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ﴾.

معنى هذا: إن هذه الأعمال تجعلك فاسقًا بعد إيمانك: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ﴾ كيف ترضى لنفسك أن تكون فاسقًا بعدما كنت مؤمنًا بأعمالك الخبيثة وإساءتك إلى إخوانك، فإن هذه الإساءات وهذه التصرفات تجعلك فاسقًا فيجب عليك الحذر والبُعد عن أسباب الفسق وعن أسباب غضب الله ﷻ.

ثم قال: ﴿...وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ⑪﴾ هذا يدل أن الذي يُصر على المعاصي ظالم، من أصرَّ على المعاصي فإنه يسمى ظالمًا، ظالم لنفسه، وعليه التوبة إلى الله من ذلك ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ يعني: من معاصيه وسيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ⑨﴾.

فالواجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه، وأن يتقي الله في أقواله وأعماله، وأن يحذر إيذاء إخوانه بألقاب أو بلمز أو بسخرية أو بغير ذلك، «**كُل المُسْلِم عَلَى المُسْلِم حَرَام دَمُه ومَالُه وعِرْضُه**»(١).

وفَّق الله الجميع، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه.

❁

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ **[الحجرات: ١١]**(٢).

هذه الآية الكريمة تدل على تحريم سوء الظن بالمسلمين والسخرية واللمز والهمز والاحتقار، كما يحرم التجسس والغيبة والنميمة والكذب والظلم، هكذا يحرم احتقار المسلم لأخيه، سوء الظن به لمزه وهمزه، نبزه باللقب، إلى غير هذا مما يسبب الشحناء، العداوة والبغضاء بين المسلمين؛ فالواجب على المؤمن حسن الظن بأخيه إلا إذا تبين منه خلاف ذلك، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، ما قال كل الظن قال: ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾؛ لأن بعض الظن قد يصيب، قد يكون له علامات شهود يشهدون عليه بالشيء أو مواقف التهم الذي يقفها ويجالس أهلها توجب سوء الظن به؛ لكن ما دام مبتعدًا

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله... برقم (٢٥٦٤).

(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٣٢٠).

عن مجالس السوء بعيدًا عن مواقف التهم فلا يجوز سوء الظن به؛ بل يجب حسن الظن به، يقول ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ**»؛ يعني: الذي ليس عليه دليل «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ**»، أما الظن الذي عليه دليل من بيِّنة، هذا يُعتبر؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ الشاهد شهد بالحق مع اليمين غلب على الظن صدقه، وهكذا الشاهدان قد يفيدان اليقين، قد يفيدان الظن، وهكذا وجود التهم والعلامات، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١]. السخرية أصلها الاحتقار يحتقره ويسخر منه ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ اللمز العيب؛ لأنه يسبِّب الشحناء، وهكذا التنابز بالألقاب يا حمار، يا كلب، يا عفريت، يا خبيث، هذه ألقاب تسبِّب الشر، كونه ينبزه، ينبزه بلقب يكرهه ويؤذيه، هذا يسبِّب البغضاء والعداوة؛ ولكن تكلمه بالأسماء التي يحبها، والألقاب، التي يحبها، ولا تلمزه، ولا تسخر به، كلها تفيد الشحناء والعداوة؛ ولكن المسلم يرفق بأخيه، ويحسن به الظن، ويخاطبه بالألقاب والأسماء التي يحبها جمعًا للقلوب، ودفعًا للشحناء والعداوة، ومن عادات الكفرة اتباع الظن والهوى فالمسلم يحذر ذلك، يحذر ظنه وهواه، قال تعالى في الكفرة: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾ [النجم: ٢٣] هذه مستنداتهم اتباع الظن والهوى؛ فالواجب الحذر من مشابهة الكفار في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦] إذا كان لهوى أساء الظن بأخيه وتكلم فيه بغير حق والرسول يقول: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ**»، قال رجل: يا رسول الله، إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**» بطر الحق وغمط الناس هذا الكبر

بطر الحق؛ يعني: رده، دفع الحق إذا خالف هواه غمط الناس؛ يعني: احتقار الناس، أما كون إنسان يلبس ثوبًا حسنًا ونعلًا حسنًا أو عباءة حسنة ليس هذا من الكبر «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**»، الكِبْرُ ويقول ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». هذا وعيد يفيد الحذر من الكبر وهو غمط الناس، واحتقار الناس، يرى نفسه فوقهم، هكذا همزهم ولمزهم وعيبهم، الله يقول: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١]؛ فالمسلم لا يكون عيّابًا للناس، همّازًا لمّازًا ساخرًا من الناس، أو يسيء الظن بهم على غير دليل، كل هذا مما يسبِّب الشحناء والعداوة والبغضاء بين الناس فالواجب الحذر، وكذلك لا يعجب بعمله يحتقر الناس، يرى أن عمله فوقهم، قال رجل لشخص، والله لا يغفر لفلان، في بعض الروايات أنه كان ينصحه فلم ينتصح فغضب عليه، والله لا يغفر الله لك، فغضب الله عليه فقال الله ﷻ: «**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» هذا أُعجب بعمله، ظن أنه يئس من هذا الرجل فقال هذا الكلام، لا يجوز ولو وجدته على المعاصي تدعو له ولا تقول: والله لا يغفر لفلان هل عندك من الله كتاب؟ عندك من الله أمر؟ قد يتوب ويغفر الله له فلا يجوز التعدي والجرأة على الله، والله لا يغفر الله لك، والله لا تدخل الجنة، هذا غلط؛ ولكن يقول: اتق الله، راقب الله، اعمل كذا، دع كذا يا أخي اتق الله، هذا يجوز، هذا لا يجوز، هذا واجب، هذا محرم، ينصح، أما يتألى على الله، يقسم على الله، يتحجر على الله أنه ما يغفر لفلان أو لا يدخل الجنة، هذا لا يجوز، فإن الأمر بيد الله قد يهديه الله ويتوب الله عليه ويدخله الجنة.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢][(١)].

يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخوُّن للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا فليتجنب كثير منه احتياطًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»[(٢)]، فالواجب على المؤمن أن يحذر شر لسانه، وشر ظنه بأخيه، وأن يحسن به الظن، ما لم يتبين خلاف ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروِّينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا وأنت تجد لها في الخير محملًا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الذي ينبغي بين المؤمنين، حسن الظن، حمل الكلام على أحسنه، ولهذا يروى عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لا تظنن بكلمة صدرت من أخيك شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا»[(٣)]؛ يعني: مهما أمكن حمل

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه، حتى ينكح أو يدع، برقم (٥١٤٣)، وانظر: (٦٠٢٤ و٦٠٦٦ و٦٧٢٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، برقم (٢٥٦٣).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٧/ ٣٧٩ برقم ٨١١٤).

كلام أخيك على السلامة فهو أولى، حفاظًا على المودة والمحبة وعدم التهاجر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو عبد الله ابن ماجه: حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري، حدثنا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**»(١).

مداخلة: أحسن الله إليك! من قال: ما انفرد به ابن ماجه يكون ضعيف هل هو صحيح هذا القول؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

غالبًا أفراد ابن ماجه غالبًا ضعيفة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**» تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه، وقال مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانًا**»، رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن العتبي عن مالك.

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، برقم (٣٩٣٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، ومسلم وأبو داود عن العتبي عن مالك به، وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي العدوي، حدثنا بكر بن عبد الوهاب المدني، حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصاري، حدثني عبد الرحمٰن بن محمد بن أبي الرجال، عن أبيه، عن جده حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لازمات لأمتي: الطيرة والحسد**»[1].

«**ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن**، فقال رجل: وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال ﷺ: **إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيَّرت فامضِ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو العلاج، الطيرة ما أمضاك أو ردك، فإذا تطير.. إذا تشاءم فلا ترده عن حاجته حتى يبطل الطيرة، حتى يخالفها، وإذا حسد فليستغفر الله؛ لأن هذا نوع اعتراض على نعمة الله جَلَّ وَعَلَا، فالإنسان إذا وقع في قلبه منها شيء فليستغفر الله، ويحذر أن يحسد أخاه أو يظلمه، وإذا ظن ظن سوء فلا يحقق، لا يجزم بما قال من ظن السوء، وليستغفر الله أيضًا ويترك ظن السوء، فإن الإنسان مسؤول عن عينه وأذنه وعن كلامه وعن قلبه، فليحذر أن يظن بأخيه إلا خيرًا، ويحذر الحسد الذي هو ظلم.

مداخلة: يبرك ويستغفر يا شيخ.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٧٢ برقم ٣١٥٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: محل نظر.

مداخلة: الرؤيا إذا رأى الإنسان رؤيا وهو يريد السفر، إنسان رئيت له بأنه سيحدث له كذا وكذا فانتهى عن السفر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم.

مداخلة: إذا تحقَّقت من هذا الظن السوء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا تحقق إذا ظننت السوء لا تحققه في أخيك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتي ابن مسعودٍ فقيل: هذا فلانٌ تقطر لحيته خمرًا، فقال عبد الله: إنّا قد نهينا عن التّجسّس، ولكن إن يظهر لنا شيءٌ نأخذ به»[١].

سمَّاه ابن أبي حاتم في روايته: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا ليث، عن إبراهيم بن نشيط الخولاني، عن كعب بن علقمة، عن أبي الهيثم، عن دجين كاتب عقبة قال: قلت لعقبة:

إن لنا جيرانًا يشربون الخمر وأنا داعٍ لهم الشُّرَط فيأخذونهم، قال: لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم، قال: ففعل فلم ينتهوا، قال: فجاءه دجين، فقال: إني قد نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داعٍ لهم الشرط فتأخذهم، فقال له عقبة: ويحك! لا تفعل؟ فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا**»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث زيد بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب «الأدب»، باب في التجسس، برقم (٤٨٩٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٥٣).

ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه، وقال سفيان الثوري: عن راشد بن سعد عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**»(١).

فقال أبو الدرداء رضي الله عنه كلمة سمعها معاوية رضي الله عنه من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها، ورواه أبو داود منفردًا به من حديث الثوري به.

وقال أبو داود أيضًا: حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معد يكرب وأبي أُمامة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: «**إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم**».

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾؛ أي: على بعضكم بعضًا، والتجسس غالبًا يطلق في الشر ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير، كما قال عز وجل إخبارًا عن يعقوب أنه قال: ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجسَّسوا ولا تحسَّسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»، وقال الأوزاعي: التجسس البحث عن الشيء، والتحسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتسمع على أبوابهم، والتدابر: الصرم. رواه ابن أبي حاتم عنه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود التجسّس هو التحسّس عن الشر، فينبغي للمؤمن البعد عن هذا الشيء، إن ظهر شيء قال به وإلا فلا يتبع عورات الناس، أما

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث معاوية رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب في التجسس برقم (٤٨٨٨).

التحسّس في الغالب يكون في الخير، فالمؤمن يفرح بستر عورة أخيه وعدم التجسس عليه؛ لأن الله قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ حتى تسود المحبة والوئام بين الناس والتعاون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ فيه نهي عن الغيبة، وقد فسَّرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا القعنبي، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «قيل: يا رسول الله! ما الغيبة؟ قال ﷺ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(١).

ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي.

وقال: حسن صحيح، ورواه ابن جرير، عن غندر، عن شعبة عن العلاء، وهكذا قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومسروق وقتادة وأبو إسحاق ومعاوية بن قرة، وقال أبو داود: حدثنا مسدد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبيِّن لنا الغيبة، وأنه ذكرك أخاك بما يكره، هذه هي الغيبة أن تذكره بما يكره، فإن كان ذلك فيه فقد اغتبته، وإن كان بريئًا فقد بهته، فالواجب الحذر من ذلك؛ لأنها تشيع الفاحشة، تشيع الفساد، تسبب البغضاء والعداوة، فالواجب على المؤمن الحذر منها.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، برقم (٢٥٨٩)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة، برقم (٤٨٧٤)، والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الغيبة، برقم (١٩٣٤)، والإمام أحمد ٢/ ٣٨٤ و٣٨٦.

مداخلة: عفا الله عنك! الغيبة سواءً في حضرته أو غيبته؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الغيبة في غيبته.

يستبيحه.. ويستحلُّه إن تيسر، وإلا يذكره بمحاسنه التي يعرفها بدل الغيبة، يذكره بمحاسنه التي يعلمها في المحافل التي اغتاب فيها، حتى يكون هذا بدل هذا مع استحلاله إن تيسر.

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ! إذا اجتمع أوصاف في بيت الذي يتعاطى فيه المنكر فهل يشرع التجسس عليهم حتى يؤخذوا بالغرة...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا.. النصيحة، ينصحهم إذا عرف ذلك ينصحهم، ولا يتجسس عليهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت للنّبيّ ﷺ: حسبك من صفيّة كذا وكذا، قال غير مسدّدٍ: تعني: قصيرةً. فقال ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»[1]، قالت: وحكيت له إنسانًا، فقال: «**مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**».

ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمٰن بن مهدي ووكيع ثلاثتهم عن سفيان الثوري، عن علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب الأرحبي، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا به، وقال: حسن صحيح.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتاب الأدب، باب في الغيبة، برقم (٤٨٧٥)

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يفيد الحذر من الغيبة، وأنها ذكرك أخاك بما يكره، لما قالت: «حسبك من صفية غير أنها قصيرة، قال: **لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**» من قبحها قولها أنها قصيرة؛ لأن هذا نوع من الذم، فهذا يدل على أن الغيبة مثلما قال ﷺ: «**ذِكرك أخاك بما يكره**» فإن المرأة لا ترضى أن يقال عند زوجها: إنها قصيرة أو إنها دميمة أو إنها سيئة الخلق أو كذا أو كذا مما تكره.

مداخلة: أحسن الله إليكم، إذا عرف من شخص الفساد والإفساد وجعل بيته وكرًا لشرب الخمور والقوادة ألا يراقب، أحسن الله إليكم، ويتجسس عليه، ولن تنفع معه النصيحة حتى يؤخذ على يديه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا عرف هذا.. أظهر هذا، هذا منكر يجب إنكاره، أما إذا كان يتستر بذلك فلا، ينصح، أما إذا كان لا يبالي يجاهر بهذه الأمور..

مداخلة: وإذا نصح ولم يتب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو. انصحه ولو مائة مرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثني ابن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، حدثنا حسان بن المخارق: «أن امرأة دخلت على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيدها إلى النبي ﷺ؛ أي: أنها قصيرة، فقال النبي ﷺ: «**اغتبتها**»[(١)].

والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا من رجحت

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٦/ ٢٠٦).

مصلحته كما في الجرح والتعديل، والنصيحة كقوله ﷺ لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**»(١).

وكقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم: «**أما معاوية فصعلوك، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه**». وكذا ما جرى مجرى ذلك، ثم بقيتها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود الغيبة محرمة إلا ما كان فيه مصلحة للمسلمين كجرح الرواة، وبذل النصيحة لمن ينتصح، وشكوى المظلوم لمن ظلمه، وما أشبه ذلك، فالأصل هو التحريم إلا ما ترجحت مصلحته، ولهذا يقول الشاعر:

الذم ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومُعرِّف ومحذر

هذه الستة تجمع مواضع الرخصة.

الذم ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومحذر

ولمظهر فسقًا مثل قوله: «**بِئْسَ، أَخُو الْعَشِيرَةِ**».

ولمُظهر فسقًا ومستفتٍ ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر

مداخلة: إن كان الرجل عُرف بعداوته للدعوة، دعوة التوحيد، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويتكلم في الصحف ويتكلم في المقالات؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: إذا أظهر منكر فهذه ما هي بغيبة.

مداخلة: يحذر منه باسمه؟

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب «الأدب»، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب برقم (٦٠٥٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقي فحشه، برقم (٢٥٩١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

(القارئ): ثم بقيتها على التحريم.

مداخلة: الذي قال عنه النبي ﷺ: «**بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ**». هو صحابي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سلَّم عليه، جاء دخل عليه واستأذن به فأذِن له، وقال: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**» دلَّ على جواز غيبته؛ لأنه عرف عنه أنه لا خير فيه، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

مداخلة: أحسن الله إليكم! هل هو صحابي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يسمَّى صحابي؛ لأنه قابل النبي ﷺ.

مداخلة: أحسن الله إليكم! قول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرجل الفاجر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم «**بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ**».

مداخلة: أعد البيت، أحسن الله إليكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الذم ليس بغيبة في ستة   متظلم ومعِّرف ومحذر
ولمُظهر فُسقًا ومستفت ومن   طلب الإعانة في إزالة منكر

مداخلة: أحسن الله إليك، يكون التعبير. ويستثنى من ذلك إلا ما رجحت أو من رجحت؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ومن المعنى واضح.

مداخلة: عندنا ما رجحت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رجحت يعود للمسألة، ومن جهة الشخص.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال ﷻ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾؛ أي: كما تكرهون هذا طبعًا فاكرهوا ذلك شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها، كما قال ﷺ في العائد في هبته: «**الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ**»[1]، وقد قال ﷺ: «**لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ، الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ**». وقال ﷺ في خطبة حجة الوداع: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[2]، وقال أبو داود: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا أسباط بن محمد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، مَالُهُ وَعِرْضُهُ وَدَمُهُ، حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»، ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط بن محمد، عن أبيه به، وقال: حسن غريب، وحدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن خديج، عن أبي بردة البلوي.

عن أبي بردة البلوي قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ**».

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها، برقم (٢٥٨٩)، ومسلم في كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل، برقم (١٦٢٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

«وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[١]، تفرد به أبو داود، وقد روي من حديث البراء بن عازب.

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا إبراهيم بن دينار، حدثنا مصعب بن سلام، عن حمزة بن حبيب الزيات، عن أبي إسحاق السبيعي، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها ـ أو قال: في خدورها ـ فقال: **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**».

طريق أخرى: عن ابن عمر، قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي: حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا يحيى بن أكثم، حدثنا الفضل بن موسى الشيباني، عن الحسين بن واقد.

حدثنا يحيى بن أكثم، حدثنا الفضل بن موسى السيناني عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»، قال: «وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ»، قال أبو داود: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا قتيبة، عن ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول عن وقاص بن ربيعة عن المسور أنه حدَّثه

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب في الغيبة، برقم (٤٨٨٠)، والإمام أحمد (٤/ ٤٢٠ و٤٢٤).

أن النبيَّ ﷺ قال: **«مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كُسِيَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(١).

«مَنْ كُسِيَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» تفرَّد به أبو داود، وحدثنا ابن مصفى، حدثنا بقية وأبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمٰن بن جبير عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»**(٢).

تفَّرد به أبو داود، وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به.

«قلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» تفرد به أبو داود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: سنده جيد لا بأس به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث المستورد رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب في الغيبة، برقم (٤٨٨١)، والإمام أحمد (٤/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود من أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب في الغيبة برقم (٤٨٧٨)، والإمام أحمد (٣/ ٢٢٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبدة، أخبرنا أبو عبد الصمد بن عبد العزيز العمِّي، أخبرنا أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: «قلنا: يا رسول الله! حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال: «**ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجُذوة مثل النعل، ثم يضعونه في في أحدهم فيقال له: كل كلما أكلت وهو يجد من أكله الموت، يا محمد لو يجد الموت وهو يكرهه عليه فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة**» وهو[1].

«**كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت، يا محمد لو يجد الموت وهو يكرهه عليه فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة، فيقال: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه وهو يكرهه على أكل لحمه**». هكذا أورد هذا الحديث، وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان، ولله الحمد والمنة.

وقال أبو داود الطيالسي في «مسنده»: حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس: «أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يصوموا يومًا ولا يفطرن أحد حتى آذن له، فصام الناس، فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله ﷺ، فيقول: ظللت منذ اليوم صائمًا فائذن لي فأفطر فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له، حتى جاء رجل، فقال: يا رسول الله! إن امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فائذن لهما فليفطرا، فأعرض عنه، ثم أعاد فقال رسول الله ﷺ: **ما صامتا، وكيف صام من ظل يأكل من لحوم الناس؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا**، ففعلتا، فقاءت كل واحدة منهما علقة، فأتى النبي ﷺ فأخبره،

---

(١) أخرجه الطبراني في تهذيب الآثار برقم (١/ ٢٦).

فقال رسول الله ﷺ: **لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار»** إسناد ضعيف ومتن غريب، وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون.

حدثنا سليمان التيمي قال: سمعت رجلًا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله ﷺ: «أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ، وأن رجلًا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن هاهنا امرأتين صامتا وإنهما كادتا تموتا من العطش ـ أراه قال: بالهاجرة ـ فأعرض عنه أو سكت عنه، فقال: يا نبي الله! إنهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان فقال: **ادعهما** فجاءتا، قال: فجيء بقدح أو عس، فقال لإحداهما: **قيئي** فقاءت من قيح ودم وصديد، حتى قاءت نصف القدح، ثم قال للأخرى: **قيئي** فقاءت قيحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا ودمًا عبيطًا وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال: **إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما، وأفطرتا على ما حرَّم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»**. وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي، كلاهما عن سليمان بن صوعان التيمي(١).

مداخلة: عندنا شكلها بكسر الطاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ننظر فيه، المقصود أنه حديث ضعيف ليس بصحيح، انظر سليمان بن طرخان في «التقريب»، هل ضبط فتح الطاء أو كسر الطاء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلاهما عن سليمان بن طرخان التيمي به مثله أو نحوه، ثم رواه أيضًا من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث، حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله ﷺ: «**أنهم**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٣١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٨٤).

أمروا بصيام، فجاء رجل في نصف النهار، فقال: يا رسول الله! فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد، فأعرض عنه مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: **ادعهما**، فجاء بعس أو قدح، فقال لإحداهما: **قيئي**، فقاءت لحمًا ودمًا عبيطًا وقيحًا، وقال للأخرى مثل ذلك، ثم قال: **إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، أتت إحداهما للأخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحًا**». قال البيهقي: كذا قال عن سعد، والأول وهو عبيد أصح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم المقصود من هذا التحذير من الغيبة، الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾: الغيبة هي أكل لحوم الناس «**ذِكرك أخاك بما يكره**»، فالواجب الحذر، أما الحديث فهو ضعيف؛ لكن المقصود التحذير من هذا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ يجب على المؤمن أن يحذر، وأن يبتعد عن الخوض في لحوم الناس مع ما يترتب على هذا من الشر العظيم.

ماذا قال؟

مداخلة: قال: سليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر البصري، نزل في التيم فنسب إليها، ثقة عابد، من الرابعة مات سنة ثلاث وأربعين، وهو ابن سبع وتسعين.

مداخلة: مضبوط في المقدمة، مقدمة الفتح مضبوط بكسر الطاء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير عن ابن عمر لأبي هريرة أن ماعزًا.

في حاشية عمر بتشديد الميم مبني للمجهول.

عن ابن عم لأبي هريرة: «أن ماعزًا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني قد زنيت، فأعرض عنه حتى قالها أربعًا، فلما كان في الخامسة قال: **زنيت؟** قال: نعم. قال: **وتدري ما الزنا؟** قال: نعم أتيت منها حرامًا ما يأتي الرجل من امرأته حلالًا. قال: **ما تريد إلى هذا القول؟** قال: أريد أن تطهرني. قال: فقال رسول الله ﷺ: **أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المُكحلة والرشا في البئر؟**»، قال: نعم يا رسول الله، قال: فأمر به فرجم فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما تثبَّت منه النبي ﷺ ليعرف أنه يعقل ما يقول؛ لأن الغالب على الناس يستترون بهذه الأشياء، ويحبون أن لا يطلع أحد على ذلك، فلما رآه يصرِّح بهذا الأمر خشي أن يكون في عقله شيء أو في فهمه شيء، فاستثبته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، المقصود أن من أتى هذا الباطل فالواجب عليه التوبة إلى الله والاستتار بستر الله، وعدم الحاجة إلى الظهور بذلك؛ بل يستتر بستر الله ويتوب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ويندم ومن تاب تاب الله عليه، لكن متى أظهر صفحته وطلب الحد يقام عليه الحد.

مداخلة: هل يلزم تكرار الإقرار؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحد بالإقرار، إذا أقر مثلما أحدَّ النبي ﷺ ماعز والجُهَنية كلهم أحدَّهم بالإقرار.

(القارئ): لا بد من أربع مرات يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في خلاف، منهم من اشترط أربعًا، ومنهم من لا يشترط، والأقرب عدم الاشتراط.

مداخلة: عفا الله عنك! الأفضل الستر أو إعلان التوبة أفضل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأفضل إنه يستتر بستر الله ولا يعلن التوبة للناس، يتوب إلى الله، بينه وبين ربه.

مداخلة: ولو تزوجها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد التوبة لا بأس، إذا تابا جميعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم ترَ إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجِم رجم الكلب؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار، فقال: **أين فلان وفلان؟** انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار. قالا: غفر الله لك يا رسول الله، وهل يؤكل هذا؟ قال ﷺ: **فما نلتما من أخيكما آنفًا أشد أكلًا منه والذي نفسي بيده! إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها**» إسناد صحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أكبر، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه، بتوبته الصحيحة.

مداخلة: الحديث مع تخريجه بارك الله فيكم.

مداخلة: إسناده ضعيف؛ لجهالة ابن عم أبي هريرة، وأخرجه البيهقي في الحدود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا. الحديث جاء في «الصحيحين» أصله في الصحيحين، أقول: الحديث جاء في الصحيح ومستغنى عن هذه الرواية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثني أبي، حدثنا واصل

مولى ابن عيينة، حدثني خالد بن عرفطة، عن طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ، فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال رسول الله ﷺ: **أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس**».

طريق أخرى: قال عبد بن حميد في «مسنده»: حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فهاجت ريح منتنة، فقال النبي ﷺ: **إن نفرًا من المنافقين اغتابوا ناسًا من المسلمين، فلذلك بعثت هذه الريح، وربما قال: فلذلك هاجت هذه الريح**»، وقال السدي في قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: زعم «أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدمهما، ويخف لهما، وينال من طعامهما، وأن سلمان رضي الله عنه لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان رضي الله عنه نائمًا لم يسر معهم، فجعل صاحباه يكلمانه فلم يجداه، فضربا الخباء، فقالا: ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئًا غير هذا أن يجيء إلى طعام مقدور وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما إدامًا، فانطلق، فأتى رسول الله ﷺ ومعه قدح له، فقال: يا رسول الله! بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك، قال ﷺ: **ما يصنع أصحابك بالأدم؟**».

«**قد ائتدموا**، فرجع سلمان رضي الله عنه يخبرهما بقول رسول الله ﷺ، فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعامًا منذ نزلنا، قال رسول الله ﷺ: **إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما**، قال: ونزلت ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ إنه كان نائمًا».

وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «المختار» من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أحسن الله إليكم في كتابه «المختارة» من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو المعروف حبان، حبان بن هلال، نعم. حبان بن هلال معروف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

من طريق حبان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت العرب تخدم بعضها بعضًا في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيء لهما طعامًا، فقالا: إن هذا لنئوم فأيقظاه فقالا له: ائت رسول الله ﷺ فقل له: إن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقرئانك السلام ويستأدمانك، فقال ﷺ: **إنهما قد ائتدما فجاءا**، فقالا: يا رسول الله! بأي شيء ائتدمنا؟ فقال ﷺ: **بلحم أخيكما، والذي نفسي**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني قولهما: إنه لنئوم، نعم. يعني: يكره أن يقال: نئوم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما**، فقالا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: استغفر لنا يا رسول الله، فقال ﷺ: **مراه فليستغفر لكما**»[١].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا محمد بن مسلمة، عن محمد بن إسحاق.

مداخلة: ... سلَّمك الله يا شيخ، هل يكفي في كفارة الغيبة الاستغفار أو الاستحلال.

---

(١) المختارة برقم (١٧٩٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أو يبيحهم يقول: سامحكم الله.

مداخلة: الحديث الوارد في ذلك صحيح سلَّمك الله؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، ضعيف، كفارة من اغتبته أن تستغفر له. نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا محمد بن مسلم عن محمد بن إسحاق عن عمِّه موسى بن يسار عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة، فيقال له: كله ميتًا كما أكلته حيًّا، قال: فيأكله ويكلح ويصيح**» غريب جدًّا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو بهذا السند ضعيف عنعنة ابن إسحاق، ويكفي نص القرآن ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ يكفي. نعم، اللَّهُمَّ صلِّ عليه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَۚ﴾؛ أي: فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: تواب على من تاب إليه، رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه، قال الجمهور من العلماء: طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك، ويعزم على أن لا يعود، وهل يُشترط الندم على ما فات؟ فيه نزاع، وأن يتحلل من الذي اغتابه، وقال آخرون: لا يُشترط أن يتحلله، فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذَّى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه، فطريقه إذًا أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته؛ لتكون تلك بتلك، كما قال الإمام أحمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا على حسب التيسير يستغفر له، ويدعو له، ويندم على ما

مضى، ويعزم أن لا يعود، ويتحلَّله، هذا الصواب إذا تيسر، أما إذا خشي أن التحلل يضر فلا حاجة، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: **«مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ حِينَ لَا يَكُونُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ»**(١). فإذا تيسَّر تحلُّله فهذا أطيب يقول: يا أخي! تكلمت كلمة في حقك، أبحني وسامحني، وإذا كان يخشى أن يكون الشر أكبر ترك ذلك وذكر محاسنه التي يعرفها منه، في المواضع التي اغتابه فيها، مع الندم والإقلاع والعزم ألا يعود، ويذكر محاسنه التي يعرفها في الأماكن التي اغتابه فيها.

مداخلة: عفا الله عنك! قوله: وهل يشترط الندم فيه نزاع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الصواب: أنه لا بد من الندم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن الحجاج، حدثنا عبد الله، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ»**. أَرَاهُ قَالَ: **«بَعَثَ اللهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»**(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وفي الحديث الآخر: **«مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/٥٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب الأدب، باب الرجل يذب عن عرض أخيه برقم (٤٨٨٢)، والإمام أحمد (٢/٤٤١).

النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١) حديث أبي الدرداء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ».

وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الله وهو ابن المبارك به بنحوه، وقال أبو داود أيضًا: حدثنا إسحاق بن الصباح، حدثنا ابن أبي مريم، أخبرنا الليث، حدثني يحيى بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بشير يقول: سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقولان: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِن امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ**» تفرد به أبو داود(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: و«**المسلم أخو المسلم**».

مداخلة: هذا الحديث صحيح؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحتاج إلى تأمل، سنده يحتاج إلى تأمل. والمقصود: وجوب الحذر من الغيبة، والمؤمن ينصر أخاه إذا انتهكت محارمه، ويذب عنه، نعم وهذا شأن المؤمنين ﴿**وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١].

*

(١) أخرجه الترمذي في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم برقم (١٩٣١)، والإمام أحمد (٦/ ٤٤٩ و٤٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة برقم (٤٨٨٤).

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات: ١٢](١).

يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخوُّن للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا فليتجنب كثير منه احتياطًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا يقول ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»**(٢). فالواجب على المؤمن أن يحذر شر لسانه، وشر ظنه بأخيه، وأن يحسن به الظن، ما لم يتبين خلاف ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروِّينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا وأنت تجد لها في الخير محملًا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الذي ينبغي بين المؤمنين، حسن الظن، حمل الكلام على أحسنه، ولهذا يُروى عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لا تظنن بكلمة صدرت من أخيك شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا»، يعني: مهما أمكن حمل كلام أخيك على السلامة فهو أولى؛ حفاظًا على المودة والمحبة وعدم التهاجر.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) سبق تخريجه في (ص٣٧٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو عبد الله ابن ماجه: حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري، حدثنا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت النبي ﷺ.

حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري.

حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري.

حدثنا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: **مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**»[(١)].

حدثنا عبد الله بن عمر.

وقال أبو عبد الله بن ماجه: حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي.

حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري، حدثنا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**».

حمد بن سليمان أبوه «التقريب» أيضًا.

مداخلة: أحسن الله إليك! من قال: ما انفرد به ابن ماجه يكون ضعيفًا هل هو صحيح هذا القول؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، لا، غالبًا أفراد ابن ماجه غالبًا ضعيفة.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٧٣).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«**وأن يظن به إلا خير**» تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه، وقال مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»[1]. رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، ومسلم عن يحيى بن يحيى، وأبو داود عن العتبي عن مالك به.

رواه البخاري عن عن الله بن يوسف، ومسلم عن يحيى بن يحيى، وأبو داود عن العتبي عن مالك به.

وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»[2]. رواه مسلم والترمذي وصححه من حديث سفيان بن عيينة به، وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي العدوي، حدثنا بكر بن عبد الوهاب المدني، حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصاري، حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الرجال، عن أبيه، عن جده حارثة بن النعمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لازمات لأمتي: الطيرة والحسد**»[3].

---

(١) سبق تخريجه (٣٧٢).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر برقم (٦٠٦٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر برقم (٢٥٥٩).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم من الآحاد والمثاني، والطبراني في المعجم الكبير. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة، والحسد، وسوء الظن**، فقال رجل: وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال ﷺ: **إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو العلاج، الطيرة، ما أمضاك أو ردَّك، فإذا تطير.. إذا تشاءم فلا تردّه عن حاجته حتى يبطل الطيرة، حتى يخالفها، وإذا حسد فليستغفر الله؛ لأن هذا نوع اعتراض على نعمة الله ﷻ، فالإنسان إذا وقع في قلبه منها شيء فليستغفر الله ويحذر أن يحسد أخاه أو يظلمه، وإذا ظن ظن سوء فلا يحقق، لا يجزم بما قال من ظن السوء، وليستغفر الله أيضًا ويترك ظن السوء، فإن الإنسان مسؤول عن عينه وأذنه وعن كلامه وعن قلبه، فليحذر أن يظن بأخيه إلا خيرًا، ويحذر الحسد الذي هو ظلم.

مداخلة: يبرك ويستغفر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: محل نظر.

مداخلة: الرؤيا إذا رأى الإنسان رؤيا وهو يريد السفر، إنسان رئيت له بأنه سيحدث له كذا وكذا فانتهى عن السفر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم.

مداخلة: إذا تحققت من هذا الظن السوء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا تحقق إذا ظننت السوء لا تحققه في أخيك.

---

(١) أخرجه الطبراني (٣/ ٢٢٨) برقم (٣٢٢٧)، قال الهيثمي (٨/ ٧٨): فيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف، وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٧) برقم (١٩٦٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد رضي الله عنه قال: «أتي ابن مسعود رضي الله عنه برجل، فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا، فقال عبد الله رضي الله عنه: قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به». سمَّاه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا ليث، عن إبراهيم بن نشيط الخولاني، عن كعب بن علقمة، عن أبي الهيثم، عن دجين كاتب عقبة قال: قلت لعقبة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: كاتب عقبة قال: قلت لعقبة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ضع نسخة دخين. نسخة. نعم، أنت نسخة عندك دجين، ضع نسخة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[إن لنا جيرانًا يشربون الخمر وأنا داعٍ لهم الشُّرَط فيأخذونهم، قال: لا تفعل ولكن عِظهم وتهدَّدهم، قال: ففعل فلم ينتهوا، قال: فجاءه دجين، فقال: إني قد نهيتهم فلم ينتهوا وإني داعٍ لهم الشُّرَط فتأخذهم، فقال له عقبة: ويحك! لا تفعل؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءودَةً مِنْ قَبْرِهَا»**، ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه[1]، وقال سفيان الثوري: عن راشد بن سعد عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»**[2]،

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عتبة رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب في الستر عن المسلم برقم (٤٨٩١)، والنسائي في الكبرى برقم (٧٢٨٣)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ١٥٣).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٧٦).

فقال أبو الدرداء ﷺ: كلمة سمعها معاوية ﷺ من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها، ورواه أبو داود منفردًا به من حديث الثوري به.

وقال أبو داود أيضًا: حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معد يكرب وأبي أُمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ**»(١).

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾؛ أي: على بعضكم بعضًا، والتجسس غالبًا يطلق في الشر ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير، كما قال ﷻ إخبارًا عن يعقوب أنه قال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقد يستعمل كل منهما في الشر، كما ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجسَّسوا ولا تحسَّسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»، وقال الأوزاعي: التجسس البحث عن الشيء، والتحسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتسمع على أبوابهم، والتدابر: الصرم. رواه ابن أبي حاتم عنه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود التجسس هو التحسس عن الشر، فينبغي للمؤمن البعد عن هذا الشيء، إن ظهر شيء قال به وإلا فلا يتبع عورات الناس، أما التحسس ففي الغالب يكون في الخير، فالمؤمن يفرح بستر عورة أخيه وعدم التجسس عليه؛ لأن الله قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ حتى تسود المحبة والوئام بين الناس والتعاون.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ فيه نهي عن الغيبة، وقد

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث المقدام وأبي أمامة ﷺ في كتاب الأدب، باب في التجسس برقم (٤٨٨٩)، والإمام أحمد (٦/ ٤).

فسرها الشارع، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا القعنبي، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «قيل: يا رسول الله! ما الغيبة؟ قال ﷺ: **ذِكرك أخاك بما يكره**، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ ﷺ: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**» ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي].

وقال: حسن صحيح، ورواه ابن جرير، عن غندر، عن شعبة عن العلاء، وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما، ومسروق وقتادة وأبو إسحاق ومعاوية بن قرة، وقال أبو داود: حدثنا مسدد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يبين لنا الغيبة وأنه ذكرك أخاك بما يكره، هذه هي الغيبة أن تذكره بما يكره، فإن كان ذلك فيه فقد اغتبته، وإن كان بريئًا فقد بهتَّه، فالواجب الحذر من ذلك؛ لأنها تشيع الفاحشة، تشيع الفساد، تسبب البغضاء والعداوة، فالواجب على المؤمن الحذر منها، نعم.

مداخلة: عفا الله عنك! الغيبة سواءً في حضرته أو غيبته؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الغيبة في غيبته.

مداخلة:

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يستبيحه.. يستحله إن تيسر وإلا يذكره بمحاسنه التي يعرفها بدل الغيبة، يذكره بمحاسنه التي يعلمها في المحافل التي اغتاب فيها، حتى يكون هذا بدل هذا مع استحلاله إن تيسر.

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ! إذا اجتمع أوصاف في بيت الذي يتعاطى فيه المنكر فهل يشرع التجسس عليهم حتى يؤخذوا بالغرة...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا.. النصيحة، ينصحهم إذا عرف ذلك ينصحهم، ولا يتجسس عليهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، ـ قال غير مسدد: تعني قصيرة ـ فقال ﷺ: **لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»[(١)]. قالت: وحكيت له إنسانًا، فقال ﷺ: «**مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**». ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمٰن بن مهدي ووكيع ثلاثتهم عن سفيان الثوري، عن علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب الأرحبي، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا به، وقال: حسن صحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يفيد الحذر من الغيبة، وأنها ذكرك أخاك بما يكره، لما قالت: «حسبك من صفية غير أنها قصيرة، قال: **لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**» من قبحها قولها أنها قصيرة؛ لأن هذا نوع من الذم، فهذا يدل على أن الغيبة مثلما قال ﷺ: «**ذِكرك أخاك بما يكره**»[(٢)].

فإن المرأة لا ترضى أن يقال عند زوجها: إنها قصيرة، أو إنها دميمة، أو إنها سيئة الخلق أو كذا أو كذا مما تكره.

مداخلة: أحسن الله إليكم، إذا عرف من شخص الفساد والإفساد وجعل بيته وكرًا لشرب الخمور والقوادة، ألا يراقب ـ أحسن الله إليكم ـ ويتجسس عليه ولن تنفع معه النصيحة حتى يؤخذ على يديه؟

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٧٨).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٧٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا عرف هذا . . أظهر هذا، هذا منكر يجب إنكاره، أما إذا كان يتستر بذلك فلا، ينصح، أما إذا كان لا يبالي، يجاهر بهذه الأمور.

مداخلة: وإذا نُصِح ولم يتب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو. انصحه ولو مائة مرة. نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثني ابن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، حدثنا حسان بن المخارق: «أن امرأة دخلت على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بيدها إلى النبي ﷺ ـ أي: أنها قصيرة ـ فقال النبي ﷺ: **اغتبتها**».

والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك إلا من رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل، والنصيحة كقوله ﷺ لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «**ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ!**»[1]، وكقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وقد خطبها معاوية وأبو الجهم: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكَحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ**»[2]، وكذا ما جرى مجرى ذلك، ثم بقيتها].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المقصود الغيبة محرمة إلا ما كان فيه مصلحة للمسلمين كجرح الرواة، وبذل النصيحة لمن ينتصح، وشكوى المظلوم لمن ظلمه، وما أشبه ذلك، فالأصل هو التحريم إلا ما ترجحت مصلحته، ولهذا يقول الشاعر:

الذم ليس بغيبة في ستة … متظلم ومُعرِّف ومحذِّر

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٨٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها برقم (١٤٨٠).

ولمُظهر فسقًا ومستفتٍ ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

هذه الستة تجمع مواضع الرخصة، الذم ليس بغيبة في ستة:

متظلم ومعرف ومحذر ولمظهر فسقًا..

مثل قوله: «**بئس أخو العشيرة**».

ولمُظهر فسقًا ومستفتٍ ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

مداخلة: إن كان الرجل عُرف بعداوته للدعوة، دعوة التوحيد، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويتكلم في الصحف ويتكلم في المقالات؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا أظهر منكر فهذه ليست بغيبة.

مداخلة: يحذر منه باسمه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

(**القارئ**): [ثم بقيتها على التحريم].

مداخلة: الذي قال عنه النبي ﷺ: «**بئس أخو العشيرة**» هو صحابي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللهم صلِّ وسلم عليه، جاء دخل عليه واستأذن به فأذن له، وقال: «**ائذنوا له فإنه بئس أخو العشيرة**» دل على جواز غيبته؛ لأنه عرف عنه أنه لا خير فيه، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

مداخلة: أحسن الله إليكم! هل هو صحابي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يسمَّى صحابيًّا؛ لأنه قابل النبي ﷺ. وهو عيينة بن حصن الفزاري الغطفاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مداخلة: أحسن الله إليكم! قول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: الرجل الفاجر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إيه «**بئس أخو العشيرة**».

مداخلة: أعد البيت أحسن الله إليكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الذم ليس بغيبة في ستة متظلِّم ومعرِّف ومحذِّر
ولمُظهر فسقًا ومستفتٍ ومن طلب الإعانة في إزالة منكِر

مداخلة أحسن الله إليك يكون التعبير. ويستثنى من ذلك إلا ما رجحت أو من رجحت؟

(**الشيخ**): ما ومن المعنى واضح.

مداخلة: عندنا ما رجحت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما رجحت يعود للمسألة، ومن من جهة الشخص.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبَّهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾؛ أي: كما تكرهون هذا طبعًا فاكرهوا ذلك شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها، كما قال ﷺ في العائد في هبته: «**الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ**»[١]، وقد قال: «**ليس لنا مثل السوء**». وثبت في الصِّحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه ﷺ قال في خطبة حجة الوداع: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**»[٢]، وقال أبو داود: حدثنا واصل بن

---

(١) سبق تخريجه في (٣٨٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: رُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع برقم (٦٧)، ومسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

عبد الأعلى، حدثنا أسباط بن محمد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»**(١)، ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط بن محمد، عن أبيه به، وقال: حسن غريب، وحدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن خديج، عن أبي بردة البلوي.

قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»**، تفرد به أبو داود، وقد روي من حديث البراء بن عازب.

وقال الحافظ أبو يعلى في «مسنده»: حدثنا إبراهيم بن دينار، حدثنا مصعب بن سلام، عن حمزة بن حبيب الزيات، عن أبي إسحاق السبيعي، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها ـ أو قال: في خدورها ـ فقال: **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعُ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ»**(٢).

طريق أخرى: عن ابن عمر، قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي: حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا يحيى بن أكثم، حدثنا الفضل بن موسى الشيباني، عن الحسين بن واقد.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٢٤).

حدثنا يحيى بن أكثم، حدثنا الفضل بن موسى السيناني عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنه من يتَّبع عورات المسلمين يتَّبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**». قال: ونظر ابن عمر يومًا إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك ولَلمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»، قال أبو داود: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا قتيبة، عن ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول عن وقاص بن ربيعة عن المسور أنه حدَّثه، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُ مِثْلِهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كَسَيَ ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةُ**»[١].

«**ومن كُسي ثوبًا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله في جهنم، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله تعالى يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة**» تفرد به أبو داود، وحدثنا ابن مصفى، حدثنا بقية وأبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمٰن بن جبير عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**»[٢]، تفرد به أبو داود. وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٨٤).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٨٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: سنده جيد لا بأس به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبدة، أخبرنا أبو عبد الصمد بن عبد العزيز العمِّي، أخبرنا أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: «قلنا: يا رسول الله! حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال: **ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدهم فيقال له: كل**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كل كما.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت، يا محمد لو يجد الموت وهو يكرهه عليه فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمَّازون اللمَّازون أصحاب النميمة، فيقال: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه وهو يكرهه على أكل لحمه**». هكذا أورد هذا الحديث، وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان، ولله الحمد والمنة.

وقال أبو داود الطيالسي في «مسنده»: حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس: «أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يصوموا يومًا ولا يفطرن أحد حتى آذن له، فصام الناس، فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله ﷺ، فيقول: ظللت منذ اليوم صائمًا فائذن لي فأفطر فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له، حتى جاء رجل، فقال: يا رسول الله! إن امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فائذن لهما

فليفطرا، فأعرض عنه، ثم أعاد فقال رسول الله ﷺ: **ما صامتا، وكيف صام من ظل يأكل من لحوم الناس؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا**، ففعلتا، فقاءت كل واحدة منهما علقة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: **لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار**» إسناد ضعيف ومتن غريب، وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا سليمان التيمي قال: سمعت رجلًا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله ﷺ: «أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ، وأن رجلًا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن هاهنا امرأتين صامتا وإنهما كادتا تموتا من العطش ـ أراه قال: بالهاجرة ـ فأعرض عنه أو سكت عنه، فقال: يا نبي الله! إنهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان فقال: **ادعهما** فجاءتا، قال: فجيء بقدح أو عس، فقال لإحداهما: **قيئي**، فقاءت من قيح ودم وصديد، حتى قاءت نصف القدح، ثم قال للأخرى: **قيئي**، فقاءت قيحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا ودمًا عبيطًا وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال: **إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما، وأفطرتا على ما حرَّم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس**»(١)، وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي كلاهما عن سليمان بن صوعان التيمي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ننظر فيه المقصود أنه حديث ضعيف ليس بصحيح، انظر سليمان بن طرخان في «التقريب»، هل ضبط فتح الطاء أو كسر الطاء؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلاهما عن سليمان بن طرخان التيمي به مثله أو نحوه، ثم رواه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٣١).

أيضًا من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله ﷺ: «أنهم أمروا بصيام، فجاء رجل في نصف النهار، فقال: يا رسول الله! فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد، فأعرض عنه مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: **ادعهما**، فجاء بعس أو قدح، فقال لإحداهما: **قيئي** فقاءت لحمًا ودمًا عبيطًا وقيحًا، وقال للأخرى مثل ذلك، ثم قال: **إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، أتت إحداهما للأخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحًا**»[(١)]. قال البيهقي: كذا قال عن سعد، والأول وهو عبيد أصح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود من هذا التحذير من الغيبة، الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ الغيبة هي أكل لحوم الناس «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»[(٢)]؛ فالواجب الحذر، أما الحديث فهو ضعيف؛ لكن المقصود التحذير من هـذا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ يجب على المؤمن أن يحذر وأن يبتعد عن الخوض في لحوم الناس مع ما يترتب على هذا من الشر العظيم. ماذا قال؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير عن ابن عمر لأبي هريرة أن ماعزًا.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٨٦).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٧٧).

عن ابن عم لأبي هريرة: «أن ماعزًا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني قد زنيت، فأعرض عنه حتى قالها أربعًا، فلما كان في الخامسة قال: **زنيت؟** قال: نعم. قال: **وتدري ما الزنا؟** قال: نعم، أتيت منها حرامًا ما يأتي الرجل من امرأته حلالًا. قال: **ما تريد إلى هذا القول؟** قال: أريد أن تطهرني. قال: فقال رسول الله ﷺ: **أَدْخَلْتَ ذَلِكَ مِنك فِي ذَلِكَ مِنْهَا كَمَا يَغِيبُ الْمِيلُ فِي الْمُكْحُلَةِ وَالْعَصَا فِي الشَّيْءِ**». أو قال: «**وَالرِّشَاءُ فِي الْبِئْرِ؟**»[(١)].

قال: نعم يا رسول الله، قال: فأمر به فرُجم، فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما تثبَّت منه النبي ﷺ؛ ليعرف أنه يعقل ما يقول؛ لأن الغالب على الناس يستترون بهذه الأشياء ويحبون أن لا يطلع أحد على ذلك، فلما رآه يصرح بهذا الأمر خشي أن يكون في عقله شيء أو في فهمه شيء، فاستثبته عليه الصلاة والسلام، المقصود أن من أتى هذا الباطل فالواجب عليه التوبة إلى الله والاستتار بستر الله، وعدم الحاجة إلى الظهور بذلك؛ بل يستتر بستر الله ويتوب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ويندم، ومن تاب تاب الله عليه، لكن متى أظهر صفحته وطلب الحد يقام عليه الحد.

مداخلة: هل يلزم تكرار الإقرار؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يحد بالإقرار إذا أقر، مثلما أحدَّ النبي ﷺ ماعز والجُهَنية كلهم أحدهم بالإقرار.

مداخلة: لا بد من أربع مرات يا شيخ.

(**الشيخ**): في خلاف، منهم اشترط أربعًا، ومنهم من لا يشترط، والأقرب عدم الاشتراط.

---

(١) أخرجه البيهقي (٢/ ٤٣٩).

مداخلة: عفا الله عنك! الأفضل الستر وإلا إعلان التوبة أفضل؟

(**الشيخ**): الأفضل إنه يستتر بستر الله ولا يعلن التوبة للناس، يتوب إلى الله، بينه وبين ربه.

مداخلة: عفا الله عنك! ولو تزوجها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: بعد التوبة لا بأس، إذا تابا جميعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رجم الكلب؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار، فقال: **أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار**. قالا: غفر الله لك يا رسول الله، وهل يؤكل هذا؟ قال ﷺ: **فَمَا نِلْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا آنِفًا أَشَدُّ مِنْ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّهُ الآنَ لَفِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَنْغَمِسُ فِيهَا**»[1] إسناد صحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الله أكبر، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُ ورحمه، بتوبته الصحيحة.

مداخلة: الحديث مع تخريجه بارك الله فيكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم.

مداخلة: إسناده ضعيف؛ لجهالة ابن عم أبي هريرة، وأخرجه البيهقي في الحدود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، الحديث جاء في «الصحيحين» أصله في «الصحيحين»، أقول: الحديث جاء في الصحيح ومستغنى عن هذه الرواية.

---

(١) أخرجه الدارقطني من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٣/ ١٩٦ برقم ٣٣٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثني أبي، حدثنا واصل مولى ابن عيينة، حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي ﷺ، فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال رسول الله ﷺ: **أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس**».

طريق أخرى: قال عبد بن حميد في «مسنده»: حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فهاجت ريح منتنة، فقال النبي ﷺ: **إن نفرًا من المنافقين اغتابوا ناسًا من المسلمين، فلذلك بُعثت هذه الريح**، وربما قال: **فلذلك هاجت هذه الريح**»[1]، وقال السدي في قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: زعم «أن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما، وأن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نائمًا لم يسر معهم، فجعل صاحباه يكلمانه فلم يجداه فضربا الخباء، فقالا: ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئًا غير هذا أن يجيء إلى طعام مقدور وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما إدامًا، فانطلق، فأتى رسول الله ﷺ ومعه قدح له، فقال: يا رسول الله! بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك، قال ﷺ: **ما يصنع أصحابك بالأدم؟**».

[«**قد ائتدموا**، فرجع سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخبرهما بقول رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٤٩) برقم (١٠٣٠).

فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعامًا منذ نزلنا، قال رسول الله ﷺ: **إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما**، قال: ونزلت: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ إنه كان نائمًا».

وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «المختار» من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «المختارة» بالهاء.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾.

أحسن الله إليكم في كتابه «المختارة» من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو المعروف حبان، حبان بن هلال، نعم. حبان بن هلال نعم معروف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

من طريق حبان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت العرب تخدم بعضها بعضًا في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيء لهما طعامًا، فقالا: إن هذا لنئوم، فأيقظاه فقالا له: ائت رسول الله ﷺ فقل له: إن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقرئانك السلام ويستأدمانك، فقال ﷺ: **إنهما قد ائتدما، فجاءا**، فقالا: يا رسول الله! بأي شيء ائتدمنا؟ فقال ﷺ: **بلحم أخيكما، والذي نفسي**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني قولهما: إنه لنئوم. يعني: يكره أن يقال: نئوم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما**، فقالا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: استغفر لنا يا رسول الله، فقال ﷺ: **مُراه فليستغفر لكما**».

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا محمد بن مسلمة، عن محمد بن إسحاق.

مداخلة: أحسن الله إليكم، فضيلة الشيخ...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أحاديث جمعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ جيدة في الغالب جيدة، نعم، ولهذا قيل لها: المختارة اختارها من جملة كتب.

مداخلة: ... سلَّمك الله يا شيخ: هل يكفي في كفارة الغيبة الاستغفار أو الاستحلال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أو يبيحهم يقول: سامحكم الله. نعم.

● س: **الحديث الوارد في ذلك صحيح سلَّمك الله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ضعيف، كفارة من اغتبته أن تستغفر له.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا محمد بن مسلم عن محمد بن إسحاق عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرِّب إليه لحمه في الآخرة، فيقال له: كله ميتًا كما أكلته حيًّا، قال: فيأكله ويكلح ويصيح**»[١] غريب جدًّا.

(١) رواه أبو يعلى الموصلي برقم (٥٣٧٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو بهذا السند ضعيف عنعنه ابن إسحاق، ويكفي نص القرآن ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ يكفي. نعم، اللَّهُمَّ صلِّ عليه. نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: تواب على من تاب إليه، رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه، قال الجمهور من العلماء: طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود، وهل يشترط الندم على ما فات؟ فيه نزاع، وأن يتحلل من الذي اغتابه، وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلله، فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه، فطريقه إذًا أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته لتكون تلك بتلك كما قال الإمام أحمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا على حسب التيسير يستغفر له ويدعو له ويندم على ما مضى ويعزم أن لا يعود ويتحلله، هذا الصواب إذا تيسر، أما إذا خشي أن التحلل يضر فلا حاجة، في الحديث الصحيح يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ فَلْيَتَحَلَّلَهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يُوْخَذَ حِينَ لَا يَكُونُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكنْ لَهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ**»(١). فإذا تيسَّر تحلُّله فهذا أطيب يقول: يا أخي! تكلمت كلمة في حقك أبحني وسامحني، وإذا كان يخشى أن يكون الشر أكبر ترك ذلك وذكر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٥٠٦).

محاسنه التي يعرفها منه، في المواضع التي اغتابه فيها، مع الندم والإقلاع والعزم ألا يعود، ويذكر محاسنه التي يعرفها في الأماكن التي اغتابه فيها.

مداخلة: عفا الله عنك! قوله: وهل يشترط الندم فيه نزاع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الصواب: أنه لا بد من الندم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن الحجاج، حدثنا عبد الله، أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ» أُرَاهُ قَالَ: «بَعَثَ اللهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»**[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وفي الحديث الآخر: **«مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٢] حديث أبي الدرداء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«ومن رمى مؤمنًا بشيء يريد سبَّه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الله وهو ابن المبارك به بنحوه، وقال أبو داود أيضًا: حدثنا إسحاق بن الصباح، حدثنا ابن أبي مريم،

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٩٣).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٩٤).

أخبرنا الليث، حدثني يحيى بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بشير يقول: سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهما يقولان: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وِيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ عز وجل فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»** تفرد به أبو داود(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: و**«المسلم أخو المسلم»**.

مداخلة: هذا الحديث صحيح؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يحتاج تأمل، سنده يحتاج إلى تأمل نعم، نعم. والمقصود وجوب الحذر من الغيبة، والمؤمن ينصر أخاه إذا انتهكت محارمه ويذب عنه، نعم، وهذا شأن المؤمنين ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١].

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ **[الحجرات: ١٢]**(٢).

فهذه الآية الكريمة فيما يتعلق بحفظ اللسان وصيانته؛ لأن هذا اللسان سريع الحركة، والغالب أنه على العبد لا له، فالواجب

(١) أخرجه أبو داود من حديث جابر وأبا طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهما في كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة برقم (٤٨٨٤).
(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٢٣٧).

الحذر؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ويقول ﷻ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١]؛ فالمؤمن يحذر لسانه، قد تكون غيبة، قد تكون نميمة، قد تكون كلماته إفسادًا لا إصلاحًا، قد تكون فيها إثم من جهة أنها تضر ولا تنفعه؛ فالواجب على المؤمن أن يصون لسانه ويحذره إلا في الخير، إذا عرف أن الكلام خير ومصلحة تكلم؛ ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» متفق على صحته، وهذا كلام عظيم، كلام جامع من جوامع الكلم: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» إما يتكلم بخير وإلا فليمسك لسانه حتى يَسْلَم.

وفي حديث أم سلمة: «**كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرَهُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيَه عن مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرَ اللهِ**»(١). فأنت يا عبد الله على خطر من هذا اللسان إلا إذا صنته وأمسكته إلا في خير تعلمه؛ ولذا في حديث أبي موسى: (أيّ الإسلام أفضل؟) قال: «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»، في اللفظ الآخر: **(أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟) قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»** هذا له شأن عظيم لا يظلم لا في نفس، ولا في مال، ولا في عرض، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ومن يده، فلا يغتب، ولا يسب، ولا ينم، ولا يكذب، إلى غير ذلك، ولا يتعدى بيده بأي ظلم.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أم حبيبة رضي الله عنها في كتاب الزهد، باب (٦٢) برقم (٢٤١٢)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة برقم (٣٩٧٤).

في حديث عبد الله بن عمرو: أَيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

كذلك حديث سهل بن سعد يقول ﷺ؛ يعني: من يضمن سلامة لسانه وسلامة فرجه، بين لحييه هذا اللسان، وبين رجليه الفرج، المعنى: أن من حفظ الله عليه فرجه ولسانه فهو على خير وله الجنة؛ لأن كثيرًا من الشرور بسبب الشهوة أو اللسان، بل كل الشرور في الحقيقة بابها اللسان، ثم العمل؛ فالواجب حفظ اللسان وحفظ الجوارح عن كل ما حرم الله ما دمت في قيد الحياة؛ لعلك تنجو؛ لعلك تسلم.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢](١).

هذه الآية الكريمة فيها الحثُّ على عدم الحسد والتجسُّس والتحسُّس، والظن بلا دليل، والبيع على بيع البعض، وتتبع عورات الناس، كل هذه الأخلاق تفسد المجتمع، وتبذر الشحناء والعداوة؛ فالواجب الحذر منها، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول ﷻ: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، الواجب على المؤمن الحذر في كل ما يترتب عليه أذى المسلمين أو ظلم لهم، أو تجسس عليهم، أو

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٣١٦/٤).

غيبة، أو حسد أو غير ذلك مما يسبب الشحناء وهكذا التحسس وهو التجسس بالقول، وتجسس بالفعل يقال له: تحسس، فإن ظهر شيء يجب القيام فيه مما يوجب الحد أو التعزير، أما التفتيش والتجسس ماذا فعل فلان وماذا فعل فلان، أو فتح المغطاة، أو فتح الباب أو ما أشبه ذلك، لالتماس العورات فلا يجوز، والمسلم لا يلتمس عورات أخيه؛ بل يحب له الستر: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»(١)، فلا ينبغي للمؤمن أن يكون حريصًا على التنقيب عن العورات. قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]؛ ولكن متى ظهر أو قامت البينة يجب القيام فيه بحق الله؛ ولهذا قال ابن مسعود لما قيل له: (هذا فلانٌ تقطر لحيته خمرًا)، فقال عبد الله: (إنّا قد نهينا عن التّجسّس، ولكن إن يظهر لنا شيءٌ نأخذ به)؛ فالواجب على المسلمين أن يعتمدوا على البينات الشرعية والأحكام الظاهرة، وأن يحذروا ما حرَّم الله عليهم من التجسس والحسد والتحسس، والبيع على بيع بعض والعمل بالظن بدون دليل، وأن يحذروا الظلم للناس في جميع الأحوال لا بالقول، ولا بالفعل، لا في البدن، ولا في المال، هذا هو طريق النجاة، وطريق الخير، وطريق السعادة، وطريق جمع الكلمة؛ ولهذا في حديث معاوية يقول ﷺ: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**»؛ فتتبُّع عورات الناس، والتماس عورات الناس، من يسلم متى ظهر شيء وجب أن يحكم فيه أمر الله، وأما التجسس والتفتيش عن الأشياء المستورة والتحسّس عنها بالقول فهذا هو الذي لا يجوز.

*

(١) سبق تخريجه في (ص١٦٥).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ **الآية [الحجرات: ١٣].**

(القارئ): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.

يقول تعالى مخبرًا الناس أنه خالقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبًا وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك، وقيل: المراد بالشعوب بطون العجم، وبالقبائل بطون العرب، كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب الأشباه لأبي عمر بن عبد البر ومن كتاب (القصد والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم) فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الأساس ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ من آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ هذا قرشي، هذا عتيبي، هذا مطيري، هذا كذا، حتى يتعارف الناس في كونهم شعوبًا وقبائل وبطون مختلفة للتعارف لا للتباهي والتفاخر ولكن للتعارف، ولهذا قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فلا ينبغي للعاقل أن يفخر بأبيه أو أمه أو كذا فإن هذا لا قيمة له، وإنما الفخر التزامه بطاعة الله، هذه هي أسباب النجاة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا منبهًا على تساويهم في البشرية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾؛ أي: ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته، وقال مجاهد في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ كما يقال: فلان بن فلان من كذا وكذا؛ أي: من قبيلة كذا وكذا، وقال سفيان الثوري: كانت حِمْير ينتسبون إلى مخاليفها، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائلها.

وقد قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفي عن يزيد مولى المنبعث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ**». قال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه. ومعنى قوله: «**مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ**»(١). يعني زيادة في العمر.

ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سند لا بأس به، والأدلة تدل على أن الله جَلَّ وَعَلَا حث على صلة الرحم ورغَّب فيها وحذَّر من القطيعة قال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في تعليم النسب برقم (١٩٧٩)، والإمام أحمد (٢/ ٣٧٤).

قَاطِعُ رَحِمٍ»(١)، وقال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٢) والرحم هم الأقارب الأقرب فالأقرب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾؛ أي: إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب، وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ: قال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد رضي الله عنه عن أبي هريرة قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: **أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهُ أَتْقَاهُمْ**. قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: **فَأَكْرَمُ النَّاسُ يُوسُفُ نَبِيَّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**. قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي**؟ قالوا: نعم، قال: **فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا**»(٣). وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عبدة بن سليمان، ورواه النسائي في التفسير من حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: العمري، من ذرية عمر بن الخطاب.

مداخلة: يوسف أكرم من الرسول ﷺ نسبًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، لا، مقصوده.. هذا كرامة خاصة له، يوسف بن يعقوب بن

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث جبير بن مطعم عن أبيه في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم برقم (١٦٩٦).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم برقم (٥٨٩٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٧).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٣٧٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام برقم (٢٣٧٨).

إسحاق بن إبراهيم في أنبياء بني إسرائيل نعم، وإلا أكرم الناس أتقاهم، وأفضل الناس محمد ﷺ، هو سيد ولد آدم.

مداخلة: في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ما معنى هذه الآية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: أن الله يعلم بالتقوى يزيدهم علمًا وفضلًا، من اتقى الله ﷻ زاده الله علمًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[حديث آخر: قال مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا عمرو الناقد، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**(١)». ورواه ابن ماجه عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ محل النظر القلوب والأعمال، أما الأجسام والأموال فما لها قيمة، المهم صلاح قلبه وصلاح عقله، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن أبي هلال عن بكر عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي ﷺ قال له: «**انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله**» تفرد به أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ١٥٨) قال الهيثمي (٨/ ٨٤): رواته ثقات مشهورون، إلا أن بكر بن عبد الله المزني لم يسمع من أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حديث آخر: وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكري، حدثنا عبد الرحمٰن بن عمرو بن جبلة، حدثنا عبيد بن حنين الطائي: سمعت محمد بن حبيب بن خراش العصري يحدث عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**المسلمون إخوة، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى**»[١].

حديث آخر: قال أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن يحيى الكوفي، حدثنا الحسن بن الحسين، حدثنا قيس - يعني: ابن الربيع - عن شبيب بن عرقدة، عن المستظل بن حصين، عن حذيفة رضي الله عنه قال].

مداخلة: . . . بارك الله فيكم.

قال رسول الله ﷺ: «**كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان**»[٢]].

(**الشيخ**): الجعلان جمع: جُعل، نعم مثل صُرد. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه.

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا يحيى بن زكريا القطان، حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده، فما وجد لها مناخًا في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت، ثم إن رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «**يا أيها الناس**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٨).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فضل الشام واليمن برقم (٣٩٥٥)، قال: وهو حديث حسن غريب.

إن الله تعالى قد أذهب عنكم عُبِّية الجاهلية»[١]، وتعظُّمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى، إن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾»، ثم قال ﷺ: «**أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم**». هكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك عن مخلد عن موسى بن عبيدة به[٢].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملئوه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيًّا بخيلًا فاحشًا**»[٣]، وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة به ولفظه: «**الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملئوه، إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة إن أكرمكم عند الله أتقاكم**»[٤].

وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه. حديث آخر.

مداخلة: ما معنى طف الصاع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لم يملئوه، يعني: أقل من الصاع نقص.

(القارئ): قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٣٧).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه (٤/ ١٥٨).

(٤) أخرجه ابن سعد (١/ ٣٤).

شريك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ما أحد بلغ الكمال كل فيه نقص، وأكرمهم أتقاهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا شريك عن سماك، عن عبد الله بن عمرة زوج درة بنت أبي لهب، عن درة بنت أبي لهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال ﷺ: **«خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ لله** عَزَّ وَجَلَّ **وَآمرهُمْ بالمَعْرُوفِ وأَنهَاهُمْ عَنِ المُنْكِرَ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ»**[1].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو الأسود، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقوى» تفرَّد به أحمد[2].

وقوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾؛ أي: عليم بكم خبير بأموركم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويعذِّب من يشاء، ويفضل من يشاء على من يشاء، وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سبحانه وتعالى لا إلٰه إلا هو، وهذا فيه أن العبد يلجأ إلى الله ويسأله أن يوفقه، وأن يهديه صراطه المستقيم وأن يعلمه ما ينفعه وأن يمنحه التقوى حتى يكون من خير الناس.

مداخلة: ما حكم إنكار المنكرات في خطبة الجمعة؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث درة بنت أبي لهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٦/ ٤٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٦/ ٦٩).

(الشيخ): إذا رأى منكر، إذا رأى في المسجد منكر.

مداخلة: . . . خارج المسجد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأى منكرًا ينكره في المسجد أو في غير المسجد؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقد استدل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط ولا يشترط سوى الدين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وذهب الآخرون إلى أدلة أخرى مذكورة في كتب الفقه، وقد ذكرنا طرفًا من ذلك في (كتاب الأحكام)، ولله الحمد والمنة.

وقد روى الطبراني عن عبد الرحمٰن أنه سمع رجلًا من بني هاشم يقول: أنا أولى الناس برسول الله ﷺ، فقال غيره: أنا أولى به منك ولي منه نسبة].

مداخلة: أحسن الله إليكم الأخطاء في اللغة العربية هل يرد عليها أم لا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الشيء الذي يحيل المعنى قد يضر الناس يُنَبَّه عليه.

مداخلة: «الناس مؤتمنون على أنسابهم»، هل هي حديث؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: معروف؛ لكن ما أعرف صحته، معروف شائع جارٍ على ألسنة الناس يعني: هم أعلم بأنسابهم.

مداخلة: ليس بصحيح يعني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو على كل حال معناه قد يكذب أقول: قد يكذب ما هو بعدل، ما أعرف أنه حديث، إنما هو من كلام بعض الناس.

مداخلة: أحسن الله إليكم يا شيخ! هل يجوز الافتخار بالأب إذا كان تقيًّا ذا نسب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، لا، يُفتخر بأحد، لا يجوز الافتخار؛ بل ينبغي له التواضع والتقيد بالشرع نعم، يقول ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**» رواه مسلم في الصحيح[(١)]، وفي الحديث الآخر: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ**»[(٢)].

* *

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ **[الحجرات: ١٤ ـ ١٨]**[(٣)].

يقول تعالى منكرًا على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد: ﴿قَالَتِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار برقم (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياح برقم (٩٣٤).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة، أصل الإيمان لا بد منه، داخل في الإسلام، ولكن كمال الإيمان بعد الإسلام فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا؛ لأنه قد يكون عنده بعض المعاصي، فالمؤمن هو الذي استكمل ما أوجب الله عليه وترك ما حرم الله عليه، فهو أخص من المسلم، ولهذا قال: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾، والمحسن أعلى من ذلك وهو الذي يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أعطى رسول الله ﷺ رجالًا ولم يعط رجلًا منهم شيئًا، فقال سعد رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، أعطيت فلانًا وفلانًا ولم تعط فلانًا شيئًا وهو مؤمن، فقال النبي ﷺ: **أو مسلم**؟ حتى أعادها سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثلاثًا والنبي ﷺ يقول: **أو مسلم**؟ ثم قال النبي ﷺ: «**يَا سَعْدُ إِنِّي لأُعطي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إليَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ**». أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري(١).

---

(١) متفق عليه من حديث الزهري. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة برقم (٢٧). انظر: (١٤٧٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يُخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع برقم (١٥٠)، والإمام أحمد (١/ ١٧٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: يعطيهم تأليفًا لقلوبهم بعد الإسلام مخافة أن يرتدوا، ويترك آخرين أحب منهم وأكمل إيمانًا لما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، ودل على أن المسلم أعم من المؤمن والمؤمن أخص، كما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقد فرق النبي ﷺ بين المؤمن والمسلم، فدلَّ على أن الإيمان أخص من الإسلام، وقد قرَّرنا ذلك بأدلته في أول شرح كتاب الإيمان من «صحيح البخاري» ولله الحمد والمنة، ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلمًا ليس منافقًا لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام، فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادَّعوا لأنفسهم مقامًا أعلى مما وصلوا إليه، فأدِّبوا في ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وإبراهيم النخعي وقتادة واختاره ابن جرير، وإنما قلنا هذا؛ لأن البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الإيمان، وليسوا كذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب: أنهم مسلمون؛ لكن ادعوا مقام الإيمان فبيَّن لهم: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد أنهم قالوا في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: استسلمنا خوف القتل والسبي، قال مجاهد: نزلت في بني أسد بن خزيمة، وقال قتادة: نزلت في قوم امتنوا بإيمانهم على رسول الله ﷺ، والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد ولو كانوا منافقين لعنِّفوا وفُضحوا، كما ذكر المنافقون في

سورة براءة، وإنما قيل لهؤلاء تأديبًا: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد، ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾؛ أي: لا ينقصكم من أجوركم شيئًا؛ كقوله ﷻ: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لمن تاب إليه وأناب.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ [الحجرات: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: إنما المؤمنون الكمل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾؛ أي: لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾؛ أي: في قولهم إذا قالوا: إنهم مؤمنون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنهم قالوا وعملوا، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فإذا آمنوا صدقوا الدعوة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة، وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين، حدثنا عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «**الْمُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ: الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ**

فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالَّذِي يَأْمَنُهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ الَّذِي إِذَا أَشْرَفَ عَلَى طَمَعٍ تَرَكَهُ للهِ ﷻ»[١].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧]

ثم قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾؛ يعني: الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾، فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه؛ ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الفضل لله عليكم لا تمنوا؛ لأن الله هو الذي هداكم، احمدوا الله الذي وفقكم ويسَّركم، فالمصلحة لكم والخير لكم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: في دعواكم ذلك، كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين: «**يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضُلَّالًا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرِّقين فألَّفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟** كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنُّ».

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن قيس عن أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! أسلمنا وقاتلتك العرب ولم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٣/٨).

نقاتلك، فقال رسول الله ﷺ: **إن فقههم قليل**»، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم. ونزلت هذه الآية[(١)].

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ ثم قال: لا نعلمه يُروى إلا من هذا الوجه، ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث.

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحجرات: ١٨].

ثم كرَّر الإخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

آخر تفسير سورة الحجرات ولله الحمدُ والمنة وبه التوفيق والعصمة]. والله أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فالواجب الحذر، فإن الله هو البصير بأعمالك، فالواجب أن تخلص له العمل، وأن تجتهد في تطبيق الشرع، وأن تعمل كما أمر الله، وأن تحذر ما نهى الله عنه، فهو البصير بعملك ولا تخفى عليه خافية جل وعلا، الله المستعان.

وقال مجاهدٌ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ [١]: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ حتّى يقضي الله على لسانه، ﴿امْتَحَنَ﴾ [٣]: أخلص، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ [١١]: يدعى بالكفر بعد الإسلام، ﴿يَلِتْكُم﴾ [١٤]: ينقصكم، ألتنا: نقصنا.



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ١٩٦).

تأملات في سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله، وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد سمعنا الآن في قراءة إمامنا الآن سورة الحجرات، وفيها توجيهات عظيمة من ربنا ﷻ إلى الأمة، أوامر، ونواهي، وهكذا كتاب الله فيه التوجيه إلى كل خير، والدعوة إلى كل خير، والهداية إلى أسباب النجاة والسعادة، فجدير بكل مؤمن وكل مكلف أن يتعقل هذا الكتاب العظيم، وهو كتاب الله الذي هو أشرف الكتب، وأصدقها، وأعظمها، وأنفعها، وخاتمتها، ففيه الدعوة إلى كل خير، والترهيب من كل شر، وفيه الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والترهيب من سيئ الأعمال، وفيه القصص العظيم، القصص لما مضى من خير وشر، قص علينا أخبار الأمم، وأخبار الرسل، وأخبار الناجين، وأخبار الهالكين، وأخبار أهل الجنة، وأخبار أهل النار، فجدير بك يا عبد الله، وجدير بكل مكلف أن يستفيد من هذه الأخبار، والقصص، والتوجيهات، والإرشادات، والدعوة من رب كريم.

وفي سورة الحجرات في أولها يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، هذا الواجب على الجميع أن يكونوا تابعين لحكم الله، ورسوله، وأن لا يتقدموا على حكم الله،

ورسوله، بل يجب أن يكونوا تابعين لأحكام الله، منقادين لشرع الله، ثم ينبه على عظم شأن رسوله ، وما يجب حوله من الأدب الشرعي الطيب، وأن الواجب على الأمة أن لا يرفعوا صوتهم فوق صوته، وأن لا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وحثهم على غض الصوت عنده عليه الصلاة والسلام، وهكذا عند سنته، عند قراءة الأحاديث، وعند سماع السنة يجب العناية بهذا الأمر، والخضوع، والانتباه، واليقظة، والاستفادة، وعدم رفع الأصوات، والخوض الذي يشغل عنها.

ثم يوجه بعد ذلك إلى أمر عظيم فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، هذا أمره عظيم، والتبيُّن التثبت، والفساق قد يأتون بأخبار مهلكة لمن أخذها، ويأتون بأخبار تفرِّق الأمة، وتسبب الاختلاف والنزاع، فالواجب التثبت في أخبار الفسقة، هذا أصل عظيم اعتمد عليه أئمة الحديث، وأئمة الجرح والتعديل، واعتمد عليه في الشهادات، وفي جميع الأخبار، لا بدّ من التيقن، والتثبت في أمر المخبر، والشاهد أن يكون ثقة صدوقًا، فالمجهول قد يكون فاسقًا، فلا تقبل شهادة المجهول، ولا خبر المجهول، ولا الفاسق، وإنما تقبل أخبار العدول، وشهادات العدول.

ثم بيَّن ما يتعلق باختلاف الأمة، ووجوب الصلح بين الأمة إذا اختلفت، وأن الواجب الصلح إذا اختلف طائفتان، أو أهل بلدين، أو جماعتين، أو قبيلتين، أو ما أشبه ذلك، إذا اختلف جماعة طائفتان قبيلتان أهل قريتين أهل بلدين إلى غير ذلك الواجب الصلح بينهم، الصلح بالحق، وإذا امتنعت إحداهما، وبغت، وجب قتال الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، وأن هذا هو الواجب على الأمة أن يأخذوا على يد الظالم، والفاسق، وأن يأطروه على الحق أطرًا.

ثم قال بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا

تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] أخلاق ذميمة حذر منها ﷻ؛ لأنها تضر المجتمع، وتجره إلى شر عظيم، وفساد كبير، واختلاف، ونزاع، وبغضاء، وعداوة. فالسخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب كلها شر، كلها تجر إلى الفساد، فلا يجوز السخرية بأخيك، الرجل لا يسخر بأخيه، ولا بأخته في الله، وهكذا المرأة لا تسخر، وهكذا الجماعة لا يسخرون بالجماعة، الواجب تحري الحق، تحري الإنصاف، تحري الكلام الطيب، وعدم السخرية.

كذلك اللمز والعيب، كون الإنسان يلمز أخاه يعيبه هذه الغيبة التي حرَّمها الله، وقد يحصل بها شر كبير، قد يكون بالمواجهة، فيكون يسبب البغضاء، والعداوة، وهكذا التنابز بالألقاب يا حمار يا كلب يا كذا يا كذا بالألقاب المكروهة، بل يدعى الإنسان باللقب الطيب الذي يحبه، ويبتعد عن الألقاب الذميمة التي تسبب البغضاء والعداوة، ثم بيَّن أن من لم يتب فهو ظالم، من لم يتب من هذه الأخلاق الذميمة فإنه يكون ظالمًا وعاصيًا، فوجب الحذر من هذه الأخلاق الذميمة التي ذمها وعابها سبحانه.

ثم يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات: ١٢] كذلك أخلاق ذميمة، الظن شره عظيم، قد يسبب البغضاء، والعداوة، والفتنة، ولا أصل له، ولا أساس له، فالواجب اجتناب كثير من الظن، ولا يُقبل من الظن إلا ما قامت عليه الشواهد، والدلائل، ولهذا يقول ﷺ: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» متفق على صحته، إياكم والظن يعني: احذروه، إنما يأخذ بالظن الذي تقوم عليه شواهد، وقرائن يعمل به في محله، ثم يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢] التجسس: التفتيش عن عيوب الناس، وتطلع عيوب الناس، وهذا شره عظيم أيضًا، وهكذا الغيبة: وهي ذكرك أخاك بما يكره، فالتفتيش عن عيوب الناس، وذكر

عيوب الناس فيه فساد كبير، وغيبتهم والقول في أعراضهم فيه فساد كبير.

ثم يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ﴾ [الحجرات: ١٣] ما هو لتفاخروا، أو تكبروا، الناس خلقهم الله من آدم، وحواء، ذكر وهو آدم، وأنثى وهي حواء، بيت واحد، لماذا التفاخر، والتقاطع، والحسد، والبغي؟ الواجب الإنصاف، وتحري الحق، وعدم التكبر، والبغضاء، والعداوة، والشحناء، فالفخر، والخُيَلاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ جدير بهم أن يحذروا البغضاء، والعداوة، والشحناء فهم أولاد شخص واحد، وأولاد امرأة واحدة، فالواجب التراحم، والتعاطف، والتعاون على البر، والتقوى، والتواصي بالحق، ذرية واحدة، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ﴾ للتعارف ما هو للتفاخر، والظلم لا، للتعارف، هذا مطيري، هذا من بني هاشم، هذا كذا، هذا كذا، يتعارف الناس، ما هو للتفاخر، والتكبر، ولو كنت من بني هاشم أفضل القبائل ليس لك التكبر، احمد الله على ما أعطاك من النعم، ولا تفخر، ولا تكبَّر، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ﴾ لعظيم هذه الفائدة العظيمة لتعارفوا لا للتكبر، ولا للتفاخر، ولا للظلم، ولا للبغي، لكن ليعرف هذا مطيري هذا هاشمي هذا قرشي هذا عتيبي، هذا كذا هذا كذا يتعارف الناس.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ [الحجرات: ١٣] أكرم الناس أتقاهم، وإن كان من أي جهة، وإن كان عبدًا مملوكًا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ من جهينة، من بني هاشم، من عتيبة، من مطير، من كذا، من كذا، رقيق، عتيق، كله واحد ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ فاحذروا يعني: التفاخر، والبغي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] هو الذي يعلم أحوال الناس، وهو يخبر أخبار الناس يخبر الطيب من الخبيث، والصالح من الطالح،

لا أحد أعلم منه، ولا أكبر منه ﷻ، فالواجب علينا جميعًا أن نتقي الله، وأن نستفيد من توجيه ربنا وتعليمه، هذا الواجب على جميع المسلمين في أي مكان، يجب على جميع المسلمين، بل على جميع الخلق من ذكر وأنثى، يجب على جميع الجن والإنس، يجب عليهم الأخذ بتعليم الله وتوجيه الله، وإرشاده، هذا هو الواجب على الجميع، خلقوا ليعبدوا الله، وعبادته هي الأخذ بتعاليمه ﷻ، فالعبادة هي تقواه، والأخذ بتعاليمه، وتوجيهات سبحانه، والعمل بذلك، هذا هو الدين، هذا هو الإسلام، هذا هو الإيمان، والتقوى، هذه هي العبادة التي أنت مخلوق لها، أنت مخلوق لتعمل بتوجيه ربك، وأمره، وترك ما نهى عنه، هذا هو دينك، هذا هو الإسلام الذي قال فيه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهذا هو الإيمان، وهذا هو الهدى، وهذا هو التقوى، وهذا هو البر، وهذا هو العبادة التي أنت مخلوق لها، أن تأخذ بأوامر الله، وأن تنتهي عن نواهي الله، وأن تقف عند حدود الله، وأن تستجيب لأمر الله، وأن تحذر محارم الله، هذا هو الدين، هذا هو التقوى، هذا هو العبادة التي أنت مخلوق لها، هذا هو الهدى، فالله جعل الناس شعوبًا وقبائل، وفرق بينهم، هذا غني، وهذا فقير، وهذا ذميم، وهذا جميل، وهذا طويل، وهذا قصير، وهذا من كذا؛ ليتعارفوا، وليعرفوا قدر نعمة الله عليهم، ويشكروا الله ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فالواجب على كل إنسان أن يشكر نعمة الله على ما أعطاه، وأن يحمد الله، وأن يثني عليه، لولا فضل الله لكنت أسوأ من حالك التي أنت عليها، إن كنت فقير لولا فضل الله لكنت أسوأ، وإن كنت قصيرًا لولا فضل الله لكنت أسوأ، وإن كنت ذميمًا لولا فضل الله لكنت أسوأ، وهكذا فكل إنسان يحمد الله على ما أعطاه من النعم العظيمة، والخير الكثير، وليستقم على طاعة ربه، وليحافظ على أوامر الله، ولينتهي عن

نواهي الله، وليسأل ربه الاستقامة على الحق، والثبات على الحق، وليسأل ربه حسن الختام، فهذه الدار دار العمل، أنت فيها مؤقت، في مدة يسيرة، والدار أمامك، والحياة أمامك، فاعمل للحياة الدائمة، والنعيم المقيم، أما هذه فدار زائلة نعيمها زائل، وشرها زائل، وخيرها زائل، وفقرها زائل، وغناها زائل كله زائل، أمامك دار نعيمها دائم، وعذابها دائم، اعمل للدار التي نعيمها دائم، واحذر الدار التي شرها، وعذابها دائم.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه، والتواصي بحقه، والتناصح والتعاون على البر والتقوى، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان.



فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
ـ أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا	١٨١، ١٨٨، ١٩٢
ـ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي	٤٢٧
ـ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ	٢٦٢
ـ اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ	٢٨١
ـ اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا	١٩٠
ـ اغتبتها	٣٧٩، ٤٠٣
ـ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ	١٤٨
ـ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ	١٥٢
ـ أليس قد أمر الله بطاعة الولدين فلا آكل طعام	١٨
ـ أما أبو جهم فلا يضع عصاه	٤٠٣
ـ أَمَّا الإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ	٢٧٠
ـ أما ترضى أن تعيش حميدًا	٣١٨
ـ أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ	١٢
ـ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ	١٨٩
ـ أما والذي نفسي بيده	٧٦
ـ امْحُ يَا عَلِيُّ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُكَ	٢٤٦
ـ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا	٢٥٢
ـ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ	١٥٨
ـ إِنَّ الأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ	٤٠٠
ـ إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ	١٤٤
ـ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ	٣٥٣
ـ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا	٣١٩
ـ إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا	٤٣٠
ـ إِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ	٢٢٣
ـ إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ	٢٢٣
ـ إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ	٤٢٥

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
ـ مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ	١٤٠
ـ ما يصنع أصحابك بالأدم	٤١٣
ـ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ	٢٩٥، ٣٥١
ـ مراه فليستغفر لكما	٣٩١
ـ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ	٣٥١، ٣٥٨
ـ المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى	٤٢٦
ـ من أبلغ سلطانًا حاجة من لا يستطيع	١١٦
ـ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ	١٤٣ ، ١٥٢ ، ٤٢٤
ـ من أحب منكم أن يحضر	٦٩
ـ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ	١٥٠
ـ مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا	٣٨٤، ٤٠٧
ـ من أكل من لحم أخيه في الدنيا	٤١٥
ـ مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ	١٥٠
ـ مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ	٣٩٣، ٤١٧
ـ من رأى عورة فسترها	٣٩٩
ـ من رد عن عرض أخيه رد الله	٣٩٣، ٤١٧
ـ مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ	٣٥١
ـ مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا	٣٧٥
ـ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ	١٦٥، ٤٢١
ـ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ	٣٤٢
ـ من سرَّه النسأ في الأجل	١٤٢
ـ من سل سيفه فى سبيل الله فقد بايع الله	٢٠١
ـ من كان بالله أعرف	٥٧
ـ من كان في حاجة أخيه	٣٥٨
ـ من كانت عنده مظلمة من أخيه	٤١٦
ـ مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ	٢٩٧

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة